

حضارة العراق

بقلم:

• د. نادية خوست •

يذكر احتلال بغداد سنة 2003 بالاجتياح المغولي سنة 1258. فكلاهما لم يقصد احتلال الأرض فقط بل قصد تدمير الحضارة. الفرق بين الغزو البعيد واحتلال الأمس، أن العلماء والباحثين كشفوا للعالم في القرن الماضي مهد الحضارة الإنسانية في بلاد ما بين النهرين، وقدموا شواهد عليها بالأبحاث التي نشروها واللقى التي عرضوها في متاحف العالم. وكانت تلك الشواهد منحوتات وحلياً وقوانين وأساطير محفورة في الحجر والطين. هزّ اكتشاف ملحمة غلغاميش الباحثين. ففيها وجدوا الطوفان وأسطورة الخلق وتبينوا أن التوراة نقلتها عنها. ويستطيع مناهضو الصهيونية اليوم أن يبحثوا اختلاق أخبار اليهود أساطير التوراة في أيام السبي البابلي مفيدون من حضارة ما بين النهرين العظيمة.

نُقل كثير من آثار العراق خلال التنقيب إلى أنحاء العالم. ويفيدنا أن نتذكر أن لورنس بدأ مهماته في البلاد العربية بالتنقيب عن الآثار، ومثله غرترولد بيل. من مقتنيات متحف فيلادلفيا اليوم حلي ملكة اور التي تدهش المتفرج بالمهارة التي وصلت إليها الفنون. وارتقى إليها الذوق والبحوث الجمالية في حضارة العراق القديم.

ويعرض متحف برغامون في برلين بوابة عشتار التي توقف الزائر ذاهلاً أمام ضخامتها وألوان أجراها المزجج وثيرانها المجنحة.

لكن الخطر الذي يجرف آثار حضارة مابين النهرين تجاوز في نهاية القرن الماضي نقل القطع الأثرية إلى متاحف العالم. فالتجارة بالآثار أصبحت أعمالاً تقوم بها عصابات عالمية مختصة، تسلب الإنسانية ذاكرتها الحضارية. وقد سهل الحصار ثم سهل احتلال العراق لهذه العصابات أن ترتكب جرائمها فتقتلع شواهد حضارات عمرها آلاف السنوات من سياقها التاريخي، وتنتزعها من وطن الإنسان الذي أبدعها، وترحلها خارج بيئتها. وليست هذه الجرائم موجهة فقط إلى حق الشعب العراقي في تاريخه الحضاري، بل موجهة ضد الوعي الإنساني لأنها تمنعه من استنتاج مسار الفكر الجمالي والفني والمعماري في أقدم حضارات الأرض في أول مدن الإنسان، وتجعل القطعة المقصودة من لوحة حجرية بقصلاً فقد مكانه في تصميم اللوحة، وفي مسار التعبير العام. فتحرمه من فضائه كجزء من كنز حضاري إنساني لتجعله زخرفة في مجموعة خاصة.

يعرف من زار متحف بغداد أصول الشواهد الحضارية التي تزين متاحف العالم كمقتطفات. ويقرأ فيه مسار حضارة في سياقها ووطنها. ويستنتج صلتها بالحضارات التي تلتها، وتجليها في تفاصيل الحياة اليومية العراقية. ويكتسب، كمثقف أو فنان، متابعة بدايات المعارف الإنسانية. فيتبين أصول دراسة المثلثات، وحساب قطر الدائرة، وعلم الفلك، وأول القوانين الإنسانية، وتأملات الفنانين في علاقة الفنون بالحياة وهواجس الإنسان، وصياغة أعمال النحت الكبرى والمنمنمات الذهبية والعاجية. ويعجب من قدرة أولئك الفنانين القدماء

على التعبير البليغ في الأحجار الضخمة وفي أصغر قطع الذهب والعاج والطين. ويشهد المدن القديمة المكتشفة والمرممة مثل بابل ونينوى وسامراء وآشور على عمارة فريدة شيدتها حضارة راقية في ذوقها الفني وفي فهمها المناخ والبيئة، متميزة بين الجنوب والشمال. وامتدت في ذلك الممار عمارة المدن العربية الإسلامية التي تجسدها مدينة المعتصم وبحيرة المتوكل، التي لم يفها أي شعر حقها، والمئذنة الملوية التي ماتزال حتى في عصرنا نموذجاً للتجديد، والقصور العباسية.

استمرت حضارة ما بين النهرين القديمة في وريثتها العربية الإسلامية. وقد عرضت ندوات بيت الحكمة العباسي كيف حفظ العرب العلوم التي نقلها اليونان من حضارة ما بين النهرين وترجموها فسهلوا لأوروبا أن تغد منها في نهضتها المعاصرة. وما تزال البوابات واسعة للبحث في علاقات الحضارات القديمة، وإشعاع حضارة ما بين النهرين على العالم القديم كله، وتقصي هواجس الإنسان وتأملاته في الحياة والموت والقدر والحرية في أدب ما بين النهرين القديم، وكشف علاقة الفن بالتفكير الفلسفي في تلك الطفولة الإنسانية النظرة الممتدة على آلاف السنين قبل الميلاد.

وستوقف المتأمل إشارات إلى ذلك العمق الحضاري في الروح العراقية المعاصرة. منها حرص العراقيين على جمع المخطوطات والكتب، وتقدير الآثار وترميمها. يعبر عنه أن سوق العراق من أكبر أسواق أكتيب العربية، كما يعبر عنه الأسى الذي كان يعلنه العلماء والمختصون خلال الحصار لأنهم محرومون من المواد التي تساعدهم على حماية تلك الثروة الفكرية.

منع الحصار مئات الآلاف من البشر من الاطلاع على تراث الحضارة الإنسانية في العراق، وكان هذا نفسه خرقاً لحقوق الإنسان. وكان للعرب أكثر فداحة لأنه قطعهم عن التراث المعماري والفكري العربي وتجسيده الحي في آثار العمارة العربية الإسلامية التي كانت حضارة عالمية في تلك القرون المشرقة بالمعارف الإنسانية!

خلال ما يسمى بحروب الخليج نهب المتاحف العراقية. وقدم العراق لليونيسكو قائمة بالآثار المفقودة واستعاد مئات منها. لكن نتائج تلك الحرب كانت مأساوية على الآثار العراقية. فالمناطق التي سمّتها الولايات المتحدة مناطق حظر جوي كانت، عملياً، مناطق خارج السيادة العراقية. جهد الأثريون العراقيون لحماية المواقع الأثرية في الجنوب. واستعجلوا التنقيب فيها ليسبقوا لصوص الآثار. عرفوا أن العصابات العالمية تسجل رعايتها في قوائم فيجتاح للصوص المواقع الأثرية وتندثر خلال التنقيب الفمحي، آثار لانقع في القائمة المطلوبة. ألا نستطيع في خيالنا أن نقارن الدقة التي يحتاجها المنقب عن الآثار وهو يزيع الغبار والتراب بفرشاة، بالعجلة التي يجرف بها اللص طبقات يراها علماء الآثار أدلة بليغة على عصور إنسانية؟!

أما في الشمال فكان تجار الآثار يعملون في حرية. وكانت آثار حضارة مابين النهرين ترحل في أمان إلى المجموعات الفردية والصالات العالمية.

لكن استباحة المتاحف العراقية في أول أيام الاحتلال الأمريكي سيبقى في ذاكرة الإنسانية عدواناً مخجلاً. وهو مادفعنا إلى التحضير لهذا العدد الخاص عن حضارة مابين النهرين ونهب آثارها، ومن ينكر صلة جوانب الثقافة أحدها بالآخر! وسيطلع القارئ على جهد الأثريين

العراقيين لإنقاذ كنوز وطنهم قبيل الحرب، وعلى وجعهم من الكارثة، وعلى جهدهم الآن لاستعادة المنهوب والمسروق! وسيقرأ شهادة فيسك وشهادتهم على موقف المحتلين المنفرج أو المتواطئ.

قدم العلماء والمتقنون الفرنسيون في التسعينيات من القرن الماضي دراسة عن أثر القصف الأمريكي على الآثار العراقية. وبينت الصور تشقق الأنبيسة التاريخية. ونبه المختصون وكبار المتقنين والكتاب في العالم، قبيل غزو العراق، إلى خطر الحرب على التراث العراقي الذي يعني الإنسانية كلها. وكان ذلك الصوت العلمي من أصوات ملايين البشر الذين رأوا في العراق شعباً حياً صابراً وحضارة عريقة. وحاولوا أن يمنعوا خرق القانون الدولي، وأن يحموا العالم من سيادة قوة عسكرية ضارية. لكن الغزو الذي لم ير غير أكبر احتياطي للنفط في العالم في العراق، فاستهان بالتصويت العالمي واجتاح العراق. لم يرم المخطوطات في دجلة لكنه رعى حرائقها. فشهدنا اجتياح المؤسسات العلمية الجامعية، وحرق مكتبة الأوقاف التي تخزن مخطوطات نادرة، وحرق دار الحكمة العباسي الذي أصدر كتباً عن تاريخ العراق وحضارة ما بين النهرين واستضاف مؤتمرات عربية، ونهب المكتبة الوطنية الثمينة. وسيطلع القارئ في هذا العدد من الآداب الأجنبية على تقارير عن نهب المتاحف العراقية.

يؤكد هذا أن الهوية الوطنية تقع وسط الصراع العالمي بين حقوق الشعوب في الهوية الثقافية، واجتياح العولمة. ولنا، تقع وسط الصراع العربي الصهيوني، فالصهيونية التي غرست دولة حملت لها مستوطنين غريباء من أنحاء العالم، جهدت بالتفتيت عن الآثار كي تسندهم بعمق تاريخي. واخترعت أساطير تبرز احتلال فلسطين

التاريخية لتدعي عمقا تاريخيا. مع أن يهود الخزر غرباء، على كل حال، عن المنطقة كلها.

السنقى مشروع المحافظين الجدد الصهيونيين، الذين يحكمون الإدارة الأمريكية، للسيادة على العالم باحتلال نفط الخليج، بالمشروع الصهيوني للسيادة على المنطقة. فقفز المشروع الصهيوني للسيادة على الأرض العربية من النيل إلى الفرات، إلى مرحلة خطيرة باحتلال العراق. في هذه الخريطة الجديدة التي تصاغ للعالم ولمنطقتنا، نقرأ نهب المتاحف والمواقع الأثرية العراقية، واكتشاف القطع الأثرية المهربة إلى إسرائيل. وسلاحظ في تقرير كتبه الدكتور فاروق اسماعيل لهذا العدد من مجلة الآداب الأجنبية، غياب الباحثين العرب عن مؤتمر لندن للدراسات الآشورية، وحضور الإسرائيليين. ويجب أن نستوقع، إذا استمر استسلام العرب للغزو الأمريكي، أن تؤول حضارات المنطقة تأويلا تلموديا، وأن تزور الحقائق التاريخية. وينبها هذا إلى ضرورة مشروع واسع مؤسس على رؤية استراتيجية، يعد خبراء في لغات حضاراتنا القديمة ومؤسسات تنشر تراثها، وبرنامجا يربي تلاميذنا على فهم الاستمرار الحضاري وعلى معرفة الآثار وزيارتها. وسيؤهل ذلك، في السياق، لتربية فنية وفكرية تستلهم التراث الوطني العريق وتقيم من شواهد الحضارة أن التجديد كان دائما موجودا كضرورة روحية وواقعية، فردية وجماعية، لكنه كان مستمدا من الصلة الحية بالإراث الحضاري الوطني لامن غزو طارئ يفرض رؤيته. كما سيساهم ذلك، لو تحقق، في فهم مدى من العلاقات بين الحضارات القديمة.

كنا نتمنى أن يكون هذا العدد عن حضارة ما بين النهرين أكثر غنى. وأن يساهم فيه آثريون عراقيون. كما نتمنى أن تكون فيه أكثر من مادة عن العمارة العباسية. لكن مثل هذا المشروع يستلزم مختصين وتحضيراً طويلاً، وذلك لم يتوفر لدينا. إلى هذا أردنا أن يظهر عدد الآداب الأجنبية المكرس لحضارة ما بين النهرين في وقته. لكننا نفترض أن ترجمة التراث القديم تقع في مشروع ترجمة الآداب إلى اللغة العربية. ونتمنى أن ننشر تلك الآثار الحضارية في أعدادنا المقبلة.



نداء

من الأمين العام للأدباء والكتاب العرب
حول
نهب التراث الحضاري في العراق وتدميره

نتوجه بنداंना هذا باسم الأدباء والكتاب العرب في الوطن العربي وباسم من يعنهم التراث الثقافي والحضاري للعرب والعالم، إلى المدير العام لليونسكو، والمدير العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم في منظمة دول العالم الإسلامي "أونيسكو"، والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "ألكسو"، بحكم مواقعهم ومسؤولياتهم للقيام بواجب مؤسساتهم في حماية آثار العراق وما تبقى في المتاحف منها بالسرعة الكلية، والعمل على استعادة ما تمت سرقته من تلك الآثار، وإدانة هذه الجريمة المنكراء بشدة، وتحميل المحتلين الأميركيين والبريطانيين المسؤولية عن إبادة آثار العراق وسرقته وتدميرها بوصفهم مسؤولين عن حمايتها حسب القوانين والاتفاقيات الدولية وعلى رأسها اتفاقيات جنيف. ورفع الدعوى لمحاكمة المسؤولين منهم أمام المحاكم الدولية عن جرائم تدمير الإرث الحضاري العظيم في العراق لاسيما في متحف بغداد والموصل.

كما نطالبهم برصد ومتابعة انتقال الآثار العراقية وتهريبها وبيعها في أي مكان في العالم للعمل على إعادتها للعراق.

وندين القوة الغازية (الأميركية والبريطانية) المحتلة لعدوانها على العراق وما تسبب ويتسبب به ذلك العدوان من كوارث ودمار وجرائم وفوضى عارمة عمت العراق كله وألحقت الكوارث بشعبه، ونطالبها بالانسحاب الفوري، ونحملها المسؤولية التامة عن تدمير المؤسسات العراقية والجامعات والمشافي والمتاحف والمكتبات العامة والمراكز الثقافية.

ونؤكد على مسؤولية كل من يعنيه التراث الحضاري أو يملكه، وعلى حق كل من يعنيه الشأن الإنساني ويؤلمه، في محاكمة المسؤولين الأميركيين والبريطانيين أمام المحاكم الدولية المعنية عن الجرائم المرتكبة بحق العراق وشعبه وحضارته. ونناشد المثقفين والمعنيين والمهتمين بالشأن الإنساني والحضاري والثقافي في جميع أنحاء العالم بالعمل على إدانة هذه الجريمة وإيقانها، والوقوف إلى جانب العراق في محنته، والمطالبة بانسحاب القوة الغازية من أراضيه فوراً.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دمشق في 2003/4/13

الأمين العام

للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

د. علي عقله عرسان



دلالات العدوان على الجذور الحضارية للعراق

■ بقلم: د. خالد الناشف ■

العدوان، الذي وقع على المؤسسات الحضارية في العراق بعيد سقوط بغداد في التاسع من نيسان، عدوان ليس له مثيل في التاريخ الحديث. ويبدو الأمر وكأنه محاولة لإلغاء الهوية القومية، التي عمل العراق على تعميقها في العقود الأخيرة كجزء من عملية بناء الدولة الحديثة. فقد أجمع الكثيرون على أن هذا العدوان كان مقصوداً مما يطرح تساؤلات حول دوافعه، التي ربما كانت تكمن في المخزون الحضاري لكل من المعتدي والمعتدى عليه. فهل في حضارة العراق ما يشكل عناصر قوة استدعت مجابهتها اليوم على هذا النحو من التدمير المنظم. وكيف يمكن أن يؤثر الماضي على سياسة انتهت بعدوان واحتلال. وكيف يمكن ربط ماضي العراق بحاضره في محاولة لفهم ما حصل.

قديمًا، كان عراق وادي الرافدين يشكل وحدة حضارية بين شماله بمركزه في نينوى، الموصل حالياً، وأقصى جنوبه بمدينة الكبري، كاربو (تل أبو شهرين)، وأوروك (تلوروك)، وأور (تل المقير). لم تخل العلاقة بين الشمال والجنوب من الصراع، وإن تغلب عليها بشكل عام الانسجام الحضاري المعتمد على المصالح المتبادلة. بدأت مسيرة الحضارة العراقية من الشمال، الذي انطلقت منه

* مختص في السماريات وحضارة ما بين النهرين.

أولى المجتمعات الزراعية. فبين أطراف البادية وسفوح جبال الشمال العراقي ظهرت في الألف السادس قرى زراعية متطورة عرفت أولى البيوت البشرية المنظمة وفائض الإنتاج والملكية الخاصة، كما في تل حسونة، إلى الغرب من الموصل.

واللافت للنظر أن هذه القرى تركزت في محيط نينوى نفسها، وكانت المسافات بين القرية والأخرى قصيرة، لا تتعدى أحياناً بضعة كيلومترات، مما يشير إلى وجود روابط بين هذه القرى، ويدفع إلى الاعتقاد بأن نينوى كانت تمثل المركز الإداري لهذا التجمع.

امتدت هذه الإنجازات، الحضارية باتجاه الجنوب، وفي بيئة أقل ملاءمة للزراعة الموسمية، كما في تل الصوان الواقع في محيط مدينة سامراء العباسية، وهو ما شكل حافزاً لمد الألفية من نهر دجلة. ويمكن تسجيله كبدليات الزراعة المروية، التي ستصبح فيما بعد السمة المميزة للمدن السومرية. وفي نهاية الألف الخامس انتبى عن مجتمعي حسونة وسامراء حضارة جديدة طورت أساليب صهر النحاس، وقد وصل إنجازا الري وصهر النحاس إلى جنوب العراق، أي إلى ما أصبح يعرف قسماً بعد باسم سومر، عبر مناطق إلى الجنوب الشرقي كمندلي والأهواز.

يمكن القول، إذن، إن التطور الحضاري للعراق القديم، الذي انطلق من الشمال قد استقر في أقصى الجنوب في الألف الرابع في فترة سبقت مباشرة ظهور المراكز المدنية في الجنوب. أما في الفترة الحاسمة لتطور المدن في نهاية الألف الرابع، فقد بدأت تتبلور ملامح هيمنة اقتصادية حضارية للجنوب على مناطق شاسعة ضمت الشمال وتخطت حوض وادي الرافدين. هذه الهيمنة عكست أيضاً حاجة سومر إلى المعادن، كالنحاس، الذي كان يوجد في شمال سوريا أو عُمان، والقصدير، الذي كان يوجد في أفغانستان. ومن خليط هذين المعدنين يتكون البرونز، الذي تصنع منه الأسلحة والأدوات، وبعض البضائع الاستهلاكية، كالرأس البرونزي الشهير لملك أكد، وهي قطعة ذكر أنها تعرضت للنهب من المتحف العراقي.

ورغم عدم وجود أدلة على استيراد القصدير في وثائق أوروك، وهي أقدم

الوثائق الكتابية فإن الكثير من النصوص الآشورية من حوالي الألف الثاني، التي عثر عليها في الأناضول، تؤكد أن طريق القصدير كان يمر عبر آشور في الشمال ليصدر إلى الدويلات الأناضولية، التي كانت هي أيضاً بحاجة إلى هذا المعدن لعدم توفره في مناطقها.

تشير وثائق أوروك إلى استيراد النحاس من دلمون، وهو الاسم الذي كان سكان وادي الرافدين يطلقونه على منطقة الخليج العربي ككل، والإشارة هنا هي لمناجم النحاس في عُمان.

أما الحاجة إلى الأحجار الكريمة، كاللازورد، فتمكسها بشكل واضح ملحمة "إنميركار وسيد أراتا" السومرية، التي تصف الجهود الحثيثة لمدينة أوروك للحصول على هذه المواد من مملكة أراتا، التي تقع إلى الشرق، في إيران أو ربما أبعد في أفغانستان. كانت العلاقات الاقتصادية وراء التأثيرات الحضارية الرافدية، التي نشهدها بشكل واضح في بلاد الشام، إيران، وشرق الجزيرة العربية. والأمثلة على التأثيرات الحضارية السومرية كثيرة، أحدها قريب من مكان اجتماعنا اليوم، في إسبلا، التي استخدمت أيضاً لخط المساري في الكتابة، كما استخدمت في التعبير السومرية والآكدية، كلغتي الحضارة المهيمنة.

في إشارة إلى بداية التاريخ والمؤسسات الاجتماعية بعد انحسار الطوفان، كما جاء في المرويات السومرية، أصبحت أوروك في الأيديولوجية السومرية، المدينة الأولى، التي أنزلت الآلهة فيها الملك، وذلك مع نهاية الألف الرابع. إن القول بأن الآلهة هي التي أنزلت الملك كتبرير لظهور الملكية كنظام سياسي، إلى جانب المعبد كقوة اقتصادية، يعبر عن وعي خاص بالقوة الاقتصادية الخارقة، التي كانت تتمتع بها أوروك، المركز الرئيسي لبلاد سومر.

ويعكس ظهور الكتابة لأول مرة في التاريخ البشري الحاجة إلى تسجيل الأنشطة الاقتصادية المتنامية في تلك المدينة وخاصة بداية إنتاج البضائع الاستهلاكية على مستوى واسع. ويبقى السؤال كيف تمكنت الحضارة السومرية، وفيما بعد الآكدية، من إثبات نفسها وقيمتها في مناطق نفوذها، بالرغم من اعتمادها على المواد الخام من تلك المناطق.

لقد تحققت الهيمنة السياسية المباشرة في الفترة الآكدية اللاحقة انطلاقاً من

أكدة، العاصمة التي تقع في وسط العراق. وهنا يبرز جانب جيوسياسي يعكس قوة العراق القديم في الألف الثالث تمثل بتحقيق الوحدة بين الجنوب والوسط، وهو ما جاء نتيجة جهد سياسي مقصود قام به شاروكين، مؤسس الدولة الأكديّة. ففي خطوة ثورية، هي الأولى من نوعها في تاريخ الوعي السياسي، عمل شاروكين على توحيد الجنوب والوسط حالماً بحق سيطرته على أوروك. ولم يأت هذا التوحيد على حساب الإرث السومري، وهو ما يستشف من تعيين ابنه إنخيدو أنا ككاهنة في معبد ننا في أور، والكاهنة نفسها كانت تؤولف الأناشيد لإعلاء مقام الإلهة إنانا، إلهة أوروك، ولماواتها بعشتار، الإلهة الأكديّة، والإلهة الشخصية لشاروكين.. وعلى هذا النحو وفي خطوة سياسية فريدة من نوعها استطاع شاروكين استيعاب الحضارة السومرية. والرأس البرونزي، الذي ذكرته سابقاً، يُعتقد أنه يمثل نارام سين، حفيد شاروكين، وهو الملك، الذي أله نفسه في أول خطوة تأليه لملك تحصل في المنطقة.

سأناقش الآن موضوع تدمير المؤسسات الحضارية، الذي شمل المتاحف، المكتبات، والمراكز الثقافية، لا يوجد تفسير واحد للإحاطة بما حصل، خاصة وأن طبيعة هذا التدمير لم تقتصر على النهب والسرقة، ولم تكن مجرد رد فعل عنوي كما أراد الرئيس الأمريكي جورج بوش يوحى لنا: فقد رافق عملية النهب تخريب مستعد انتهى بالحرق، كما حصل في المكتبة الوطنية ومكتبة الأوقاف، أو تهشيم القطع الأثرية التي لم يتمكن اللصوص من حملها في المتحف^٦راقي. وحصل هذا كله تحت أعين الجنود الأمريكيين الذين لم يحركوا ساكناً لإيقاف المعتدين. ولهذا يسود الاعتقاد بأن عملية التدمير كانت مدبرة وأنها نفذت بعد تخطيط مسبق ومقصود.

يمكن النظر إلى التدمير، الذي حصل في العراق كخطوة تسبق ما سمي "إعادة الإعمار"، أي أن هذه العملية لا بد أن يسبقها تخريب مدّام، حتى يصبح للعملية جدوى اقتصادية أكبر، وخاصة بالنسبة للشركات التي ستتولى مشاريع إعادة البناء، وبالفعل حصلت شركات أمريكية على عقود للقيام بهذه المهمة. وهذا الأمر يمثل باستهداف مرفقات محددة كمؤسسات الاتصالات والكهرباء وشبكات المياه وبعض المنشآت النفطية وغيرها. وثمة حالات شبيهة معروفة حصلت في الماضي، كالتدمير الذي طال ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية. غير أن هذا

التفسير لا يوضح العدوان على المؤسسات الثقافية، كالمتاحف والمكتبات، ونهبها، ثم تدميرها وإحراقها، وهي خسارة لا يمكن تعويضها على الإطلاق. لهذا ينبغي البحث عن تفسيرات أخرى بعيداً عن الدوافع الاقتصادية.

ينبغي هنا التذكير بجائتين، الأولى، جيوسياسي، والثاني، حضاري. وبدأ بالجانب الجيوسياسي. أثبت من قبل إلى الهيمنة السياسية المباشرة، التي تحققت في الفترة الأكديّة انطلاقاً من أكدة في الوسط، واستمرت هذه الهيمنة في الدول اللاحقة لينتقل المركز شمالاً إلى بابل في الألفين الثاني والأول. وقد استمرت هذه الحركة حتى في فترات متأخرة، أي الانتقال إلى مركز جديد تمثل بالمداين (اليوم سلمان باك)، وهي تجمع لعواصم السلوقيين، الفرثيين، والساسانيين، وأخيراً في بغداد، عاصمة الدولة العباسية. وهكذا، يلاحظ نمط للحركة باتجاه الوسط في تأسيس عواصم السلالات المتعاقبة، ابتداءً بالمداين الكبرى في أقصى الجنوب، ومروراً بأكدة، بابل، والمداين، وانتهاءً ببغداد. واليوم، تشمل الخارطة الحديثة للعراق، التي جاءت نتيجة لتقسيمات ساكن بيكو، الجنوب، الشمال، والوسط بمركز ثقله بغداد، وبشكل مطابق للوضع الجيوسياسي في العالم القديم، وبشكل خاص في فترة الهيمنة الأكديّة في الألف الثالث.

أما بالنسبة للجانب الحضاري، فقد كان الوضع في وادي الرافدين في الألف الثالث يشبه في بنيته واقع الغرب اليوم، فقد كان يعتمد على المواد الخام من الخارج ويقوم بتصدير ما يصنعه منها، وهو ما يشابه الوضع اليوم بالنسبة لتصدير البضائع الاستهلاكية الغربية إلى دول العالم الثالث بكل ما تحمله من رمزية الهيمنة، كالكوكا كولا وغيرها. إن علماء الآثار ما زالوا يعثرون على زبادي أوروك الفخارية الشبيهة في مواقع تبعد آلاف الكيلو مترات عن المدينة الأم، والتي ربما كانت تستخدم لتعبئة بضاعة مميزة من إنتاج أوروك أو مقددة لها، تماماً كزجاجات الكوكا كولا، الفارغة، التي تملأ مكبات النفايات في جميع أصقاع العالم.

المفارقة في الموضوع أن حضارة وادي الرافدين لم تكن معروفة قبل منتصف القرن التاسع عشر، باستثناء ما ذكر في التوراة من أسماء وأحداث كالمسيحي البابلي، والإشارات إلى بابل في رؤيا يوحنا اللاهوتي، وغير ذلك من

معلومات مقتضبة في المؤلفات اليونانية القديمة. فحتى ذلك التاريخ، كان يعتقد أن برج بابل من ابتكار الخيال. غير أن التنقيبات الأثرية والمعلومات من المصادر الكتابية أوضحت أن هذا البرج موجود فعلاً، لا بل يمكن معاينة المكان الذي بنيت أساساته فيه، أما حجارته فلم تختف كلية، بل أعيد استخدامها في المدرج اليوناني، ليس بعيداً عن موقع البرج، والذي قام ببنائه الإسكندر المقدوني، هذا المدرج، الذي بقي محفوظاً أكثر من ألفي عام، ليتعرض للتخريب قبل أقل من شهرين نتيجة العدوان الأخير من بين عدد من المنشآت في موقع بابل الأثري.

جاءت معلوماتنا عن حضارة وادي الرافدين نتيجة استكشافات علمية، إن كان من خلال التنقيبات أو من تقييم الألواح أو الرقم الطينية، التي عثر على مئات الآلاف منها، وأسفرت دراستها عن معرفتنا بمجتمع وادي الرافدين. غير أن هذه المعرفة كانت نتاج الدراسات الغربية، ولم يكن للعراقيين أو العرب إلا دور ضئيل في الضلوع بها. ربطت حضارة وادي الرافدين في هذه الدراسات بالحضارة الغربية، ولا شك أن جزءاً من هذا الربط جاء بتأثير الأيديولوجية المسيحية، التي استوعبت أيضاً تراث العهد القديم، أي عملياً التوراة، وبالتالي كثيراً ما نقيم حضارة وادي الرافدين من هذا المنظور، وبالأخص فيما يخص الجوانب الفكرية، من باب المقارنة وأحياناً التفضيل، كالتوحيد أمام تعدد الآلهة، ومن خلال التفسيرات اللغوية باستخدام العبرية القديمة في الدرجة الأولى، وإلى حد أقل بكثير العربية الفصحى. وكثيراً ما يخرج المرء بالطباع أن الصورة المركبة الناتجة هي ما يريده الغرب لحضارة وادي الرافدين أن تكون، في حين أنه لا تجري قط أي مقارنات مع التراث الشعبي العراقي أو اللهجة المحكية في العراق.

ولكن يبقى السؤال الكبير هو كيف يمكن للحضارة الغربية أن تقوم بتدمير أحد مناهلها، كما تدعي هي؟ ومن باب التبسيط يمكن القول إن الحضارة الغربية تحصل في شأياها قوة مدمرة لا تتوانى عن تدمير الذات. غير أنه لا يمكن لهذه المقولة من أن تخفي الحقيقة البسيطة، وهي أن حضارة وادي الرافدين قد ظهرت في العراق. وكذلك الأمر بالنسبة للحضارة، التي تمثلها التوراة، التي ظهرت في فلسطين. وفي الحالتين، لا يمكن للجزور الحضارية، من حيث المبدأ، أن تتمثل اليوم في شعوب أو جماعات غربية عن المنطقة. وفي هذا السياق تجدر المقارنة بين ما فعله غزاة العراق وغزاة فلسطين. فلعل التدمير، الذي طال المؤسسات

الحضارية في العراق، ينطوي على نزعة أمريكية تتمثل بإلغاء التاريخ، أو "تخفيفه"، كما عبر عن ذلك الشاعر اللبناني شوقي بزيع. وبالمقابل، يعمل الغزو الصهيوني على استعادة التاريخ، وربطه بالغزاة الغرباء من جهة، ومن جهة أخرى على إلغاء الشعب الفلسطيني، الذي يمتلك حضارياً الحق الفعلي بهذا التاريخ.

إن المقابلة بين سومر وأكادة، أو العراق قديماً، وأمريكا اليوم، يدفع إلى التساؤل فيما إذا كان العدوان على الجذور الحضارية للعراق هو مجابهة لما كان يمثلته العراق، جيوساسياً، من قوة حضارية في الماضي، أو، إن عكس ذلك على المستقبل، ما يمكن أن يصبح عليه العراق من قوة إقليمية تهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وخاصة أمن حليفتها إسرائيل. وهناك ما يشير إلى أنه كان للعراق بالذات تطلعات قومية وحدوية لمناهضة الكيان الصهيوني، حتى قبل تأسيسه عام 1948، كما أقر بذلك بن غوريون نفسه. فقد أقر الأخير مبادرة لنوري السعيد لإنهاء الإضراب العام سنة 1936 بأنها محاولة لاستغلال الأوضاع وخلق أفق أوسع في المستقبل للتدخل العراقي في الشؤون الفلسطينية ولدعم أفكاره نحو الوحدة العربية.

إن، يبدو أن القوة الحضارية، التي كان العراق يمثلها في الماضي، وما يمكن أن يمثلها في المستقبل، هي ما ينبغي القضاء عليه اليوم، وخاصة أي توجه نحو سيطرة إقليمية قد تشكل تهديداً للكيان الصهيوني. ولا شك أن وعي الشعب العراقي بتاريخه الحضاري يزداد عمقاً مع وجود مخلفات هذا التاريخ الحضاري في متاحف وبالقرب منه. غير أنه لا يمكن لتخريب القطع، التي تمثل الإنجازات الحضارية القديمة أو محاولة إخفاءها بسرقتها، أن يقضي على الإنسان العراقي، الذي تجسدت فيه هو الجذور الحضارية للعراق قبل تجسدها في مقتنيات المتاحف. والمهمة، التي تقع على عاتق العراقي اليوم، هي في العودة إلى نفسه.. والبدء تتمثل بدحر الاحتلال.



الحاكم وفقيير نيبور

حكاية بابلية من الألف الثاني ق.م

■ بقلم: د. فاروق أسماعيل ■

استقر الاستيطان البشري في مناطق الشرق القديم منذ نحو خمسة آلاف سنة، ونشأت فيها حضارات مزدهرة اتصفت بتكاملها وتنوعها وتواصلها؛ فقدمت للبشرية إبداعات خلّاقة ما زالت موضع اهتمام الأجيال وفخرهم، بعد أن كشف عنها الأثريون ودرسوها وقوموها وزينوا بها المتاحف.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وكان الأدب من أبرز إبداعات الإنسان في الشرق القديم، سجل من خلاله مشاعره وقسيمه، وصوّره واقعه وتطلّعاته، ومجّد المآثر البطولية وغيرها. وقد تنوّعت موضوعاته وأشكاله الفنية إلى حد كبير، ودرجة لا تقلّ عن أدب العصور اللاحقة.

ولقي الكتاب آنذاك أهمية بارزة في المجتمع، وكان معظمهم من الكهان المتميزين المولعين بالتراث الشعبي الشفهي وبصياغة الأفكار الفلسفية كمسائل الخلق وأسرار الحياة والموت وطبائع البشر؛ كما اهتموا بنظم مقطوعات غنائية تُرثل في المعابد. ولذلك نجد أن السومريين عدوا فن الكتابة واحداً من المميزات والمقومات الحضارية؛ كما يتبين من جدول صاغوه لهذا الغرض، وضمنوه فن

* جامعة حلب ، مختص في اللغات والأدب السورية القديمة

الكتابة مع مئة مهنة ووظيفة حضارية.

يمتد تاريخ الأدب في عصور ما قبل الميلاد طويلاً، وقد مر بمراحل متعددة متميزة في بعض المظاهر الفكرية والفنية. وأبدعت الأعمال الأدبية في معظم مناطق الشرق القديم، وتميزت من بينها بلاد الرافدين. وشملت الأساطير التي تناولت مسائل خلق الكون والكائنات الحية وعالم الدنيا الآخرة وأسرار ظواهر الطبيعة وعلاقات الآلهة المتعددة التي كانوا يعبدونها، وكذلك الملاحم التي ركزت على البطولات الفردية والصراع الإنساني من أجل الخير والبقاء. ومنها أيضاً قصائد في المدح الإلهي، وفي النذب والرثاء، ومناظرات وحواريات، وقصائد غنائية في العشق والغرام، وأدعية وصلوات، ورسائل أدبية، وأعمال نقدية ساخرة. لقد شارك في العملية الإبداعية معظم شعوب المنطقة، وطرقتوا الموضوعات نفسها أحياناً، وتبادلوا التأثير في الأفكار والأسلوب الفني، وأضافوا وعدّلوا. ويلاحظ أن شعوباً ركزت على موضوعات معينة أكثر من غيرها، وتميزت فيها، مثل رثاء المدن لدى السومريين، وأدب الدعاوة السياسية لدى الأكديين، وعمق التحليل الفكري الرمزي لدى الحوريين، وتخصيص الطبيعة ومظاهرها والتعلق الزائد بها لدى الأوغاريين (1).

ويشكل النص الذي تعارضه واحداً من تلك النصوص الإبداعية المثيرة، وفي تصوري أنه يمتلك مقومات عمل درامي ممتع.

إنه يمثل حكاية بابلية ساخرة تعود صياغتها الكتابية إلى أواخر الألف الثاني ق. م، ويبدو أنها تعتمد على حكاية كانت شائعة في الموروث الشعبي على نطاق واسع في بلاد الرافدين قبل ذلك بقرون. وصلتنا الحكاية مدونة على رقم طينية، بالكتابة السامرية واللغة الأكديّة (الآشورية، البابلية)، وفي نسخ متعددة من ثلاثة مواقع، هي: خوزيرنا (حالياً سلطان تبه في منطقة ماردين بتركيا)، نينوى (جوار الموصل)، نيسبور (حالياً نفر، شرقي الحلة). ولعل تباعد هذه المواقع دليل على سعة انتشارها (2).

تعبر الحكاية عن أحلام المنتمين إلى الطبقات الفقيرة من سكان بلاد الرافدين، وأملهم في معاقبة حكامهم غير المبالين بفقهم وأوضاعهم السيئة؛ ولا سيما حكام المقاطعات والمدن. وهي غنية بصور مستقاة من الواقع، وبإسقاطات

ترك تقديرها وتحديددها للمستمع أو القارئ، ولعلها كانت مفهومة في أذهان الشعب آنذاك.

لقد صيغت الحكاية صياغة فنية سلسلة، وبناها كاتبها المجهول على مدخل وأربعة مقاطع رئيسية، على النحو الآتي:

1- مدخل سم فيه تحديد المكان والزمان، والتعريف بالفقير المدعو جيميل نينورتا وأحواله البائسة (السطور 1-10).

2- محاولة التقرب من حاكم المدينة أملاً في عطفه عليه ونجاته من الفقر المدقع، وذلك بتقديم هدية له، ولكن الحاكم عذها تجاوزاً وطرده. فقرر الفقير الانتقام ورد الإهانة بثلاث (السطور 11-69).

3- الانتقام الأول (السطور 70-114)

4- الانتقام الثاني (السطور 115-140).

5- الانتقام الثالث (السطور 141-161).

وجدير بالذكر أنه لو حفظ وجود مشابيات لهذه الحكاية في الأعمال الفولكلورية لكثير من الشعوب، وقد ذكر باحثون مشابيات لها بشكل أو بآخر - في الموروث الشعبي الأوربي (ألفنغاري، الروماني، الكريشي، الصقلي، الفرنسي، الألماني...) (3) ولا يخفى أنها تشبه في أسلوبها حكايات من "ألف ليلة وليلة".

نشرها أول مرة الباحث جورني O. R. Gurney في حولية الدراسات الأناضولية، المجلد السادس (1956). وفيما يأتي نعرض ترجمة كاملة لها عن لغتها الأم (الأكدية) مع الاستعانة بترجمة جورني وفوستر B. Foster الإنكليزيين (4). وقد حافظنا على ترتيبها وفق الأصل، وأضفنا بين قوسين كلمات تفيد في التوضيح وربط السياق.

كان هناك في زمن مضى، في مدينة نيبور - رجل فقير ومحتاج.

كان يدعى جيميل نينورتا، رجل بانس.

كان يسكن في مدينته نيبور، ويعيش في فقر مدقع.

لم تكن لديه فضة كما يلقى بقومه،

لم يكن لديه ذهب كما يلقى بالبشر،

(5)

مخزنه يحتاج إلى حيوب نقية،
بطنه يحترق، يتشوق إلى الخبز،
وجهه بائس، يتشوق إلى لحم، وشراب لذيق،
يشتهي كل يوم وجبة طعام، ولكنه يخلد إلى النوم جائعاً،
يرتدي ثوباً واحداً لا يملك غيره. (10)

••

(ذات يوم) تشاور مع قلبه البائس، (وقرر):
"سأخلع ثوبي الذي لا أملك غيره، (وأبيع)
سأشتري خروفاً في سوق مدينتي نيبور"
(وفعل) خلعت ثوبه الذي لا يملك غيره،
واشتري عذرة عمرها ثلاث سنوات من سوق مدينته نيبور. (15)
تساوّر مع قلبه البائس، (وحشنته نفسه):
ماذا لو ذهبت العذرة في فناء دارني؟
لا لن تكون وجبة طعام كاملة؛ حيث لا توجد الجعة (البيرة)،
وأصدقائي في محيط جوارني سيسمعون بذلك وينزعجون،
أهلي وأقاربي سيفضّبون، (20)

لذا دعني أملك بالعذرة، وأخذها إلى بيت حاكم المدينة،
سأصنع بذلك عملاً جيداً ولطيفاً لمعدته ومزاجه.
سحب جيميل نينورتا عذرتة من الرقبة،
اتطلق نحو بوابة قصر حاكم مدينة نيبور.
قال لحارس البوابة توكلتي إتليل الكلمات الآتية: (25)
قل للحاكم إني أريد الدخول لأراه.
قال الحارس لمسيده:

سيدي! مواطن من نيبور ينتظر أمام بوابة قصرک،
قد أحضر لك عنزة هدية.

(30) غضب الحاكم على توكولتي إتليل، وقال:

لماذا يظل مواطن من نيبور ينتظر أمام البوابة؟!
الحارس..... إلى.....،

دخل جيميل نينورتا إلى الحاكم مبتهجا.

عندما صار جيميل نينورتا أمام الحاكم،

(35) حمل عنزته من الرقبة بيده اليسرى،

وبيده اليمنى صافح الحاكم، وقال:

عسى الإله إتليل ومدينة نيبور أن يبارکا الحاكم.

عسى الإلهان نينورتا ونوسكو أن يوفقاه توفيقاً عظيماً.

قال الحاكم كلمات للمواطن:

(40) ما هي مشكلتك حتى تحضر لي هدية؟

روى جيميل نينورتا حكاية زيارته (وهدفها) لحاكم نيبور:

كل يوم أشتهي وجبة طعام، ولكني أخذ إلى النوم جائعاً،

خلعت ثوبي الذي لا أملك غيره،

واشتريت عنزة عمرها ثلاث سنوات من سوق مدينتي نيبور.

(45) قلت لنفسی معبراً عن قلبي البائس:

ماذا لو ذهبت العنزة في فناء داري؟

لا لن تكون وجبة طعام كاملة، حيث لا توجد الجعة،

وأصدقائي في محيط جوارِي سيسمعون بذلك وينزعجون،

أهلي وأقاربي سيفضبون،

(50) لذا دعني آخذ العنزة إلى بيت الحاكم.

هذا ما قلته من شدة بؤس قلبي

- [سنة سطور مخرومة وغير واضحة القراءة. يبدو أنها تضمنت ما يدل على أن الحاكم أمر بذبح العزة وإعداد وجبة طعام].
أعط مواطن نيبور عظماً وغضروفاً
أعطه جعة رديئة للشرب؛ من قارورتك.
أطرده، أرمه خارج البوابة. (60)
أعطى مواطن نيبور عظماً وغضروفاً،
أعطاه جعة رديئة للشرب؛ من قارورته،
طرده، رماه خارج البوابة.
عندما صار جيميل نينورتا خارج البوابة،
قال للحارس حامي البوابة كلمات: (65)
بهجة الآلهة لسيدك! قل له:
أنحقت بي الإهاتة مرة واحدة،
ولكني سأجعلك تدفع ثمنها ثلاث مرات!
وعندما سمع الحاكم ذلك، ظل يضحك طوال النهار.
...
- جلس جيميل نينورتا خارج قصر الملك، (70)
رأى الأمير والوزراء يصدرون بأمر الملك قرارات عادلة،
استطاع جيميل نينورتا أن يمثل بين يدي الملك،
سجد أمامه وقدم فروض الطاعة، وقال:
أيها النبيل! يا أمير الشعب!
أيها الملك الذي تمنحه الروح المقدسة المجد! (75)
دعهم يعطوني بأمرك عربية
أفعل بها ما أشاء يوماً واحداً،
سأدفع عن هذا اليوم الوحيد ماتاً واحداً من الذهب الأحمر.

- (80) لم يسأله الملك: ما رغبتك
في أن تجري غرضاً طوال النهار في عربة؟
لقد أعطوه عربة جديدة لاتفق بالرجل النبيل،
ودثروه بوشاح.....
ركب العربة الجديدة اللافقة بالرجل النبيل
بدأ جولة في..... دوراتكي،
85) صا جيميل نينورتا طالرين،
حبسهما في صندوق ختمه بختم،
واتطلق إلى بوابة حاكم نيبور
رآه الحاكم، خرج لاستقباله، وقال:
من أنت يا سيدي؟ لم جئت مسافراً في وقت متأخر من النهار؟
(أجاب) الملك، سيدك أرسلني ل.....
لقد جلبت الذهب لمعبد إكور، معبد الإله إليل.
أمر الحاكم بفتح شاة طيبة الإعداد واجبة للخدمة له،
ولكنه في قرارة نفسه تسم: يا إلهي! أنا متعب!
أما جيميل نينورتا فقد ظل طوال الليل مع الحاكم بقطاً.
(95) من شدة التعب؛ غلب النوم الحاكم،
نهض جيميل نينورتا في أعماق الليل بهدوء،
فتح غطاء الصندوق، طار الطائران إلى السماء، (وصرخ):
قم يا أيها الحاكم! لقد سرق الذهب، لقد فتح الصندوق!!
غطاء الصندوق مفتوح! لقد سرق الذهب!
(100) مزق جيميل نينورتا ثيابه بألم مبرح،
هاجم الحاكم بغنف، جعله يتوسل الرحمة،
ثم أشبعه ضرباً من الرأس حتى أصابع القدمين،

- حتى جعله يتوجع ويئن.
- (ركع) الحاكم أمام قدميه وهو يصرخ، ويتوسل (إلى جيميل نينورتا):
- سيدى! لا تهلك مواطناً من نبور، (105)
- لا تلطخ يديك بدم شخص مصون ومقدس لدى الإله إتليل.
- (ثم بعد أن ساد الهدوء) أعطوه مقابل هديته (2) ماتا من الذهب الأحمر،
- وأعطاه مقابل الثياب التي مزقها ثياباً أخرى.
- عندما غادر جيميل نينورتا البوابة،
- قال لتوكولتي إتليل حارس البوابة: (110)
- بهجة الآلهة لسيدك! قل له:
- ألحقت بي الإهانة مرة واحدة،
- وها قد أهنتك مرة أيضاً، ولكن بقيت مرتان بعد
- عندما سيع الحاكم ذلك!..... طوال النهار
- <http://Archiebeta.Sakhrir.com>
- سار جيميل نينورتا إلى الحلاق، (115)
- جعله يقص كل شعره من الجانب الأيسر.
- وملأ إناء فخارياً بـ.....
- واتطلق نحو بوابة حاكم نبور.
- قال للبواب، حارس البوابة:
- أعلم سيدك أنني أود الدخول لرؤيته. (120)
- من أنت حتى تراه؟
- أنا طبيب من مدينة إيسين، يفحص.....
- حيثما يكون مرض واعتلال..... في الجسم.....
- وعندما مثل جيميل نينورتا أمام الحاكم،

(125) كشف الحاكم له عن كدماته التي حدثت عندما أشبع جسمه ضرباً.

قال الحاكم لخدمه: هذا الطبيب ماهر!

(قال جيميل نينورتا:) سيدي! إن أدواتي تؤثر في الظلمة،

في مكان خاص، بعيداً عن الطريق.

قاده الحاكم إلى غرفة منعزلة،

(130) حيث لا صديق أو رفيق يمكن أن ينجده.

ألقي (جيميل نينورتا) بالإتاء على النار،

دق خمسة أوتاد في الأرض القاسية،

ربط رأس الحاكم ويديه وقدميه بها،

ثم أشبعه ضرباً من الرأس حتى أصابع القدمين،

(135) حتى جعله يتوجع ويئن.

وعندما غادر جيميل نينورتا البوابة

قال لتوكولتي إتليل حارس البوابة:

بهجة الآلهة لسينيدك! قل له: <http://Archivebe>

ألحقت بي الإهانة مرة واحدة،

(140) وها قد أهنتك مرتين، ولكن بقيت واحدة بعد.

...

كان جيميل نينورتا قلقاً ومتلهفاً، يرفع أذنيه ككلب،

ينظر إلى الناس حوله بحذر، يتفحص بدقة كل الناس.

وجد رجلاً يأمل في أن يعوض خسائره

أعطاه عنزة هدية، (وقال له:)

(145) اذهب إلى بوابة حاكم نيبور، وابدأ بالصياح

حتى يجتمع كل الناس بأعداد ضخمة على صياحك،

(وناد:) أنا الطارق على بوابة الحاكم، أنا الرجل ذو العنزة!

- أما جيميل نينورتا فقد اختبأ تحت جسر قريب ككلب.
خرج الحاكم على أثر صياح الرجل،
ونادى خارجاً كل ساكني داره؛ ذكوراً وإناثاً. (150)
اندفعوا بقوة كلهم لمطاردة الرجل.
وبينما كانوا يطاردون الرجل كلهم.
تركوا الحاكم وحيداً في الخارج.
ظهر جيميل نينورتا فجأة من تحت الجسر، وقبض على الحاكم،
هاجم الحاكم بعنف، وجعله يتوسل الرحمة، (155)
أشبعه ضرباً من الرأس حتى أصابع القدمين،
حتى جعله يتوجع ويئن. (وقال له:)
ألحقت بي الإهانة مرة واحدة،
وها قد أهنتك ثلاث مرات.
ثم تركه، واختفى في ريف البلاد.
أما الحاكم فقد عاد إلى داره مترنحاً.

...

توضيحات:

- 1) تعرف أطلال مدينة نيبور القديمة حالياً باسم قريب لفظاً هو نُفَر (شرقي الحلة في جنوبي العراق). برزت أهمية المدينة في الألف الثالث ق. م كأهم مركز ديني للسومريين، وفيها المعبد الرئيسي لإلههم إنليل. وكانت فيها مدرسة كبرى لتعليم الكتابة آنذاك، وقد عثر في موقعها على بضعة آلاف من الرقم الطينية المسمارية.
- 2) جيميل نينورتا هو بطل الحكاية، واسمه بابلي يعني "جميل الإله نينورتا". ونينورتا هو ابن إنليل وإله الحرب، ومركز عبادته نيبور.

- (25) توكولتي إنليل حارس بوابة الحاكم، واسمه بابلي يعني "التكالي هو على الإله إنليل". وإنليل هو إله الهواء والعواصف وسيد ألواح القدر وزعيم مجمع الآلهة.
- (28) نوسكو هو إله النار لدى السومريين، وابن إنليل أيضاً.
- (59) حرفياً: أعطه جعة (بيرة) من الدرجة الثالثة.
- (78) مائتا وحدة وزن قديمة، كانت تعادل نحو 480 غراماً، والاسم سومري الأصل.
- (84) دوراتكي منطقة في ضواحي مدينة نيبور.
- (91) إكور هو -كما جاء في النص- اسم معبد الإله إنليل في نيبور. ومعنى الاسم هو "البيت الجبلي".
- 105-106) يشير ان إلى قدسية نيبور. ومعلوم أن سكانها كانوا يعاملون معاملة خاصة فلا يكلّفون بدفع الضرائب ولا بالمشاركة في الحروب.
- (116) يبدو أن حلاقة شعر جانب من الرأس كانت علامة مميزة للمشتغلين في المداواة، <http://Archive>
- (122) تعرف أطلال مدينة إيسين حالياً باسم إيشان بحريات، وتقع على بعد نحو 30 كم جنوبي نمر. كانت إيسين مركزاً لعبادة الإلهة نين إيسينا "سيدة إيسين" أو الإلهة جولا، وهي إلهة الطب والشفاء.



الهوامش:

1. للاستزادة؛ راجع كتابنا: *إيرا وملك كل الديار، ملحمة بابلية. دار جنل، حلب 1998*. ص 13-45.

2. من الأعمال التي تعرضت للحكاية بإيجاز نذكر:

Roellig (Hrsg): *Altorientalische Literaturen*. Wiesbaden: (1978) *akkadische literature*. Rla/7 (1987) 64.

W. von Soden: *Einfuehrung in die Altorientalistik*. Darmstadt, WB (1985) 214 f.

H. Klengel (Hrsg): *Kulturgeschichte des alten Vorderasien*. Akademie- Verlag Berlin (1989) 201f.

O.R. Gurney: *the Tale of the Poor Man of Nippur and its Folktale Parallels* An St. 22 (1972) 149 ff.

.O.R. Gurney: *An St. 6* (1956) 145-162 *An St 7* (1957) 135-136.

B. Foster: *Befor the Muses. An Anthology of Akkadian Literature*. CDL Press, Bethesda-Maryland (1993) 829-834.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

البنية الاجتماعية والثقافية للمرأة

في ملحمة جلجامش

■ بقلم: د. وداد الجوراني ■

لمحة تاريخية

إننا السومرية، عشتار البابلية والآشورية ربما ورد من أسماء بعض النساء، إن هي إلا أسماء آلهات يضطلعن ببعض المهام والحرف الموكلة إليهن. ولكن هذه الأسماء، مثل (ثالثه، نينسابا، كشتون أنا) تعطينا فكرة عن طبيعة الأعمال والحرف التي كانت المرأة تفتحنها آنذاك.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أما المصدر الأكثر أهمية، فهو الشرائع العراقية القديمة، وبعض المواد القانونية (1)، التي اكتشفها المنقبون الآثاريون في أكثر من مدينة من مدن العراق القديم، بعضها يعود إلى العصر السومري، وبعضها للعصر البابلي، والآشوري أيضاً، ومن خلال هذه التشريعات يمكن تلمس بعض المعايير الاجتماعية التي تحدد هوية المرأة ومكانتها ودورها الحضاري، ونظرة المجتمع إليها ومن الأمور المسلم بها، أن الحاجة إلى القوانين وإلى الحرية والعدالة الاجتماعية لا تبرز ضرورتها إلا في مجتمعات بلغت مرحلة لا بأس بها من نموها الاجتماعي والسياسي.

يقول د. بهنام أبو الصوف: "بعد انقضاء الألف الرابع ق. م، لما نمت قرى العراق الأولى، وصارت مدناً، تعقدت فيها الحياة وتشابكت مصالح السكان والمعبد والكنيسة، كان لا بد من تشريعات لحماية الفرد في المجتمع، وتنظيم أمور

الحياة في دولة المدينة، فوضعت الإصلاحات الاجتماعية، وأعطتها قوانين وشرائع، وفي جميعها كان للمرأة نصيب كبير (2).

والمفقت في هذه الشرائع والمواد القانونية، أنها أفرزت جزءاً كبيراً منها لمعالجة مشاكل المرأة في مجال الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث وتبنٍ ومشاكل أسرية خاصة إضافة إلى مواد قانونية أخرى تتناول مشاكل المرأة في مجالات مختلفة كالتجارة، وممارسة الأعمال الحرة والشهادة وعلاقاتها العامة (وهناك العديد من النصوص التي تشير إلى أن النساء السومريات كن يملكن العبيد والإماء ومساحات من الأراضي، وعدداً من الماشية، وكميات من النقود، وكان للمرأة حق رفع الدعاوى، والظهور كشاهدة في المحاكم، والزوجة هي المسؤولة الوحيدة عن أطفالها القاصرين عند وفاة زوجها) (3) وقد شاركت نساء سومريات معروفات، أزواجهن الأمراء والحكام في الإشراف على شؤون الدولة، وتصريف الأمور، وجمع الضرائب، وشراء العبيد، وترؤس الاحتفالات الدينية.

وقد أخذت المرأة حيزاً في أقدم شريعتين عراقيتين اكتشفنا لحد الآن. الأولى "قانون لبث عشتار"، والثانية "قانون مملكة أشنونا"، أو ما يسمى "قوانين تل حرم" وقد كتبنا قبل قرن أو قرنين من "شريعة حمورابي". وجدت في الأولى مواد تتعلق بالأحوال الشخصية (في الفصل الرابع من قانون لبث عشتار) (4).

أما قانون مملكة أشنونا (*)، فقد تناولت محتوياته الأحوال الشخصية في المواد القانونية: السابعة عشرة والثامنة عشرة، ثم المواد القانونية من الرابعة والعشرين حتى المادة الخامسة والثلاثين، ثم المادتين الثامنة والثلاثون والتاسعة والخمسون علماً أن القانونين المذكورين يعودان إلى العصر السومري.

أما قانون "أورنمو" (2111-2003 ق. م) (5)، فيحتوي بالأصل على أكثر من (31) مادة قانونية، ولكن لم يصلنا منها سوى تسع وعشرين مادة منها ثمانين مواد تتعلق بموضوع الأحوال الشخصية، وهي المواد الحادية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة، والثانية والعشرون والثالثة والعشرون.

ولا يغوتنا ذكر أقدم إصلاحات اجتماعية وهي إصلاحات أوروكاجينا (أورو-أنجينا) 2378-2371 ق. م.

وقد اهتم المشرع حمورابي في شريعته الشهيرة بتنظيم الأحوال الاجتماعية،

إضافة إلى تنظيمات أخرى: إدارية وسياسية وعسكرية... الخ حيث استأثرت الأحوال المدنية بقسط وافر منها. وتحتوي شريعة حمورابي (1792 - 1750 ق. م) الشهيرة على أكثر من ثلاثين مادة قانونية (المواد 127 - 194) تعالج فيها شؤون الأسرة من زواج وطلاق وإرث وتبن الخ.

ولدينا نص مسماري من القرن الثامن عشر ق. م يشير إلى أن المرأة قد ساهمت في هيئة المحلفين أمام مجلس للقضاء في مدينة نمر.

ويجب أن نشير إلى مواد قانونية أخرى نسبت إلى العصر الآشوري حيث أصدر عدد من الملوك الآشوريين الذين حكموا ما بين (1362 - 1074 ق. م) مراسيم. وهذه المراسيم تنظم العلاقة بين نساء القصر وبين الملك والأفراد المخصصين لخدمة هؤلاء النساء اللاتي يتألفن ممن يلي: 1- أم الملك 2- زوجة الملك 3- نساء القصر.

وهناك العديد من رقم الطين لقوانين آشورية تتطرق في عدد من موادها إلى حياة المرأة الآشورية، وأخرى تعود للعصر البابلي الحديث "عصر ليهوخذ نصر الثاني 605 - 562 ق. م".

الشيء المهم في هذه الشرائع وبخاصة في شرائع حمورابي سما له صلة ببخشنا هو أن هذه الشرائع تعكس صورة المجتمع، وتطلعنا على حقيقة المركز الاجتماعي للمرأة في غياب وثائق شافية عن موضوع المرأة - والذي له علاقة وثيقة بمركزها الاقتصادي والسياسي والديني. تشير شريعة حمورابي إلى وجود أصناف من النساء ينتمين إلى فئة معينة تفرض عليهن حقوقاً وواجبات لا يجوز الخروج عليها أو المساس بها، وإلا فإنهن يقعن تحت طائلة القانون وتسري عليهن أقسى العقوبات، وتتراوح بين دفع الغرامة، وبين الموت، وفيما يلي أصناف النساء التي ذكرت في شريعة حمورابي وهي:

- | | |
|-------------|---------------|
| 1- إنتو | (6) Entu |
| 2- ناديتو | (7) Naditu |
| 3- قادشتو | (8) Qadistu |
| 4- كلماشيتو | (9) Kulmasitu |

5-شوكيتو (10) Sugeitu

6-سال زكروم (11) sal-zikrum

كانت المرأة باستقراء بعض الباحثين سهمة إلى حد ما، بالقياس إلى الرجل، لكن الوثائق، رغم ذلك، أشارت إلى أهليتها الكاملة في الحقوق والممارسات التجارية في العصر البابلي القديم. فقد كانت تشتري وتبيع.. كما قدمت القروض، واستأجرت، وأجرت، وأهدت وكانت سمعتها محمية بموجب المادة 127 من شريعة حمورابي، من شطط الكلام والإهانات، أو هذا ما كانت تهدف إليه الشريعة: "إذا أضرار رجل بإصبعه إلى كاهنة رفيعة أو زوجة رجل، ولم يثبت إدانتها، فيجب أن يقدم الرجل إلى المحكمة، وأن تقص ناصيته كعلامة للعار. وتوضح المواد التالية المضمون السابق أيضاً:

المادة 45

إذا.. قد ضرب ابنة رجل حر، وسبب لها الإجهاض، عليه أن يدفع نصف المنة/ (*) من الذهب.

المادة 50 <http://Archivebeta.Sakhril.com>

وإذا توفيت (البتت) فسوف يقتل ذلك الرجل.

المادة 65

إذا.. قد ضرب أمة رجل، وسبب لها الإجهاض، عليه أن تدفع خمسة شقيقات من الفضة (12).

1-نسون: الأم في حياة البطل

مصدرنا الأساس في التعرف على شخصية "نسون" هو نص ملحمة جلجامش التي تذكر أن أمه هي الربة نسون التي كان لها مزار داخل القصر الملكي لإضفاء صفة القدسية على شخصها.. والواقع، لا نعرف من تكون أم جلجامش التي قرنت بالآلهة نسون، مما يدل على رفعة مكانتها وشعبيتها، وكونها ذات شخصية غير اعتيادية، واختفت كل الأدلة عن هويتها وراء ادعاء

الكهنة -الذين دونوا الملاحم والقصاص الخاصة بجلجامش -بأنها في الواقع نفسها الإلهة ننسون.

وربما يكون إلصاق الألوهية بـ "ننسون" هو وراء وصف الملحمة بجلجامش بأنه في ثلثه إله وفي ثلثه الآخر بشر. وقد ورث عن أمه "ننسون" الجمال الفائق والقوة وانعدام الاستقرار وهو الرأي الذي نجد صداه الآن في مثل عراقي دارج فحواه، إن الإنسان يكتسب ثلثي صفاته من جهة أمه.

وكما ورث الجمال عنها فقد حباه شمس بالحسن والجمال، وخصه أدب بالبطولة.

ولكن ما علاقة ننسون "الأم" بجلجامش "البطل"، وما هي الأصرة التي تجمع بينهما، وهل وفق نص الملحمة في شرح هذه الأصرة من حيث كونها أثرت في توجيه مسار البطولة عند جلجامش؟ من هذه الزاوية سنحاول أن نرصد العلاقة الإنسانية بين البطل وأمه، في مرحلة من مراحل تطور شخصيته، ورصيدنا في ذلك هو الإشارات التي وردت في نص الملحمة، مدعمة ببعض المواد القانونية التي وردت في شرائع العراق القديم، أو من بعض شفرات حكيمية..

أول إشارة في الملحمة تذكر لنا أن جلجامش:

نسل "لوجال" حيندا" أنه جلجامش المكتمل القوة

ابن البقرة الجليلة" رمات -ننسون (13)

ثم بعد ذلك في الوقت الذي تكون البغي تحاور أنكيبدو ومحدثه إياه عن جلجامش "المبتهج بالحياة" قائلة (14)

"سيراك جلجامش في الرؤى وهو في الوركاء"

استيقظ جلجامش فعلا في تلك اللحظة وأخذ يقص رؤياه على أمه:

يا أمي لقد مرأت الليلة الماضية حلما

مرأتني أسير محتالاً بين الأبطال

فظهرت كواكب السماء

وقد سقط أحدها إلي وكأنه شهاب السماء "أكو"

أمرت أن أرفعه فلم أستطع أن أحرره
 تجمع حوله أهل بلاد "الوركاء"
 اندحهم الناس حوله وتدافعوا عليه
 واجتمع عليه الأبطال
 وقبل أصحابي قدميه
 أحبيته وانخيت كما أنخيت على امرأة
 ورفعته ووضعته عند قدميك
 فجعلته نداً لي

فأجاب جلجامش أمه البصرة العارفة وقالت له:
 قالت "نسون" العارفة بكل شيء: لجلجامش:

إن مرفئك نظيرك كوكب السماء
 والذي سقط إليك وكأنه شهاب السماء
 والذي أمرت أن ترفعه فتقل عليه
 وأحبيته وانخيت عليه كما تحني على امرأة
 والذي وضعته عند قدمي
 فجعلته أنا نظيراً لك

إنه صاحب قوي يعين الصديق (عند الضيق) سيأتي إليك
 إنه أقوى من سيف البلاد وذو عزم شديد
 وأما أنك أحبيته فانخيت عليه كما تحني على امرأة
 فمعناه إنه سيلانمرك ولن يتخلى عنك
 وهذا هو تفسير مرفئك (15)

لقد فسرت "نسون" الرويا الأولى (16) لجلجامش، ثم أن لم جلجامش

لقد فسرت "ننسون" الرؤيا الأولى (16) لجلجامش، ثم أن أم جلجامش الحكيمه المحبوبة فسرت لابنها الرؤيا الثانية والتي تشبه الأولى في خلاصتها.

ثم بعد هذا اللقاء، تنقطع علاقة جلجامش بأمه، حتى يقرر جلجامش أن يشارك معه أنكيكو لمقابلة الوحش "خمبابا"، ولم تمنعه تحذيرات أنكيكو وشيب الوركاء ولم تفصل عزمه عن قراره، ولكنهم زودوه بالأسلحة وقلدوه بالسيوف العظيمة، وأسندوا له النصائح بأن يدع أنكيكو يسير أمامه، وطلبوا من "شمش" أن يفتح الطريق لمسراه، ويمهد مسالك الجبال لقدميه. لقد قالوا له:

عسى أن يقف لوجال -بندا بجانبك

ويجعلك تحقق مرغبتك

ومثل (الطفل) عساك أن تحقق أميتك (17)

لكن جلجامش لم يكتف بهذه الدعوات والرعاية التي أبداها له أهل الوركاء، فقال لأنكيكو:

علم بنا يا صاحبي إلى بعد "إي -كالك -ساح"

إلى حضرة "ننسون" الحكيمه البصرة بكل معرفة

فإن ننسون الحكيمه البصرة بكل معرفة

سنعنا النصح وتسد خطانا (18)

رغم الصفات الخارقة التي وصف بها جلجامش، إلا أنه في النهاية إنسان، تتكشف إنسانيته حين يزمع على أمر كبير مخوف بالمخاطر، فيتملكه شعور بالخوف، هو الشعور الطبيعي للإنسان في حاجته إلى الأمان والحنان، لذلك يلجأ جلجامش "الإنسان" إلى أقرب الناس إلى نفسه، فيذهب إلى "ننسون" الحكيمه البصيرة والناصحة ليطلعها على قراره ويطلب منها أن تتشفع له عند "شمش" وأن تصلي من أجله.

وبعد أن ينتهي الحوار فيما بين البطل "الابن" وأمّه، تبدأ ننسون بممارسة دور السيدة التي يليق بها أن تكون أما للبطل، حيث يعمد كاتب الملحمة إلى رسم صورة جميلة وتفصيلية لما فعلته وقالته ننسون كاسلوب أمومي -لا يخلو من قلق وخوف ظاهرين على ولدها جلجامش:

وإذ ذاك دخلت نسون حجرتها
وامرئدت حلة تليق بجسدها
ووضعت على رأسها تاجها
ثم امرئت إلى السطح وتقدمت إلى شمش
وأحرقت البخور
قدمت قربان البخور ورفعت يديها إلى "شمس" وقالت:
"علام أعطيت ولدي جلجامش قلباً مضطرباً ألا يستقر
والآن حشته فاعثره سفيراً بعيداً إلى موطن "خبابا"
سلاقي نرا ألا يعرف عاقبته
وسببر، في طرق لا يعرف مسالكها
فحتى اليوم الذي يذهب فيه ويعود
وحتى يبلغ غابة الأحرار
ويقتل خبابا المارد؛
وتحومن على الأرض كل شرمته
عسى عروسك "أمي" (*) أن تذكرك به
ولتوكل بك حراس الليل (*) والكواكب وأباك وسين
حينما تحتجب أنت في المساء .

ولم تكف "نسون" بدعواتها الهادئة المفعمة بالحنان واللفتة على جلجامش
"الابن" وحده دون "أنكيكو"، ولكنها استدعت أيضاً كاهنات المعبد ليكنّ شهوداً على
دعوتها لأنكيكو وأخذ موثق منه بأنه سوف يحمي ولدها في سفرتهما تلك بأسلوب
أقرب إلى التوسل والالتماس منه إلى الأمر والطلب:
ثم أطفأت البخور، وعودت وأحضرت الكاهنات
والبنات المقدسات والمتبيلات

ودعت إليها أنكيدو وأوصته قائلة:

يا أنكيدو القوي الذي ليس من مرحي

قد اتخذت منذ الآن ولدا

ثم قلدت عقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه، وقالت له:

"ها أنني إمتنتك على ولدي، فأرجعه إلي سالماً"

لقد انتهى دور الأم عند هذه المرحلة من مراحل البطولة، وانتهت حاجة السبطل إليها، بعد أن أشعرته بالأمان والحب. وبذلك تكون "مراقة" جلجامش قد أتت علي نهايتها ولا بد للبطل أن يجرب مرحلة "الرجولة" ويخوض "الامتحان" بنفسه بعيداً عن معونة أقرب الناس إليه.

إن علاقة "ننسون" بالبطل "ولدا" علاقة طبيعية، فهي ليست بالعلاقة التي توصف بالعلاقة السلبية القائمة على تحجيم ولدا أو ردعه أو معاقبته، بمعنى أن علاقة الأم بالبطل ليست علاقة مركبة أو منحرفة تصل إلى حد العقدة النفسية كما نجد ذلك عند البطل الإغريقي أوديب.

وهذه العلاقة السحوية، هي التي دفعت البطل إلى اجتياز الامتحان التالي ومقاتلة الوحش "خمبابا" ونجحاً.

إن العلاقة بين جلجامش وأمه تعكس صورة الأمومة في المجتمع العراقي القديم التي حظيت بالاهتمام والرعاية من خلال ما وصلنا من وثائق تشريعية وحكومية (تمثل جهداً رائعاً لحماية النساء والأطفال من المعاملة التحكيمية والبؤس والإهمال) (19).

3-سيدوري: المرأة التي نطقت بالحكمة [إلى أين تسعى يا جلجامش؟]

سيدوري أو ما يسمى في البابلية (سابيتم) كما وردت في الملحمة أو كما يسميها الدكتور فاضل عبد الواحد (السباء سيدوري) صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر، كانت تسكن هناك في منزل منعزل (من الذهب) صنعوا لها برميلاً، عملوا لها دنا، كانت متحجبة بحجاب، جلجامش بعد أن تاه طويلاً، وصل قرب منزلها.

وتلفظ بائعة الخمرة باللغة السومرية ME -KASH. TIN NA ويعود أصل

الاسم سابيتم إلى الأصل العربي، فهي كما يقول الأستاذ طه باقر، مشتقة من نفس المادة العربية مباء، ومنها استبأ. "والمساء" بيع الخمر ولكن لكونها غريبة فإنيها لا تستعمل.

وورد ذكر السابيتم في قانون حمورابي في المادة 108 مثلاً:

"إذا استلمت بائعة الخمر نقوداً بالوزن الثقيل، ثمناً للبيرة، بدلاً من استلامها حبوباً، أو أنها جعلت قيمة البيرة (المباعة مقابل حبوب) أقل من قيمة الحبوب (المستلمة) فعليهم أن يثبتوا هذا التحايل على بائعة الخمرة ويقذفوها في الماء (النهر).

وقد مارست المرأة مهنة الكتابة وتزيين الشعر وطحن الحبوب وغزل ونسج الصوف وإلى غير ذلك من الأعمال الحرة، ولكن يبدو أن مهنة بيع الخمرة كانت دون المهن الأخرى وإن سمعة بائعة الخمرة ليست أهلاً للاحترام وهي برأي الدكتور فوزي رشيد في الواقع لا تختلف عن راقصات الملاهي في الوقت الحاضر، وهناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن بائعة الخمرة، كانت تتعاطى الجنس كذلك.

ولا نستبعد أن تكون بائعة الخمرة بهذا المستوى الاجتماعي المتدني، فالقوانين تؤكد أن بيتها بيت بائعة الخمرة - كان وكراً لتجمع بعض العناصر المحتالة أو ما يشبهها، ولذلك فإن شريعة حمورابي أوقعت عليها عقوبات صارمة في حال عدم إخبار القصر بهم، وإلا فإنيها تعدم.

والذي يؤكد ضعة هذه المهنة هو أن شريعة حمورابي منعت الكاهنة "ناديتوم" أو "انتوم" والتي لا تعيش في المعبد، من أن تفتح حانة للخمرة، كما منعت دخولها إلى الحانة أيضاً، وإلا فإنيها تحرق. بسبب أن بيع الخمرة أو ارتياد حانة بيع الخمرة، يتنافى والعفة والحشمة التي يجب أن تتمتع بها الكاهنة، مما يسيء إلى سمعتها (20)

الظاهرة التي يمكن أن نستنتجها من النصوص القانونية، هي أن بيع الخمرة كان مقصوراً على النساء (*)، دون الرجال، بالاستناد إلى "قانون أشونوا" الذي حرم على "التاجر أو بائعة الخمرة" أن يتسلم من عبد أو أمة فضة أو حبوباً أو صوفاً أو زيتاً، كرأس مال للمتاجرة (21) فلو أن مهنة بيع الخمرة كانت من

اختصاص الرجال، أو من اختصاص الاثنين (الرجل والمرأة) لما جاء التخصيص في القانون (بائعة الخمرة) بالذات، ومن جانب آخر نستنتج أن بائعة الخمرة - استناداً إلى المادة القانونية السابعة - كانت أيضاً تعمل بالتجارة، إضافة إلى مهنتها. ومن المحتمل أن تكون محلات بيع الخمرة منتشرة بكثرة، نظراً لاستخدام "الخمرة" في الطقوس والمناسبات وفي تقديم القرابين، مما ألجأ المشرع إلى تنظيم أسس هذه المهنة، مادياً واجتماعياً.

وبالاستناد إلى ما ذكرنا سيمكن أن نفترض أن جلعاش ربما قصد بائعة الخمرة سيدوري، إما لحاجته إلى الشراب، أو لتقديمه (الخمرة) قربانا للإله شمش. ولكن سيدوري -بحكم مهنتها المحكومة بالقوانين الصارمة، حين رأت جلعاش مقبلاً عليها، وهو في تلك الحالة المريية، توقعت أن يكون من المحتالين، أو من المسلطين عليها، مما دفعها، إلى غلق باب الحانة بوجهه، وأحكمت غلقه بالمزلاج.

نحن نقرأ في بداية اللوح العاشر من الملحمة، إنه بينما كانت سيدوري "السبابة" منهكة في عملها داخل الحانة، إذ أبصرت بجلعاش على مقربة من حانتها، وجسمه شبيه عال لا يعطيه سوى جلد أسود، وقد بدأ شاحب الوجه منهوك القوى بسبب سفره الطويل.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولكن جلعاش -عندما سمع صوت الرتاج رفع رأسه، ودفع البوابة بقدمه وخاطبها قائلاً: أيتها الشابة، يا صانعة الخمرة، لماذا تغلقين بوابتك... إنني جلعاش الذي أمسك ثور السماء وقتله، لقد قتلت حارس غابة الأرز، صرعت خمبابا الذي كان يعيش في الغابة، وقتلت الأسود في ممرات الجبال.

وبعد أن انتهى جلعاش من كلامه، راحت سيدوري تطرح عليه الأسئلة الواحد تلو الآخر، وهي تقول:

إذا كنت حقاً جلعاش الذي صرع الحارس

وحطم خمبابا الذي كان يعيش في غابة الأرز

والذي قتل الأسود في مسالك الجبال

وأمسك بثور السماء الذي نزل من السماء وقضى عليه

فلم ذبلت وجنتاك واغتم وجهك

وعلام حطام الحزن قلبك وتبدلت هيئتك
ودب الحزن في أعماقك
ولفح البرد وجهك والحرق
وجسمك لا يكسوه سوى جلد أسود
ولماذا جئت هاهنا هانئاً في المراعي بحثاً عن الریح؟ (22)
أجلها جلجامش بأن كل ما يعانيه من هم وحزن وما يكابده من غناء وتعجب إنما
بسبب موت صاحبه أنکیدو، وخوفه من أن يكون مصيره هو مثل مصير صاحبه:
فيا صاحبة الحانة وأنا أنظر إلى وجهك
أفكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهب
فأجاب صاحبة الحانة جلجامش قائلة:
إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قدمرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
أما أنت يا جلجامش فليكن كرشك مليئاً على الدوام
وكن فرحاً بتهجاً نهار مساء
واقنع الأفراس في كل يوم من أيامك
وامر قص والعب نهار مساء
واجعل ثيابك نظيفة نراهية
واغسل رأسك واستحم بالماء
ودل الصغير الذي يمسك بيدك

وأفصح الزوجة التي بين أحضانك
وهذا هو نصيب البشرية (23)

إن هذه الحكمة قد سمعها جلامش من الرجل العقرب الذي فتح له بوابة الجبل ودله على الطريق، ثم سمعها من الإله شمش بعد ذلك، وهاهو يسمعها من بائعة الخمر سيدوري. ومن المحتمل أن تكون سيدوري واقفة على مفترق الطرق، وإن جلامش بعد أن سمع الحكمة منها طلب منها أن تدله على الطريق إلى جده الأكبر أوتو سنيشتم.

كان جلامش مصمماً على عبور نهر الموت وصولاً إلى أوتو سنيشتم، لكن سيدوري وفرت له النصيحة كي تبعده عن الخطر قائلة:

ولكن يا جلامش هناك أورشابي ملاح أوتو سنيشتم
وعنده صور الحجر وها هو الآن في الغابة يتتلف النبات

فمسي أن تراء عينك
وإذا أمكنك فأعبر بصحبته
ولا فعد إلى وطنك.

بعد هذا الحوار، غادر جلامش بائعة الخمر سيدوري، وترى الباحثة إنه لم تكن سيدوري إلا محطة من المحطات التي توقف عندها في سفره الطويل المضني، وتبسط معها في الحديث لكي يبلغ مراده وهدفه في عبور البحر. وكانت مشفقة عليه من عبور بحر الموت، لذلك قادته إلى من يسهل له المهمة فهي في هذا المكان وبحكم مهنتها، على معرفة بالبحر وبالغابة، وبالأشخاص الذين يرتادون المكان.

سؤال نوجهه قبل أن نأتي على ما يشابه هذا النسق من العبور: هل تصد كاتب النص أن يكون للبطل في كل عبور امرأة؟ ولم المرأة بالذات؟ وهل المرأة هي محطة الرجل التي ينهي بها مرحلة، ليستقل منها أيضاً إلى محطة أخرى، فيها امرأة أخرى؟ لعلنا سنجد الجواب، وإن لم نجد الإجابة، فسيبقى السؤال مشروعاً ووارداً.

شمخة: حاملة عناصر الحضارة

شمخة (الحسناء التي أغرت أنكيدو) (24) نطلق الملحمة عليها ثلاث تسميات:

1- Harimtu ، وتعني "بغي" في البابلية، ويقابلها في السومرية (Kar -kid) ويرجح د. فاضل عبد الواحد، أن تكون هذه الكلمة مشتقة من الفعل البابلي "Haramu" بمعنى عزل، فصل، في إشارة إلى أنها كانت من طبقة معزولة وواطنة اجتماعياً.

2- Shamhtu* (من الفعل البابلي Shamahu)، أي يفع وشب وامتلا وتعني الكلمة "مومس" لذلك فهي قريبة من المعنى من Harimtu .

3- Shamhatu ، كانت واحدة من بين أصناف أخرى من النسوة اللواتي كرسن للبغاء في معبد الآلهة عشتار في الوركاء.

اعتبر مجمع وادي الرافدين في الأدوار الحضارية الأولى، البغاء مهنة مشروعة لكسب العيش بالنسبة للأرامل Alamattu والمطلقات، وهن في أغلب الأحيان من طبقة الأحرار، من اللواتي لم يكن لهن واسطة أخرى لكسب العيش لكنها كانت أهلاً للزواج والشهادة في المحكمة.

ولكن مع مرور الزمن، تغيرت نظرة المجتمع إلى البغي، وأصبحت كلمة "بغي" في الفترة الآشورية مرادفة للخزي والعار. وتهمة "البغاء" الموجهة إلى سيدة، إن لم تثبت بالأدلة، فإن الذي اتهمها يعاقب بالضرب والعمل الشاق في خدمة الملك لمدة شهر، ويعزل عن المجتمع ويدفع "تالنتاً" (*) واحداً من الرصاص (25).

وعلىنا أن نميز نوعين من البغاء أولهما "البغاء المقدس" الذي تمارسه بغايا المعبد* في طقوس الخصوبة والكثرة. وثانيهما، البغاء بمعناه العام المعروف عبر التاريخ، ولذلك اختلف الباحثون في شمخة فيما إذا كانت واحدة من بغايا المعبد، أم أنها من النوع الثاني الذي لا علاقة له بطقوس الزواج المقدس، ولكن الدلائل تشير إلى كونها من النوع الثاني، لأن طقوس الزواج المقدس تقتصر على فترات معينة من السنة، وفي الأحوال الاعتيادية يكرس بالبقاء في المعبد لخدمة الإله الذي ينتمين له.

لقد أوكل الصياد إلى شمخة أن تمارس البغاء بمعناه العام، بغض النظر عن الهدف الذي من أجله ستمارس هذا العمل، أما من حيث الفعل والهدف مجتمعين،

فإن شمعة أدت فعلاً مزدوجاً تجاه أنكيڊو، لا يمكن الفصل بينهما (ولأول مرة في مجمل الأدب العالمي، لنلقي بفكرة نشوء الإنسان من عالم الحيوان (*) مع فكرة حضارة الجنس البشري.. حيث بعد ذلك تلعب البغي دور حاملة البداية الحضارية كما أوردتها الملحمة، فعلمته الحرف الحضارية واستهلاك الخبز وشرب الخمر وارتداء الملابس.. وغيرها) (26) وبذلك فهي تنكير بالعصور البشرية الأولى، حينما كان الإنسان وهو قريب جداً من الطبيعة، يحيا بنقطة مع الحيوانات. وتتسنته على الحياة المتحضرة تشير إلى المراحل التي قادت الجماعات البشرية من حياة "الرجل" إلى حياة "الجماعات المدنية".

ففي هذا التطور نلاحظ باهتمام، المكانة التي توليها الملحمة لدور المرأة المنشئة للزراعة.. ونجد فيها أيضاً عناصر الطبيعة المختلفة، وما تشكله للإنسان، الغابة والبرية والسهب والعالم المتحضر.

وقد استطاعت شمعة أن توقع بأنكيڊو حتى صار صريع حبها، متمتعاً بجمالها، يتقرب من الناس الآخرين، تاركاً الوحوش والضواري التي نشأ معها في البرية. أنكيڊو يصبح بمعاشرته لشمعة المرأة، أكثر ذكاءً وفطنة فيحاول أن يأخذ مظهراً إنسانياً.

لقد أيقظت المرأة فيه الإحساس بالجمال، وهذا الإحساس بالجمال، الذي أكدته الملحمة، دخل لأول مرة بصورة حيوية في عملية تطور الإدراك كقوة جبارة لتحويل الكائن شبه الحيواني إلى إنسان متحضر.

نحس جسده المشعر

مسحه بالزيت، وبالبشر اقدى

وملبس امرئى، فصار يشبه البشر

ومن ثم أمسكت به من يده، واقتادته كما تفعل الأم بطفلها ذاهبة به إلى الوركاء لينازل جلجاش. وبذلك تفترق المرأة "البغي" عن البطل أنكيڊو، بعد أن أتمت دورها بإيقان، فاستطاعت أن توصل أنكيڊو إلى الدور الذي رسمته الآلهة له (*).

أما البطل أنكيڊو، فقد غابت عن ذاكرته شخصية البغي، ولكنه عاد فتذكرها

في لحظة شديدة التوتر في حياته، حين حكم الآلهة أن يقتل أحد البطلين الذين قُتلا
الثور السماوي:

قال آتو مخاطباً أنليل

لقد قُتلا الثور السماوي

كما قُتلا خبأبا الذي كان يحرس غابة الأسمز

ثم أضاف آتو قائلاً:

يجب أن يموت أحدهما

فأجابه أنليل

أنكيدو هو الذي يموت

أما جلجامش فسوف لا يموت (27)

وتحولت شمشة إلى مجرد ذكرى إذ بينما كان أنكيدو على فراش الموت،
أخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات، فود لو أنه لم ينتقل إلى الحياة المتحضرة
وظل في باديته سعيداً خالي البال يرضى مع الطلبة وحيوانات السهول، فأخذ يكيل
اللغات للبعث التي زينت له المعجزة إلى الأبد.

تعال يا شمشة أقرم لك المصير

لعنات لا تبطل إلى أبد الآبدين

سأعك لعنة كبرى

وتحل بك لعناتي في الحال

فلن يستهوي بيتك أحداً بعد الآن

وتتلا القذارة حضنك الثقيل

وبلبل السكارى أبى ثيابك بالقيء

ويكون تقاطع الطرقات مجلسك

والمنزابل مضجعك

وظل حيطان المدينة مكاثك
وبردي الحسك والشوك قدميك
وبلطم وجهك السكران والعطشان
وبعشم البوم في سقف دارك
وأن لا تشهدي عيداً في بيتك (28)

ومن المعروف أن البغي التي تتصف حياتها بالبؤس والشقاء، قد تنال مودة
واستحسان الملوك والأمراء والرجال الأقياء، فبعد أن صب أنكيكو لللعنات على
البغي، نراه يتراجع ويندم على ما بدا منه حين سمع الإله شمش يناديه من السماء:
مذكراً بإياه بأفضالها:

علام تلن البغي يا أنكيكو
تلك التي علمتك كيف يزكّل الحنن اللاتق بسمه الألوحيه
واستفك خسراناً بليق بسمه الألوحيه
وأبستك الحلال الفاخرة
وأعطتك جلجامش الوسيم خلاوصاً (29)

ويبدو أن أنكيكو ندم على كيل اللعنات للبغي قبلها بركات إذ يعاود خطابه
للبغي:

وسيقدمون لك اللانوررد والذهب والعقيق
وسيدعك الكاهن تدخين إلى حضرة الآلهة
ومن أجلك ستجهر الزوجة، ولو كانت أم سبعة (3).

هنا تنتهي قصة البغي شمشة مع البطل أنكيكو، وتكرر هذه القصة مع أبطال
آخرين رغم أنها تتخذ صوراً وأساليب مختلفة، فالملحمة تعرض صورة البغي
ومكانها في المجتمع بأسلوب بليغ، فهي مرغوبة من الملوك والعظماء ومن الشباب
والشيوخ، ومن الأزواج وغير الأزواج، ولكن الأخطر هو أنها مرغوبة أيضاً
بالنسبة للكاهن الذي (يدعها تدخل إلى حضرة الآلهة). ولكنها في نفس الوقت

مفقوتة ملعونة، لأنها تتسبب في كوارث اجتماعية لا تعد ولا تحصى. فما موقع شمشة من البطل أنكيديو؟

لقد تم التصميم من قبل الآلهة أن يخلق أنكيديو، والآلهة نفسها صممت أن يموت.

واختصرت البغي شمشة لتصطاد البطل في "فخاخ فن المرأة" لأن الصياد "الرجل" في الملحمة لم يكن يستطيع الإمساك بأنكيديو، وإن فعل ذلك، فسوف يكون الفريسة التي سيفترسها أنكيديو ذو القوة الهائلة التي يمتلكها ككائن "بري". كما لا يمكن أن توكل المهمة إلى امرأة أخرى من صنف الكاهنات أو أي صنف نسائي على جانب من العفة والكرامة في المجتمع، لأن القوانين كما أسلفنا -لا تسمح بهذا العمل لين أصلاً.

إذن، شمشة "البغي" هي المرشحة الأقوى للقيام بهذا الدور، فسلوكها مؤثر في البطل أنكيديو، فكان بالتالي -على يدها- هو الضحية المرسومة رسماً دقيقاً للوصول به إلى آخر حلقة من حلقات المسابقة الإنسانية، مسلمة الدور إلى عشتار، آخر ضلع من أضلاع المثلث النسائي الذي بدأ بنفيسون (أم البطل جلعامش). ولكأن المؤلف -مؤلف الملحمة- أراد أن يؤكد ضمناً أن موت أنكيديو كان بسبب المرأة التي قادتته إلى مصيره، بسبب إغرائها واستدراجها له.

عشتار: سقطة البطل

بعد أن حقق جلعامش انتصاره على خمبابا بمشاركة أنكيديو -وكسب المعركة في القضاء على الشر الذي يكرهه شمش، عاد إلى الوركاء: غسل جلعامش خصلات شعره الطويلة، ونظف أسلحته، رفع شعره من على كتفيه، خلع ثيابه الملونة، واستبدلها بثياب جديدة. ارتدى أثوابه الملكية وحزمها. عندما ليس جلعامش التاج، رفعت عشتار العظيمة عينها، وقالت إذ رأت جمال جلعامش: هلم إلى يا جلعامش وكن عريسي أعطني بذرة جسدك، دعني أصبح عروسك، وتكون زوجاً لي.

وبدأت عشتار تعدد للبطل جلعامش المكاسب التي سوف يكسبها، إن هو قبل الزواج بها، وكيف سينحني له الملوك والحكام والأمراء أمامه، ويقدمون له

الجزية، كذلك فهي تذكره بخصوصيتها كإلهة للخصب والوفرة، فهو حين يصبح زوجاً لها، سوف تذك نعاچه نواثم وعزلاته تذك ثلاثاً، ولن يكون لثيرانه نظير، إضافة إلى ما ستقدمه له من الذهب واللازورد.

فتح جلجامش فمه وأجاب عشتار العظيمة: "إذا اتخذتك زوجة. ترى ماذا أقدم لك من الهدايا مقابل ذلك؟ أي ألوان العطور والثياب لجسدك؟ أي خبز تأكلين؟ كيف أقدم طعاماً لإلهة، وشراباً لملكة؟ (31).

إن نبرة السخرية بادية في كلام جلجامش، لكنه تجاوز السخرية إلى التحدي والإهانة فأخذ يعدد مثالبها تجاه عشاقها وأزواجها، ومسخها إياهم إلى كائنات غريبة، مع كل ما قدموه لها من حب وقرابين وهدايا.

بعد أن جرح جلجامش كبرياء عشتار بغيرسته المعهودة، صعدت إلى السماء، وطلبت من أبيها أنو "إله السماء" أن يخلق لها الثور السماوي لينتقم لها من جلجامش:

يا أبي إن جلجامش سبني وأهانني
"أخلق لي يا أبتي ثوراً سماوياً"
ليغلب جلجامش ويهلكه (32) <http://Archiyebeta>

إن التحدي الثاني من قبل البطل جلجامش، أكبر من التحدي الأول، لأنه صرع الثور السماوي الذي خلقه كبير الآلهة "أنو" بمساعدة أنكينو، ثم قذفها بالفخذ الأيمن، وقال أنكينو ساخراً ومتحدياً:

لوانسكت بك لنعلت بك مثل ما فعلت به (أي الثور)
ولرطت أحشاءه يحييك.

ثم غسلا أيديهما في نهر الفرات
وساراً مراكبين في درب السوق
فاجتمع أهل الوركاء ليشاهدوها

وصار جلجامش يخاطب (مغنيات الوركاء) ويردد متباهياً:
"من الأنرهي بين الأبطال؟"

ومن الأجد بين الرجال؟ (33)

تلك هي "سقطه البطل جلجامش وصديقه أنكيو" السقطه المأساوية التي كان نتيجتها موت أنكيو بأمر من الآلهة، عقاباً على قتل "الثور السماوي" وردا على تحديهما للآلهة.

يقول لابات مفسراً سلوك جلجامش إزاء عشتار: "إن النداء الوقح الذي يوجهه جلجامش في النشيد السادس إلى الآلهة عشتار، هو لا شك، انعكاس تهكمي لمفهوم بائد لعبادة الآلهة. وفي هذا المعنى يقول آخرون، إن لتحدي جلجامش تبريراً ملحماً صرفاً نابعا من المطامح والقوى غير المحدودة، ومن عدم الرغبة في التراجع حتى أمام الآلهة. ويتخذ تحدي جلجامش (الذي تلتاه إله وثلاثة بشر) معنى أكثر عمقا، فهو (يحتج ضد حقيقة أن الإنسان رغم أنه يمكن أن يصبح شخصية بطولية، أجدر من الآلهة، إلا أنه رغم ذلك يبقى كائناً فانياً) (34).

كان موقع الإنسان أمام الآلهة، قد تغير كما يبدو، وتوجد رسائل من العصر البابلي القديم تشير إلى أن المرء قد توجه إلى الآلهة راجياً وبصيغة مطالبة بل وحتى بصيغة تهديد مبطن فإن لم يتحقق الطلب المقدم إلى الآلهة، فسوف ينتقم الإنسان بالتوقف عن تقديم الهبات (القرابين) بعد ذلك أو بالتقليل منها، أو بعدم الالتزام بمواعيدها المنتظمة..

لقد اصطبغت علاقة الإنسان بآلهته، بصيغات شخصية، بل وإنسانية جداً، فقد تحولت مشكلة المجموعة إلى مشكلة الفرد.

لكن المنهج الأنثروبولوجي يتناول قضية (جلجامش - عشتار) من جانب كونها تمثل علاقة الرجل "الذكر" بالمرأة "الأنثى"، وأن لها جذوراً تعود إلى عصر سابق على الزراعة حين كان نشاط الذكور بالصيد والبستنة المجزيين، مقارنة بنشاط النساء القائم على القطف واللقط.. والنتيجة تصبح تقابلاً بين الجنسين، يجعل من النساء كائنات حبيبة في الواقع ومحقرة جهاراً، وتمثل أيضاً النشاط الذكوري اللغسي بالتجارب والمغامرات بالقياس إلى النشاط النسائي، بما فيه من طمأنينة رتيبة واهنة، كوهن اللقط والقطف المحكوم بالرياح والأمطار والعاصفة (35).

لكن الذي يطرحه كلنغل، يمكن أن يكون قريباً نوعاً ما من الواقع النفسي والديني للفرد في المجتمع البابلي آنذاك فهو يعكس تمرد البطل الإنساني وتحديه بأنه

كان للوعي الفردي ذي الطابع البابلي القديم انعكاسه في الأدب، فأدخل نموذجاً جديداً للبطل، يرمز إلى الإنسان الناجع في الحياة، الرجل الذي حقق ذاته، لكن هذا الوعي المتنامي للشخصية بالذات، والذي أراد الوصول إلى مستوى الآلهة، وجد من الظلم والتعاسة، أن يكون الإنسان في الدنيا -على العكس من الآلهة- غير خالد (36) وأيامه محدودة، بينما استأثرت الآلهة بالحياة الخالدة، وهي عين المساء القائمة في التناقض بين الإنسان والإله.



هوامش البحث:

(1) "بعض" هذه المواد القانونية مجبولة النسبة لا يعرف لها مشروع، أشار لها الدكتور فوزي رشيد في (الشرائع العراقية القديمة) دار الرشيد للنشر (بغداد 1979). ص 11.

(2) ضلال السوادي الكبيرة، سلسلة الموسوعة الصغيرة -دار الشؤون الثقافية (بغداد 1992). ص 132.

(3) عسراوي. ثلثا سبستان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين (بغداد 1978). ص 34.

(4) إن الملك ليت -عشتار كان من أورائي المشرعين وقد سبقت تشريعاته المسماة باسمه، تشريعات حمورابي بأكثر من قرن واحد، ويمثل قانون ليت -عشتار على ما يرجح -حضارة السومريين -تمثيلاً كبيراً ويرى الأستاذ طه باقر أن كلا من ليت -عشتار وحمورابي كان من ملوك السلالات السامية الغربية التي تأسست بعد أن قضى العيلاميون على سلالة أور الثالثة (السومرية العظيمة) بزمن قصير (ينظر باقر، طه، قانون ليت -عشتار ومملكة أشنونا، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد 1987)، ص 10 - 11، 24 - 25).

(*) إن قانون مملكة أشنونا المكتشف في تل حرمل (تل محمد حالياً) أقدم القوانين المنونة التي جاعتها من العراق القديم، ويعتبر أقدم شريعة كشف عنها البحث حتى الآن. يقول طه باقر (إذا كان ليت -عشتار قد أصدر قوانينه قبل حمورابي بنحو 164 - 175 سنة فيكون زمن قوانين حرمل أي قوانين مملكة أشنونا نحو قرنين من الزمان قبل إصدار شريعة حمورابي ويصادف زمن إصدار قوانين أشنونا العهد الذي استقل فيه ملوكها بعد سلالة أور الثالثة بزمن قليل فكانت الحاجة شديدة لملوك هذه المملكة إلى إصدار شرائع في مملكتهم خاصة بها)، باقر، طه، المصدر

السابق، ص 42، 44.

(5) يعتبر الملك أورنمو مؤسساً لسلسلة أور الثالثة 2111 - 2003 ق. م وشريعته تعتبر في الوقت الحاضر أقدم شريعة معروفة لدى الإنسان. ولكن هناك شرائع عراقية أخرى أقدم من شريعة أورنمو ولكنها لم تصل إلينا بعد، حسب رأي الدكتور فوزي رشيد، (ينظر رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، دار الرشيد للنشر (بغداد 1979)، ص 25).

(6) إنبتو: تمثل كلمة Entu صيغة التأنيث من الاسم الأكدي Enu أي "الكاهن الأعظم" وفي السومرية En ومعنى إنبتو "السيدة الآلهة" وكان لها مركز ديني واجتماعي مرموق وتأخذ مركز الصدارة في قوائم الشخصيات المهمة.. وتكون الكاهنة عادة إما ابنة الملك أو أخته، (ينظر: عقراوي ثلماستيان، المصدر السابق، ص 167).

(7) ناديتو: Naditu صنف من النسوة اللواتي نهرن أبائهن إلى المعابد لخدمة أحد الآلهة: ناديتو لشمش، ناديتو لننورتا، لندوخ، لسن.. الخ ومنع عنهن الزواج والإنجاب، وتعود معظم الكاهنات "ناديتو" إلى الطبقات العليا، وكان من بينهن عدد من الأميرات (ينظر عقراوي ثلماستيان، المصدر السابق، ص 73 - 175).

(8) قانشتو Qadistu: مركز من في المجتمع كان تون الكاهنة ناديتو، وأعلى من المرأة كلمانيتو، باستطاعتها الإنجاب وإرضاع أطفال غيرها من النسوة، وليس هناك دليل أكيد يشير إلى أن الزواج كان ممنوعاً لها، وهذا هذا بالباحثين إلى اعتبار هذا الصنف من النساء من بغايا المعبد، (عقراوي ثلماستيان، المصدر السابق، ص 180).

(9) كلمانيتو Kulmasitu: مننورة لوجه Votarees وتعود معظم الكاهنات من هذا الصنف إلى العائلات الغنية (عقراوي ثلماستيان، المصدر السابق، ص 181).

(10) شوكييتو Sugeitu: ينكرون من بين اللواتي شاركن في احتفالات الزواج المقدس.. تذكر شريعة حمورابي أن للشوكييتو حق الزواج والإنجاب (عقراوي ثلماستيان المصدر السابق ص 184)

(11) سال زكروم Sal - Zikrum لها علاقة بالمعبد ولكنها ليست مننورة إلى إله معين، ومركزها الاجتماعي تون الكاهنات وبقية المننورات (عقراوي ثلماستيان، المصدر السابق، ص 185)، (ولمعرفة المزيد عن أصناف النساء يرجع فوزي رشيد، الشرائع، المصدر السابق، ص 152).

(*) المنا والشيقل: من مصطلحات المكابيل التي كانت تستعمل في العراق القديم. كلنغل،

فورست، المصدر السابق، (تتظر المواد حسب تسلسلها في الصفحات 173 - 177)، وينظر:

(12) رشيد، فوزي، شرائع العراقية القديمة، المصدر السابق، ص 117.

(13) باقر، طه، الملحمة، المصدر السابق، ص 76.

(14) ن. م، ص 86 - 87.

(15) باقر، الملحمة، المصدر السابق، ص 86 - 87.

(16) يقول لابات في تفسير هذه العلاقة بأن الأحلام المنفرة التي يقصها جلامش على أمه وجيوده في الحلم لإزاحة صخرة هبطت من السماء بحضور المدينة كلها، هي من المرجح تذكر برتبة اجتياز قديمة كانت اختباراتا تحيل الشاب إلى محارب (ينظر: لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، المصدر السابق، ص 162).

(17) باقر، طه، الملحمة، المصدر السابق، ص 70.

(18) ن. م، نفس الصفحة.

(*) الإلهة "أي" أو "أية" زوج شمش، وهي تمثل الفجر مثل الآلهة اليونانية "إيوس" Eos والرومانية "أورورا" "Aurora".

(*) حراس الليل هم الآلهة الموكلون بحراسة الليل، والآلهة "أينين" الإله القمر الذي اعتنوا فيه أنه أبو الإله شمش حيث يتولد النهار من الليل.

(19) رو، جورج، المصدر السابق، ص 279 / لمعرفة المواد القانونية التي تصب في موضوع احترام الأم ينظر رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة (في صفحات متفرقة).

(20) تتظر المادة 110 من شريعة حمورابي، (رشيد فوزي) ص 136.

(*) ويختفي ذكر بانسات الخمرة من النصوص المسمارية بعد العصر البابلي الوسيط، مما يدل على أن هذه المهنة أصبحت على الأرجح بعد هذا التاريخ من اختصاص الرجل فقط. (ينظر: عقراوي، ثماسيان، المرأة دورها ومكانتها...، المصدر السابق، ص 190 "الحاشية").

(21) باقر، طه، لبت - عشتار، المصدر السابق، ص 51 (تتظر المادة 15 من قانون أشنونا).

(22) هذه الإضافة عند ساندروز في السطر الأخير ليست موجودة عند الدكتور فاضل

- عبد الواحد، (ينظر ساندنر المصدر السابق، نفس الصفحة).
- (23) باقر، طه، الملحمة، ص 137-138. ن. م، ص 129.
- (24) عبد الواحد، فاضل سومر: أسطورة وملحمة، المصدر السابق، ص 192.
- (*) من أسماء المكابيل في العراق للقديم.
- (25) رشيد، فوزي، الشرائع، المصدر السابق، ص 260. فكرة النشوء من عالم الحيوان، إشارة إلى عملية خلق أنكينو في البرية من قبل الإلهة أورورو (الباحثة).
- (26) ترافيموف، ب، س، جماليات ملحمة جليامش، ترجمة عزيز حداد، منشورات دار مكتبة الصياد، (بغداد 1973)، ص 168.
- (*) وهي من جانب آخر الصورة التي رسمتها الذهنية الجزرية لصورة البطل في مراحل تطوره النفسي والحضاري وإعطائها تديراً قديماً.
- (27) عبد الواحد، فاضل، سومر: أسطورة وملحمة، المصدر السابق، ص 210.
- (28) عبد الواحد، فاضل، الملحمة، المصدر السابق، ص 212.
- (29) باقر، طه، الملحمة، المصدر السابق، ص 121.
- (30) ن. م، ص 122.
- (31) ساندنر، الملحمة، المصدر السابق، ص 70.
- (32) باقر، طه، الملحمة، المصدر السابق، ص 112.
- (33) باقر، طه، الملحمة، المصدر السابق، ص 116.
- (34) إيسبورغ، يا إي، موسوعة نظرية الأنث، القسم الأول، المصدر السابق، ص 175.
- (35) شتراوس، ليفي، الأنثروبولوجيا البنوية، ترجمة مصطفى صالح (نشق 1977)، ص 143.
- (36) كلنفل، هورست، المصدر السابق، ص 84.



الآثار الإسلامية

في العراق

■ دراسة : ماري أوديل روسيه ■

ترجمة : دنورا أريسيان

المقدمة

عندما نستذكر بلاد الرافدين، تتبادر إلى الأذهان فوراً صور السومريين والآشوريين وأسماء مدن مثل نينوى وبابل. في الحقيقة، كانت هذه المنطقة التي تشكل قسماً كبيراً من العراق أرضية للأبحاث الأثرية التي تتناول الحضارات الكبرى. إلا أن التاريخ لم يتوقف عند سومر، فخلال الفترة الحديثة أضحت هذا البلد مهداً للشعوب أخرى.

ماذا نعرف عن هؤلاء الناس، خاصة عن الذين شهدوا صدر الإسلام؟ ماذا كانت الدراسات المختلفة التي أقيمت بهذا الموضوع تحت بطاقة الآثار؟

تلك هي الأسئلة التي تشكل أساس هذا البحث. ورأينا أنه من الضروري إجراء بحث مماثل حول منطقة كانت لها أهميتها في تطور الحضارة الإسلامية.

تشمل الحدود الجغرافية لهذا البحث العراق الحالي، وتمتد الفترة الزمنية من الفسوحات الإسلامية حتى بداية الغزو العثماني. وللإيضاح، ثم التأكيد في بعض الأحيان على مواقع هامة تعود إلى ما قبل الإسلام.

يقدم هذا العمل تقريراً للبحث في الآثار الإسلامية في العراق. وقد رأينا من المناسب أن نقيم بياناً يكون قريباً من الكمال من معلومات بيبليوغرافية متوفرة حالياً.

ومن أجل تحقيق التوثيق المطلوب لهذا البحث، قمنا بالاستعانة بأنواع متعددة من الوثائق. إن المؤلفات العامة حول الهندسة الإسلامية تقدم وفي كثير من الأحوال نصباً تذكارية محافظة. وتزود فيارس المؤلفات حول الفترة الإسلامية، بمعلومات أكثر رغم أن القسم المخصص للآثار مقتضب.

فسيما يتعلق بالعراق فإن كتاب ر. إيليس (بيبلوغرافيا المواقع الأثرية في بلاد الرافدين) يبين مصادر المواقع.

نشرت الإدارة العامة للآثار في العراق عام 1970، ثم أعادت النشر عام 1976، (أطلساً للمواقع الأثرية في العراق) حيث يتضمن مصادر المعلومات التي أحصتها إدارة الآثار القديمة حول مواقع تتوزع خلال 18 فترة زمنية، وكذلك أدرجت خريطة المواقع الأثرية في العراق.

يعتبر عمل ألبيرت الحايك أحد أهم المؤلفات الهامة لبحثنا هذا الذي يقدم قائمة بالمواقع المدروسة منذ 1842 وحتى 1971. وتتضمن القائمة قسمين: التنقيب والمواقع المنقبة. وقد تم تحديد مكان كل موقع عبر خارطة نشرت من قبل الإدارة العامة للآثار في العراق عام 1959.

الجغرافيون العرب: <http://Archivebeta.Saki>

كان الحكماء العرب الكبار الذين كتبوا عن العراق في الفترة الإسلامية هم حتماً جغرافيين. في الفترة التقليدية، كانت هذه المنطقة مركزاً للإمبراطورية، وأضحت مدن الموصل وخاصة بغداد مراكز فكرية هامة، وتم إنشاء أول مدرسة عراقية للجغرافيين في العاصمة.

كان ابن خرداذبة (820 — 826 / 885 — 912) في كتابه "المسالك والممالك" وكذلك اليعقوبي (توفي عام 897) والمسعودي (توفي عام 956)، يعتبرون العراق مركزاً للعالم، وبغداد "سرة الأرض". وهناك تيار آخر لهذه المدرسة يمثلته ابن الفقيه (كتب عام 903) وقدامة (القرن العاشر) حيث يقدم مكة مركزاً للعالم.

إن هذه الأعمال وما لحقتها تتعامل مع الجغرافية الوصفية والرياضية والإنسانية والتاريخية. ويعطي ابن الفقيه نظرة واسعة عن بلاد الرافدين مع عناصر متعددة من الفولكلور ووصف للعمارة.

تتبع مدرسة البلخي الشكل الذي ابتكره أبو زابد البلخي، من خراسان (كتب عام 920) ويتضمن وصف العالم عن طريق المناطق والأقاليم. فقد عاش 8 سنوات في العراق وتم نقله عبر ابن حوقل وأصله من الجزيرة. سافر كثيراً من عام (943 - 973). وهذا السرد يستند إلى المراقبة المباشرة مثل سرد المقدسي (عام 1000). فبالنسبة له، ينتمي العراق إلى الإقليم الرابع، أقليم بابل المعروف بسماته المعتدلة والأخلاق العالية وثقافة سكانه. وبالمقابل، لم ير بعض الرحالة من العراق سوى منطقة البصرة.

من بين الجغرافيين، بين القرن الثاني عشر والرابع عشر يمكن أن نذكر الأندلسي. والجامع المعروف والرحالة الكبير ياقوت الحموي، وكذلك ابن جببر ولد في 1145، وزار الكوفة وبغداد والموصل والجزيرة.

أما بالنسبة لوصفه للمدن فقد كان ينقل عن ابن بطوطة (ولد في طنجة 1304 - وتوفي عام 1377) الذي عرف بعلاقاته مع الهند وجنوب شرق آسيا وأفريقيا والعواصم العربية.

على الرغم من أن الجغرافيين، في هذه الفترة، كانوا يعتمدون على الوصف المباشر فكانوا يميلون إلى تخصيص أصال أسلاقيهم أكثر من نقل تجاربهم الخاصة، وبشكل عام كان للرحالة العرب ذات النظرة تجاه البلد.

في القرون الوسطى، كان العراق ينقسم إلى منطقتين. العراق الذي يشكل أساس بلاد ما بين النهرين يحده من الشمال تكريت على نهر دجلة وهيئة على الفرات ومن الغرب حدود حافة السهل، ومن الشرق الحدود الحالية بين العراق وإيران إضافة إلى خط على طول طريق شط العرب وحتى الجنوب. إن منطقة الجزيرة القديمة في شمال العراق مقسمة اليوم بين العراق وسوريا وتركيا.

يبين وصف الجغرافيين المناخ والمسافات بين المواقع والثقافة والدين وكذلك النشاط الزراعي والحرفي. وهناك اهتمام خاص بالمشكلة المتعلقة بالمياه، وبنهري الفرات ودجلة وكذلك بتفرعاتهما وأقنيتهما، وبنهر الإسحاق، وبنهر الثرثار، وبنهر المالك وبنهر نيل...

إن الوصف الإقليمي الأكثر دقة يعود إلى المقدسي، فالعراق مقسم إلى ست دوائر مركزها الكوفة، والبصرة، ووسط بغداد، وخلوان (إيران حالياً) وسامراء.

وبالمقابل، فإن السبك مقسم إلى وحدات سجلات عقارية تساعد على توزيع الضرائب العقارية.

ولا ينسى الجغرافيون وصف الآثار الهامة والمعابد التي زاروها أو سمعوا عنها، وهي منجم معلومات بالنسبة لعلماء الآثار. يشيرون إجمالاً إلى قوس (إيوان كسرى) وأنقاض بابل ومنحوتات علي (النجف) وحسين (كربلاء) وأنقاض الحيرة وسامراء. ورماد نار إبراهيم (الكوت) ومقابر القديسين في الكوفة والبصرة وبغداد.

إن المصادر الجغرافية المترجمة غالباً في القرن التاسع عشر ضرورية لدراسة الحضارة الإسلامية، وكانت تستخدم بشكل واسع في أبحاث علم أصول أسماء الأماكن التاريخية.

إن عملية إعادة قراءة المصادر العربية، حيث لم يكتمل نشر بعضها بعد، تحدد جغرافية بلاد الرافدين في عصر القرون الوسطى.

فسيما يتعلق بالطوبوغرافية، فقد أقيمت عدة دراسات حول المدن. يروي أ. هوبنغسن في مقالة حول الموصل في (الموسوعة الإسلامية) وتطور المدينة بفضل المعلومات المستنقاة من البلاذري وابن الفقيه وابن حوقل والمقدسي والقزويني وبقاوت الحموي. وهؤلاء يعطون خاصة دلالات حول بناء الجوامع والمقابر والحصون وتندر المعلومات حول الطرقات والجسور والسكن. إن روايات الجغرافيين تنقد في استخلاص تاريخ النصب التذكارية أكثر من التاريخ المدني.

علم الآثار قبل القرن العشرين:

كان الجغرافيون يترددون على بلاد الرافدين منذ القرن الحادي عشر وكان بعض التجار الأجانب يسجلون رحلاتهم. ومنذ ذلك الوقت، وحتى القرن العشرين وهي تجذب الباحثين. وقد تقلص عدد الرحالة أثناء الفترة الهائلة التي سبقت قدوم العثمانيين إلى الحكم في القرن السابع عشر والثامن عشر، زارها العديد من الرحالة الأجانب. كانت الأنقاض التي زاروها أكثر حماية من الوقت الحالي. في الحقيقة، يبدو أن هناك إسراعاً في عملية التقيفهر. إن نظرتهم تجاه

النصيب التذكارية تختلف عن نظرة الجغرافيين العرب. لكن ليس بالضرورة أن تكون أكثر واقعية، وما تركوا لنا من مخططات تساعدنا على إعادة بناء بعض الصروح المختفية منذ انتقاليهم.

ونجد أن بلاد الرافدين تستقطب الباحثين الذين يبدؤون التنقيب أكثر فأكثر، وهم قبل كل شيء العثور في الأرض على آثار مدائن الكتاب المقدس.

هناك عدد من الباحثين ممن بحثوا في بابل ونقبوا منذ عام 1681. ووصفوا القرى والمدن والمواقع الأثرية. وبحثوا في طرق الإبحار في دجلة واهتموا بالامبراطورية الآشورية. بعد عام 1840 بدأت الحكومات الأجنبية بوصاية التنقيب في العراق. في البداية أرسل الفرنسيون باحثاً إلى نينوى عام 1842. وأول فريق عمل أمريكي نقيب منطقة بابل عام 1885. أما الألمان فعملوا في تل الجني عام 1887. وفي نهاية الأمر، كان الهدف الأساسي ل هؤلاء أن يأتوا بقطع متخفية، فجميع أعمال التنقيب التي نفذت في تلك الفترة الزمنية سمحت بتحديد عدد من المواقع التاريخية.

أعمال العراقيين وتشريع التنقيب

بدأ التنقيب المنهجي في العراق بشكل رسمي في 21 شباط 1884 بعد صدور القانون العثماني حول الآثار القديمة. وبعد تشكيل الحكومة العراقية الوطنية في 23 آب 1921 تم تشكيل إدارة للآثار القديمة وتم إصدار قانون جديد لوقف إخراج التحف الفنية.

وبعد هذا التاريخ لم يكن باستطاعة المتاحف الأجنبية الحصول على قطع إلا إذا اعتبرت نسخة مضاعفة، وابتداءً من عام 1934 بقيت الاكتشافات الأثرية تحت ملكية الدولة.

أنشأ متحف العراق في عام 1923 عندما قدمت غرثرود بيل بعض القطع في السرايا. وفي عام 1926 نقل المتحف إلى مبنى في شارع المأمون وعام 1926 إلى خان المرجان ثم إلى المكان الذي يحتله في الوقت الحالي، في حي شليخيا عام 1963 وتم تشييده في 9 تشرين الثاني عام 1966.

بدأ العراقيون التنقيب منذ عام 1936، وكانوا يهتمون أكثر بالمواقع

الإسلامية على عكس ما تفعل الفرق الأجنبية. وبهذا تطمح أعمالهم إلى تركيب خريطة العراق للآثار بفضل جملة من أعمال التنقيب العامة.

في عام 1965، تركّز العمل الأساسي على التنقيب أكثر من الحفر، وبدأت تحريات محلية في مناطق مختلفة. وفي نفس الفترة، أعلنت الجريدة الرسمية وضع الآثار تقريباً في 7000 موقع أثري على الأرض، حيث جمعت إدارة البحوث الأثرية ووثقت حولها.

في نهاية الستينات، بقيت بعض المناطق غير معروفة على مستوى الآثار مثل جنوب شرق وجنوب غرب (أور) والمناطق المتاخمة للبحيرة.

أظهر العراقيون اهتماماً متصاعداً بالنصب التذكارية في بلادهم بعد ثورة تموز 1968. بعد المشاريع الكبيرة للسود التي بدأت منذ 1977 توجب إقامة بنية تحتية أهم من السابقة، وانقسم البلد عام 1980 إلى أربع مناطق أثرية شمال جنوب شرق غرب تلّزم بالاهتمام بالتوثيق والتنقيب وترميم الأبنية الأثرية والتاريخية والمتاحف والمعارض وكذلك مشاريع إنقاذ كبرى.

التنقيب بمقياس كبير

ابتداء من بداية القرن العشرين، بدأت الفترة الإسلامية تؤخذ بعين الاعتبار في الدراسات الخرائطية العامة. وقد صدر العديد من الدراسات والمؤلفات بعد عام 1900، بعد عمليات البحث في مناطق بغداد وبابل من قبل الألمان والفرنسيين وغيرهم. فهذه الأعمال أتت بدراسات مرفقة بملاحظات أثرية، كانت وستبقى تستخدم في دراسة أسماء الأماكن التاريخية.

التنقيب الإقليمي

سوف نعرض فقط حملات التنقيب الإقليمية التي سمحت باكتشاف المواقع الإسلامية. في الجدول الآتي شرح للتنقيب الذي يهمننا. هذه المعطيات نسبية لأن بعض التواريخ تقريبية، وفي مجمل الحالات أخذت بعين الاعتبار المواقع الأساسية فقط.

بعض اللوحات حول الأعمال التي نفذت: بين عام (1925 – 1926)، قام

الباحث ر. دوغرتي من المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية باكتشاف المنطقة الجنوبية من بابل واستخدم بحثه عام 1953 من قبل توركيل جاكسون في عمليات التنقيب عن المنطقة القديمة من إمبراطورية أكاد، ثم من قبل روبرت مالك أدامز في 1957 في إطار أبحاث التنقيب العامة في العراق في جامعة شيكاغو وقد درسوا تطور السكان في المنطقة نسبة إلى استخدام نظام الري.

قام الباحثان سيتون لويد وجيرار رتلنكر من جامعة ليفربول بالتنقيب في عام 1938 في منطقة سنقر وكان هدفهما ترميم المواقع في تلك المنطقة للتمكن من وصلها بمنطقة الخابور في الشرق. وكان رتلنكر مهتماً بالمواقع الإسلامية وقد جهز قائمة بعشرات المواقع.

المنطقة التي نقيبت واسم من قام بالتنقيب	السنوات	المواقع الإسلامية
بابل (وارد)	1885	5
مركز العراق (مانيون)	1907-1908	14
العراق (هيرفند)	1907-1908	23
العراق (بيل)	1909	15
بابل - الجنوب (دوغرتي)	1915-1926	4
سنقر (رتلنكر)	1938	16
أكاد (أدامز)	1953-1957	1
البصرة (رو وسوليكي)	1953-1958	7
مركز الرافدين (أدامز)	1956-1960	424 - 87
كيش (جيسون)	1970-1973	118
الثرثار	1949	4
القائم	1949	3
دربندي خان	1956	7
حمرين	1977-1980	20
القاسية	1977-1987	12
إسكي موصل	1980-1987	35
شمال الجزيرة	1987-1988	4

كما نلاحظ، فإن أهم أعمال التنقيب قامت بها المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية. وتمت دراسة النمو السكاني في عدة مناطق من العراق، وقام جاكسون بتحديد 119 موقعا، أما أدامز فحدد 867 موقعا غطى فيها 16 فترة زمنية من 4000 ق.م. وحتى 1957م. فهذه المعطيات تعتبر أساسا للأبحاث. وقد ترك أدامز سلسلة خرائط تبين توزيع المواقع حسب الفترة الزمنية لخدمة نظام الري وصرف المياه. قدمت خريطة وحيدة من أجل فترة الاحتلال مابين 637 و1500م. وهي مقسمة إلى فترات: الإسلام القديم والعباسين والسمراء مع تقييب قائمة بأسماء الأماكن. وبهذه الدراسة استطاع أدامز أن يحيك لوحة السكان وأظهر نظاما لمنطقة لا حدود لها ومن ثم ألحقها في مجموعة منطقة الرافدين. ولابد من الإشارة إلى أن هذا البحث تعرض لعدة انتقادات ومنها أن الخرائط تبين أنظمة الري التي لا وجود لها على الأرض.

نفذ مالك غوايار جيبسون نفس الأسلوب على منطقة (كيش) في 1966 – 1967 منطقة شط النيل، القناة التي تصل دجلة بالفرات. أقام جيبسون خرائطه تدريجياً من المنطقة المكتشفة عبر المتينة الكبرى لكي يصل إلى التغييرات التي حصلت جراء القنوات وتحديث العمارات القروية. ومن جهة أخرى، كان بأولو كوستا من معهد الدراسات الشرقية في نابولي مفعولاً بدراسة المقابر الموجودة على القناة في الفترة الإسلامية.

ورشات الإنقاذ. أعمال الري:

في نهاية الخمسينات، باشرت الدولة العراقية بتنظيم ضبط مسار الأنهر وإعادة تدبير نظام الري، كان من الضروري العمل على حصر المياه وبناء سدود وأبنية. ولهذا فإنه تم تنظيم سياسة إنقاذ المواقع الأثرية المهددة بالهدم شيئا فشيئا. وحدث هذا الاهتمام في زمنين تماثيا مع مرحلتين من الأعمال الكبرى.

السدود التي أقيمت بين 1913. 1962

بعد إنشاء السد الأول (هندية) عام 1913 توقفت أعمال توزيع المياه في العراق بعض الوقت. ولم نجد أي إشارة لحفريات للإنقاذ سبقت هذا البناء، وهذا ليس غريباً في هذه الفترة. منذ عام 1948 وحتى 1962 باشرت الحكومة العراقية

بمسلسلة من 8 سدود. كانت إدارة الآثار مسؤولة عن متابعة التحريات والدراسات ما عدا مشروع (جرمو) في كردستان عام 1951 ومشروع حوض الزاب الكبير عام 1954 حيث أجريت دراستها في المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية. وقد ظهرت آثار الإسلام عند تنقيب حوض الزاب الكبير لكنها لم تكن دقيقة. إن تنقيب حوض (دكان) الذي نفذ في 1957-1958 من قبل فريق أمريكي ترك 4 مواقع إسلامية. إن المثال الوحيد على أعمال المشاركة العراقية - الأمريكية في هذه السلسلة من الأعمال هو حوض دبالا - نهر أوين شرق بغداد الذي اضطر إدارة الآثار إلى سير قناة عرفت في العهد العباسي باسم نهر أوين حيث اختفت على أطراف سامراء. وهذا التنقيب سمح بالعثور على مواقع أخرى مثل بني الغنيد. وكما رأينا قام الأمريكيون بسير منطقة دبالا، وكافة المشاريع الأخرى تابعتها إدارة الآثار. فمشروع وادي الثرثار سمح عام 1948 بالتنقيب عن 4 صروح إسلامية في المنطقة الشمالية لبحيرة الثرثار. أما (القائم)، على الفرات، بجانب الحدود السورية والأقل أهمية فقد ترك 3 مواقع.

أظهرت أعمال الردم الهامة من أجل تحقيق مشروع تنظيم الفرات الأوسط (مسيب الكبير) في المنطقة بين الخيلي والناصرية 63 موقعاً. وأهم المواقع دخلت في السبر بعد التحقيقات بين 1955-1958 ومن بينها خمسة مواقع إسلامية.

بني خزان عام 1962 (رشدي خان)، جانب الحدود الإيرانية، فاضطر الأمر إلى تنقيب سهل شهرزور بين 1955-1956. وقد قمنا بفهرسة 11 منشأة إسلامية، حيث تكمن واحدة على (طب بكر أوا)، أهم موقع في المنطقة والذي لم يشمل في القائمة. وقد نشرت هذه الأعمال في كتيب وكذلك في مجلة سومر.

في مجمل الأحوال، نشرت هذه الأعمال بإيجاز، عدا سهل شهرزور وحوض دبالا حيث نستفيد من بحث أدامز. إن مؤلفات بريدود التي تعالج فترة ما قبل التاريخ تترك مكاناً بسيطاً للإسلام. وفي النهاية، فإن دراسات مشروع (مسيب) أودعت في أرشيف إدارة الآثار، فبات من الصعب تكوين صورة محددة عن الأعمال في الفترة الإسلامية انطلاقاً من أعمال الإنقاذ تلك، فكان مصدرنا الأساسي قائمة البيرت حايك التي تقدم المواقع الأساسية فقط.

السدود الكبرى 1977. 1988

السلسلة الثانية من المشاريع الكبرى التي تتجه لتحسين التحكم بالمياه في بلاد الرافدين تتضمن بشكل أساسي 3 سدود وهي:

(حمرين) على دبالا و(قادسية) على الفرات وسد (اسكي موصل) على دجلة. فقد اختلفت الأعمال في تلك المدن حسب التنظيم. في الحقيقة، تم الإعلان مع هذه الأعمال عن رؤية جديدة للعمل بالآثار في العراق. واتبعت العراق مثال بلاد أخرى في الشرق الأوسط وقامت بدعوة لمشاركة دولية لأول مرة، وتعاونت الفرق الأجنبية في المشاركة مع المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث.

أما الفرق العراقية الأخرى فقد كانت تابعة لجامعة الموصل أو جامعة بغداد. لقد استثمر العراق كثيراً في ورشات الإنقاذ هذه وأخذ على عاتقه قسماً من التكاليف الإدارية للفرق الأجنبية للإقامة والعمل. وقد اختارت هذه الفرق أماكن عملها بنفسها وقد نشرت نتائج التنقيب المختلفة في مجلات العراق.

جرت أعمال الإنقاذ في حوض حمرين بين 1977 - 1982 وعين مدير المنطقة مشرفاً على المشروع. وكانت الدول المنظمة: النمسا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإيطاليا واليابان. كانت دراسة حوض حمرين تشكل اهتماماً خاصاً لأسباب عدة. فموقعه في مركز المساند الجبلية الأولى لزاغاروس يشكل وحدة جغرافية مثيرة للاهتمام. إن التفرعات المتعددة التي تروي دبالا تشكل منطقة جذابة في بلد صحراوي. وفي النهاية، كانت طريقاً هاماً للعبور إلى إيران. في القرون الوسطى، كانت طريق القافلة باتجاه الحسين نقبوس من الوادي. وعلى سطح الحوض أي 450 كم مربع أحصي 75 موقعاً وقد تم احتلال 20 موقعاً في الفترة الإسلامية، وأظهرت حفريات مختلفة حركة تطور تواجد الإنسان في المنطقة.

سمح مشروع حوض حديثة لتدخل علماء الآثار بين 1978 - 1984. وقد تم تغيير تسمية المشروع إلى القادسية عام 1983. كانت الفرق تأتي من ألمانيا وكندا وبريطانيا وإيطاليا واليابان وبولونيا. وقد تم تنقيب ضفاف نهر الفرات وثلاث جزر كانت قد خربت في الفترة الإسلامية. كما وأجريت أعمال ترميم في هذا المشروع. فقد أعيد بناء مئذنة جامع في قرية جديدة وحفر 12 موقعاً إسلامياً.

بدأ مشروع حوض (اسكي موصل) عام 1981 واستمرت الأعمال من 1985 – 1986. وقد احتوى هذا المشروع على أكبر عدد من حفر الإنقاذ في الفترة الإسلامية. وقد شملت نتائج الحفريات على أبنية مختلفة كالمسكن والمقابر والأبنية الدينية وغير الدينية. وعند تحليل ذلك نتبين أنه في حوض حميرين أكثر من نصف المكتشفات كانت مقابر ومن بينها المقابر القديمة الإسلامية. وفي ورشات القادسية لم يسجل أي نموذج على المستوى الإسلامي.

وعلى العكس، نرى اهتماماً بالأبنية الدينية السكنية. أما فيما يتعلق باسكي موصل فقد تم التركيز على الأبنية الكبرى مثل الخانات أو القصور ولم يتم حفر أي بناء ديني. هذه المنطقة التي عرفت السيطرة البيزنطية فترة أطول أبتت على سكن مسيحيين، وقد عثر على كنائس. وفي جميع الأحوال، كل هذا يدل على الاهتمام بالآثار الإسلامية. فهي مهمة في ورشات حميرين وحاضرة في القادسية وبلغت الحد القياسي في اسكي موصل. نفذ في 1987 – 1988 مشروع الري في شمال وشرق الجزيرة. وقد أنجزت دراسة حوله مما سيسمح بتحديد نتائج الأعمال في حوض اسكي موصل.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Saknrit.com>

أعمال الإنقاذ الأخرى

كان من الضروري إتمام دراسات أخرى من أجل تطور الاتصال والمراكز المدنية. وبذلك، نفذت حفريات الإنقاذ في الفلوجة أثناء إنشاء سكة الحديد في بغداد. ومن جهة أخرى فإن إنشاء الطريق الدولي الذي يصل شقوان والبصرة ببغداد وسوريا اضطر إلى تدخل علماء الآثار الإسلامية عبر 4 ورشات. فقد تم التنقيب عن مواقع قبشان درويش وغور الحميد التي تبعد عن بغداد بـ 35 كم عام 1980 – 1982. وتابعت الأعمال في منطقة البصرة في 1988 على موقعين، وقد تركت هذه الأراضي أبنية للسكن.

إن امتداد المدن فتح المجال أمام أعمال الإنقاذ غير المنتظمة. ففي بغداد سمح بناء مركز الكهرباء بحفر تل أبو شحير. أما مد المدينة نحو الشرق بعد تبني مشروع (مدينة بغداد الحديثة) عام 1946 فقد أدى إلى إجراء عدة دراسات لكن ليست من الفترة الإسلامية. وفي الجنوب تطور مدينة البصرة أعطى المجال لأعمال إنقاذ هامة من قبل أ.الغزاوي.

الدراسات المبرمجة . تنظيم المدن

إن الأبحاث المتعلقة بتنظيم المدن مبنية على 3 أقسام: في البداية أعمال الترميم العراقية ثم دراسات التطور المدني، عواصم موجودة منذ وصول الإسلام أو أنشأت من قبلهم وأخيراً أصال المدن الأخرى.

أعمال الترميم: تتعلق أعمال تنظيم المدن في القرون الوسطى التي نفذاها العراقيون غالباً بترميمات حسب التطور السياحي. أظهرت الحفريات أو بالأحرى أعمال التنظيف التي سبقت الترميم دراسة تاريخية وجغرافية حول عناصر مختلفة لذات المدينة يمكن أن تستخدم في دراسة تطورها.

في بغداد، سمح ترمي (خان مرجان) في أيار 1973 بالعثور على مستوى الأرض الأصلية. اقتضت الأعمال الضخمة لإعادة (المدرسة المستنصرية) التي دمجت على مر السنين مع السوق ورممت عام 1945 و1960 إلى تحليل كامل للمبني حيث نفذ هـ. شميث. وقد اتخذ بيانات مصورة بين 1962 – 1963 أساساً لدراسته الأثرية. ثم درست سليمة عبد الرسول قصر العباسيين الذي رمم الآن. وقام طارق الجناحي بدراسة وتحليل الباب الوسطاني، الأثر الوحيد عن تحصين المدينة الشرقية. واهتم هؤلاء بالنيكور ولم يجلوا هذه الصروح في إطار تطور المدينة.

إن أعمال الترميم التي سبقت الحفريات خارج بغداد لم تكن كثيرة: ففي البصرة أعطى خالد خليل حمودي العزامي بيانات أثرية في ترميم مسجد (القولز) وقام عبد الستار العزاوي بحفر (ذو الكفل) قبل ترميم المسجد.

العواصم:

نقدم في هذا القسم الدراسات التي أنجزت حول مدينتي سيفون والحيرة، على الرغم من أنهما لم تلعبا دور العواصم في الفترة التي تهتما، حيث أن دراسة المدن الكبرى المكتشفة عبر المسلمين عند وصولهم إلى العراق تبدو مهمة لتحليل الحضارة الإسلامية.

سيسفون

سميت منطقة سيسفون في العصر الإسلامي من قبل الجغرافيين العرب بالمداين. وحسب التقاليد فهي مؤلفة من 7 مدن وحسب اليعقوبي كانت خمسة. من الطرف الشرقي (المدينة العتيقة) سميت سيسفون أيضاً بالقصر الأبيض الشهير الذي اختفى في القرن العاشر. و(اسببور) على بعد كم ونصف جنوباً و(ايوان كسرى) و(رومية) حيث أقام الخليفة المنصور فترة من الزمن. ومن الطرف الآخر للنهر يقع (ببه أرداشير) أو (بهوراشور) مدينة أرداشير التي سميت فيما بعد (كوخا) أو (كوشا) ثم (تل بارودا) وأخيراً سبط (بلس اباد) وقد أقام الفرس والساسانيون مدينتهم مكان العاصمة اليونانية القديمة (سيلوسي) التي أنشأت عام 300 ق.م.

إن التحدي الذي يواجهه الباحثون هو محاولة معرفة المدن المختلفة مع العلم أن مسار دجلة اختلف خلال الأزمنة. خلال عام 1968 – 1969 أظهر الفريق الألماني وجود الإسلام في (شوش) على تل بارودة ثم على (تل المعرض) عام 1931 – 1932. عمل الأمريكيون هناك فترة سنة أشهر ولكنهم نشروا القليل. بدأت الحفريات من جديد عام 1967 مع الفريق الإيطالي، فقام الباحثون الألمان والأمريكان بتحليل تطور المدن من العهد السيليوستي حتى العهد الإسلامي عبر إعادة تفسير ودراسة المادة. وكانوا يعملون في مناطق قريبة من طق كسرى وتل عمر.

وفي الأعوام 1981 – 1983 عملت في المنطقة فرق من المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث.

الحيرة

تم فتح عاصمة اللخمين، الحيرة، في 633 من قبل الفاتحين المسلمين. وقد اشتهرت بأديرتها، وجاء ذكرها من قبل الجغرافيين العرب مثل ياقوت في معجم البلدان. وبقيت حتى القرن العاشر رمزاً للعظمة المسلوقة. وعرفت المدينة بقصورها كقصر الصدر والخورنق.

جرت الحفريات الأولى في 1931 – 1932 من قبل باحثين من جامعة

أوكسفورد. قاموا بسبر المدينة واستخلصوا مبنى كبيراً بطابقين لم تعرف هويته وكنيستين. وأقيمت عمليات على مواقع مجاورة.

في عام 1959، كان فريق من إدارة الآثار يعمل في الكوفة فقام بسبر (أم عرفة). وفي عام 1972 قام فريق إيطالي - عراقي بحفر مقبرة قديمة ساسانية تحمل معالم إسلامية. وفي النهاية، عمل فريق فرنسي برئاسة أوليفيه لوكونت على هذا الموقع ولكن بوقت محدد بسبب قرب التجهيزات ذات الأهداف الاستراتيجية للحكومة العراقية. ومع ذلك، استطاع الفريق جمع بعض قطع الخزف من قرن خزفي لدراستها لاحقاً.

إن إشعاع الحيرة في فترة ما قبل الإسلام واختيار موقع الكوفة أول عاصمة للمسلمين إلى جانبها والملاحظات التي سجلناها على أرض الواقع تسمح لنا بالتفكير أن هذا الموقع لعب دوراً هاماً في تكوين الهندسة الإسلامية.

الكوفة:

أنشأت مدينة الكوفة منذ عام 638 من قبل سعد بن أبي وقاص وأصبحت مقراً للخليفة الراشدي علي بن أبي طالب (656 - 661). من أوائل المهتمين بالكوفة لويس ماسينيون الذي قام (1935 - 1940) بشرح المخطط حسب المعطيات الواردة في بناء المدينة. ثم قام هشام جعيت بمتابعة العمل واستخدام نتائج الحفريات وقام بدراسة بروز المدينة الإسلامية. ثم حصر الحفريات لدار العمارة ما عدا بعض الأسوار في المدينة. وقد نشر محمد علي مصطفى نتائج الأبحاث في مقالات بين 1954 - 1964.

في عام 1067 أعاد كاظم الجناي دراسة ماسينيون وقدم نتائج الحفريات لدار العمارة والجوار. انحنى الكثيرون أمام مخطط دار العمارة، أقدم قصر مدني تم التفتيح عنه حتى اليوم، محاولين تفسير بدايات الهندسة الإسلامية أو فك المخطط البدائي لستطور المدن، ولكن من المؤسف أن لا يتوفر سوى هذا المخطط لأول مدينة إسلامية في العراق.

بغداد

إن الدراسات العامة حول مدينة بغداد متوفرة. حاول غاي لوسترانغ عام

1900 إعادة تركيب طوبوغرافيا بغداد في العهد العباسي انطلاقاً من كتابات الجغرافيين. وإن كتابات اليعقوبي وياقوت هي الأكثر استخداماً وكذلك ابن جببر وابن بطوطة، حيث تشمل ملاحظات عديدة حول طوبوغرافيا المدينة والأبنية الرئيسة.

يعتبر (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي دراسة أساسية لكنها لا تتعدى القرن الحادي عشر. قام المقدسي بتحليل تطوير المدينة في تلك الفترة وأول دراسة حول المدينة كانت لنيبور حيث يظل تاريخه صحيحاً. أما ما كتب في رحلات باكنهام وولستد التي نشرت عام 1827 و1840 فهي قيمة أيضاً ولكنها تنفقد إلى المصادر التاريخية.

يعود أول تنقيب في بغداد إلى فيليكس جونز الذي زار الآثار وكتب ملاحظاته حول أسماؤها وأماكن توضعها حتى الأقل أهمية. وتجدر الإشارة إلى أن أعمال العراقيين أنفسهم عن بغداد تعد هامة مثل أسوسي وم. جواد وم. ألوسي.

كانت مدينة بغداد في القرون الوسطى تتشكل من قسمين كبيرين: على انعطاف دجلة على الضفة الغربية، المدينة الدائرية المنصورة، ومن الشرق المدينة المحصنة من قبل المستظهر عام 1095. وتم المحافظة على باب المدينة وهو السبب الوسطاني. وهدم باب الظلم أثناء الأعمال عام 1917 وأعيد بناؤه في الثمانينات. وعلى جانب النهر تقع المستشرية وقصر الخلفاء العباسيين. يضم إلى قسمي المدينة عدد من الأحياء مثل رصافة وشماسية ومحرم ومحول والكرخ وبعض الجسور.

قام ج. لاسنر عام 1970 وأ. لايدوس عام 1973 بدراسة تنظيم مدينة بغداد في بداية القرون الوسطى من العهد العباسي. وقد تطرق لايدوس إلى المدينة ما قبل الإسلام وبرز نوع جديد من المدن بعد الفتوحات. فبرأيه كانت مدارس القنانون تلعب دوراً هاماً في إعداد مخطط المدينة. فهناك دراسات حول بغداد حسب الأحياء أو أنواع الأبنية. وقد اهتم الحديثي عام 1973 بتغذية المياه من الضفة اليمنى، أما لويد والنقشبندى فقد قاما بدراسة المدرسة المرجانية.

أجريت دراسات على المساجد من قبل س. ألوسي في 1968. وقام معهد الآثار العراقي - الإيطالي وإدارة الآثار بدراسة كاملة عام 1971، فقاموا بفهرسة

الآثار الإسلامية التي تم الحفاظ عليها في بغداد، ولم يكن أي كتيب أو فهرس كامل يضم الآثار المختلفة. كانوا ينظمون أبحاثهم حسب الأحياء ويعيرون اهتماماً خاصاً بالحمامات. ويبدأ وصفهم لحج الكرخ ثم الرصافة، وقاموا بتسجيل وصف وتاريخ البناء إضافة إلى الصور.

قام اليولوني أ. باسيتا بدراسة حي الكاظمية، وبالأخص اهتم بالأبنية المتواضعة المتجمعة حول المسجد الشيعي الذي دمج مع مقبرة قديمة من القرن التاسع، وعلى الأغلب يعود تاريخ هذا المسجد إلى بداية القرن السادس عشر.

درس باسيتا هذا النمط من المدينة الذي عمم بالمسجد وقارنها مع أمثلة مختارة من المغرب حتى إيران، وتبين دراسته الحالة الأتنية أكثر من الأثرية.

نرى أنه لم يكن من السهل دراسة المدينة في بغداد في القرون الوسطى. فإن الأعداد الضخمة من الآثار المحفوظة من هذه الفترة وغياب الحفريات يحد من إمكانية تجديد المعلومات.

سامراء

أنشأت مدينة سامراء في عام 834 من قبل المعتصم ابن هارون الرشيد الذي خلف أخيه المأمون. وقد أعطى اليعقوبي تفاصيل عن تنظيم المدينة الجديدة. من بين الخلفاء الثمانية الذين تعاقبوا كان المعتصم أكثرهم بناءً وكذلك ابنه المتوكل الذي قام بتوسيع المدينة نحو الشمال.

كما أشرنا سابقاً فإن رواد الآثار هم فرنسيون، حيث كان لويس دو بيليه ولويس ماسينيون أول من زارا سامراء. لقد نفذ السبر الأساسي من قبل فيولي في قصر الخلفاء عام 1907 ثم استكمل إيرنست هيرزفيلدت الحفريات حتى الحرب العالمية الأولى. عمل أيضاً على المسجد الكبير في بالكوارا وقصر العاشق في تل عليق وعلى عشرة بيوت قرب المدينة الحالية. وترك لنا المخططات الأولية للمدينة. وبقيت أعماله لفترة طويلة المصدر الوحيد لفترة العباسيين. إن حفريات العراقيين في سامراء جرت في 1936 و1939 في مدق الطابول وشارع العظم في كرايسا وكذلك في حويصلة في الطرف الآخر من دجلة الذي اختفى. بدأت أعمال الترميم عام 1936 في أبو دلف ثم استؤنفت عام 1944 في المسجد الكبير

في الملوية وفي قصر العائش وفي قبة الشليبية على الضفة الشرقية من دجلة. في عام 1963 حفريات أ. حميد أظهرت حياً للسكان في غرب المسجد الكبير. في عام 1978 استؤنفت عمليات الحفر والترميم وظهرت منطقة سكنية من عام 1979 — 1982 وكذلك قبر أبي دلف بجانب المسجد الذي يحمل نفس الاسم وأجريت له ترميمات جديدة.

يعمل الفريق البريطاني الأسترلوري منذ عام 1981 في سامراء. وقد وضعت إدارة الآثار مشروعاً (لتطوير المدينتين التوأمتين سامراء والموكبية). ووضع الفريق مخططة حسب معطيات الصور الملتقطة من الجو في العشرينات وحتى الخمسينات. وأجرت حملات تنقيب على الأرض عام 1983 — 1989 مما سمح بتحديد عدد من مخططات أبنية وتاريخ أحياء مختلفة. حيث استطاع أن يبرهن أن الاحتلال امتد من عصر ما قبل الإسلام وحتى القرن الثالث عشر. وبرأيه أنه من الواضح تواجد معسكرات حول القرى الموجودة سابقاً وليس بشكل عيشي. لقد حاول تحديد خطة تطور المدينة في سامراء وترك دراسات بحسب الأحياء أو تركيبها.

ونجد أن الأبحاث المدنية الوحيدة التي استخدمت الآثار بشكل حقيقي هي دراسة سيسفون التي تقدم رؤية تاريخية لتطور المدينة، وكذلك دراسة سامراء التي تعرض تقديماً أفريقياً للموقع وهذه الدراسات تحدد شيئاً فشيئاً تطور المدينة على مر الزمن.

المدن الكبرى الأخرى

عند قدوم الإسلام، لم يكن هناك أمام نينوى سوى دير أنشئ عام 570م. وفي القرن العاشر كانت مدينة الموصل تملك سوراً نصف دائري ومسجداً تم ترميمه عدة مرات، وقد عرفت تطوراً هاماً في زمن سيطرة السلاجقة في 1127.

وقد نشرت أغلب الدراسات عن المدينة في مجلة سومر من قبل سعيد الديوازي عام 1947 — 1964. وكانت تشمل على جدار وأحياء ومدارس وقلاع. وتم تخصيص العديد من الدراسات حول المساجد أو مقابر القديسين. وحسب معلوماتنا، هناك دراسة واحدة حول المدينة في النجف وهي عبارة عن

تحليل لجدران التحصين.

أنشأت مدينة واسط في 702 – 705 من قبل الحجاج، على منتصف الطريق بين البصرة، الكوفة والحلوان. جاء ذكرها عند الجغرافيين العرب جراء موقعها من دجلة ولكن بسبب تغيير مجرى النهر أضحي وصف المدينة غير صحيح. وقد جرت أعمال الحفريات بعد تحديد الموقع. وقام فؤاد سفر بأبحاث حول المساجد مثل جامع الحجاج الذي ضم إلى دار العمارة، ويضم البحث مخططات لأبنية تعطي لمحة عن الخزف هناك. درس المقديدي حسب تلك المعطيات مخطط المدينة في الفترة العباسية، وتأتي أعمال التنظيف والترميم لتهيئة المدينة من أجل استثمارها سياحياً.

أنشأت البصرة في القرون الوسطى عام 635 وكانت ميناء هاماً للتجارة على الخليج العربي ومدينة لعبور المسافرين. قام لويس ماسينيون، كما سبق بتفسير مخطط المدينة معتمداً على النصوص. وبدأ رالف سوليكي بالحفريات في الزبير في نيسان عام 1953، وحدد مرحلتين أساسيتين للاحتلال في تحليله لمسجد الإمام علي والعديد من المنشآت السكنية، درس أ.عاجي ود. علي نمو الاقتصاد في المدينة عبر أسواقه وحلوا وتوضعات الأسواق وتكوينها.

تعتبر الأعمال التي نُجزت على الملأ الكبرى في بلاد الرافدين في القرون الوسطى أقل مما أنجز على العواصم وتعتمد بالأخص على النصوص. والحفريات التي تنفذ تتعلق بالآثار الرئيسة كالمساجد أو القصور ونقل على المنشآت السكنية أو المناطق الحرفية عدا حالة البصرة. ولهذه الأسباب كان الباحثون يميلون لتحديد مناهج أخرى لتحليل المدنية، فمثلاً أوليك كرابار يعرض المدينة بناء على المساجد.

الهندسة

سوف نورد ثلاثة أنماط من البناء: الأبنية المحصنة كالقصر والخان والأماكن المحصنة. والأبنية ذات الطابع الديني، المساجد والمدارس القرآنية والمقابر والأضرحة، وأخيراً هندسة البيوت.

الأبنية المحصنة.

تجتمع تحت هذه التسمية كافة الأبنية التي يشتمل شكلها الخارجي بطابع التحصين. وكان لفظ القصر يستعمل من أجل الدلالة على ذلك ويمكن لتلك الأبنية أن تستخدم لأغراض السكن أو التجارة أو الدفاع.

هندسة القصور

لقد تمت دراستها في منطقة المدينة مع دار العمارة في الكوفة. الدراسة عبارة عن مثال وحيد لقصر مدني في العصر الأموي أطلق بأكمله في العراق مما أشار التعليقات. بالنسبة لروشن أياكون هذا النوع من المخططات، سور مضاعف على مسند نصف دائري وتوزع محوري للأقسام الهامة كالباحة (الإيوان) وصالة الاستقبال، سوف تؤثر على الهندسة الأموية.

لم يتم حفر دار العمارة في واسط بالكامل لكنها تعرضت للسبب مما سمح بتحديد أنها، كما في الكوفة والبصرة، وصلة من القصر إلى المسجد منضدة على حائط القبلة.

لقد اختلفت قصور بغداد كلها ولم تعرف مخططاتها، لكن وصلنا مقال ج. سوردويل حول الفن في بغداد في الفترة العباسية حيث يعدد القصور المختلفة التي وجدت في بغداد.

يعود الفضل في معرفة قصور العباسيين في العراق إلى أعمال التنقيب والحفريات لموقع سامراء. تعد قصور الخلفاء على الأرض سبعة. على النهر، للمعتصم (الجوسق الخاقاني) وللمتوكل (قصر الجعفري) وبالكوارا بناء المتوكل لابنه والقادسية. وعلى الضفة الغربية الحوالية عرفت كقصر المعتصم وقصر العاشق بني عام 878 من قبل آخر خليفة في سامراء المعتمد والاستبلاط. يمكن لمقر سكن آخر أقل أهمية أن يعتبر قصراً، ويقع على سور أشداس وسور غيريرية والمشرحة في شمال شرق القادسية، وقد كانت بقايا من أهل المقامات العليا في الدولة.

قام فيولي ثم هيرزفالت بالحفريات في الجوسق الخاقاني. وقام الأخير بأبحاث في بالكوارا وقصر العاشق. عمل العراقيون عام 1930 في الحوالية في

المنطقة المركزية فقط. وقد تمت الحفريات في القصور الأخرى من قبل نورترج. إن أكبر مسافة لتلك القصور تصل إلى 500 متر على وجه التقريب، تطل على دجلة حيث الضفة مفروشة بالحدائق والأحواض. وتظهر عدة أشكال لكن يغلب عليها الشكل المربع مع ترتيب محوري في الداخل. لم يبق قصر العاشق، الأكثر تواضعاً، كالأخرين بسور ضخم كي يحمي الحدائق والتوابع. إن لاثنتين من هذه القصور مخططات خاصة وهي الاستبلاط المطولة مع ترتيبات داخلية بشكل متناظر، والقادسية الذي لم ينته وهو مسور بشكل مثنى. بنيت هذه القصور خلال فترة 56 سنة عندما كانت سامراء عاصمة، مما يبين عزم كل خليفة على محو سلفه وإضافة أشياء معينة على أبهة الفترة الأولى للعباسيين. لم تكن القصور المنعكس الإيجابي لهندسة القصور، إنها تمجيد لعبقرية للمهندسين في سامراء.

كان قصر الأخيضر يعتبر القصر الوحيد في صحراء العراق لمدة طويلة ويشك في تأريخه. فحسب دراسة ورنر كاسكل أقيم القصر عام 762 من قبل عيسى بن علي وكان يسمى قصر المقاتل. ويبدو أنه يخلط ما بين الحصن الذي اكتشفه ب. فينستر وشملت عام 1973 في تل الأخيضر. فبالنسبة لكروسل أقيم القصر عام 775 بعد تعاقد عيسى بن علي وقبل أن يعتبر الخلفاء سامراء كعاصمة عام 836.

يمكن ذكر دراسة لويس ماسينيون حول الأخيضر ثم جاء كروسل عام 1930 – 1936 ليضع مخطط القصر. فتح أول سور من أربعة مداخل ويقع السور الثاني على الجهة المعاكسة. وفي الداخل فقد شيد البناء بشكل محوري. ويقود المداخل إلى القسم المركزي المؤلف من سطحين ومحاط بممر ثم باحة ومنطقة المسجد، وقد بنيت أربع شقق حول الباحات الثانوية.

أخلت المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث عام 1975 منشآت ملحقة في شمال الحصن. في عام 1980 – 1982 تم حفر حصن ذي سطح قائم الزوايا على بعد 300 متر شمال غرب. وكانت أساسات السور ذات المساند الدائرية من الحجر. وقد ظهر بالقرب منى آخر بقاعات حول الباحة من الفترة العباسية. إن الاكتشافات في السنوات الأخيرة تجعلنا نفكر بأن هذه الأبنية المؤرخة من العهد العباسي ليست كما نظن (قصور في الصحراء) معزولة حيث بنيت لإرضاء

لرغبة وذوق أحد الحكام. ويجب أخذ الأمور بشمولية كي نعبّر بشكل صحيح. فمن الممكن أن يكون قصر المقاتل في الشمال على الطرف الآخر من وادي عبيد أهمل بعد بناء هذا القصر.

لقد تمت حفريات على بيوت أقل أهمية في نيليا وخرية اليستان وعنبه، حيث وجدوا قطعاً متجمعة اعتُبرت كقصر في الصحراء من العهد الأموي. ويعود مبنى سومفا إلى نفس الفترة الزمنية وكذلك الأمر بالنسبة إلى أم عارف الموجود في منطقة الحيرة. وأخيراً، تعود العناصر الجديدة والمفيدة في دراسات القصور العراقية إلى أعمال نورج في سامراء.

الخانات:

يقدم كارل مولر في عمله حول خانات الشرق الأوسط نشر عام 1920 نوعين من الأبنية: خانات الطرق وخانات المدن. والمثال الوحيد لخانات المدن هو خان مرجان ويوجد في بغداد وقد بني في القرن الرابع عشر. وهو عبارة عن غرف متفرقة تتوزع على طابقين وتفتح على باحة واسعة. تمت دراسته من قبل المنظمة الحكومية للآثار القيمة والتراث قبل ترميمه عام 1972.

يبني الخان أمام اجداراً منوياً بشكل مربع مع مساند نصف دائرية ويسند غرفاً تطل على باحة مفتوحة السماء ومسجداً صغيراً يشارك في المبنى. هذا هو نموذج الخان الذي رآه مولر في خان حرنينا.

درست جامعة البصرة في تل الشويبة بناء يتضمن عند المدخل إيواناً وعدداً من الغرف المرتبة.

لقد تم اكتشاف العديد من الخانات في حوض اسكي موصل: في حربوك وبكاك وخرية مشرفة ومشقينة.

وجد ج. رتلنغر عدداً من الأمثلة في منطقة سنغر في اسكي موصل وكوتشوك كوبرو وخرية الخان حيث يعود تاريخ بناؤه إلى بين 1234 – 1258 حسب تقرير من أبو ماريّا يشار فيه إلى ياقوت. فكل هذه المنشآت بنيت من الحجر وتعود إلى القرن الثالث عشر.

لقد درس كل من باربرا فينستر وجورجن شميدي المنطقة بين الفرات

والصحراء السورية. وكان هدفهما عام 1973 تحديداً على أرض الواقع للأبنية المختلفة المحصنة والمذكورة من قبل الجغرافيين العرب. فقد زار العديد من باحثي الآثار والرحالة في بداية القرن عدداً من المناطق التي ذكرها ياقوت مثل ماسينيون وميسل وبيل حيث وضعت العديد من الفرضيات في إطار تاريخي - جغرافي. في الحقيقة شكلت هذه المنطقة في الفترة ما قبل الإسلام طريقاً دفاعية ضد قبائل الصحراء العرب السوريين، ولكن بعد ذلك، أضحت من الطرق الرئيسة لمرور القوافل التي تضم الخليج العربي مع البحر المتوسط. إن اختيار الطرق لا يعتمد فقط على الشروط الجغرافية بل على التجهيزات الأولية.

وفي هذا المنظور تمت دراسة المواقع المختلفة: بحر الملح وتل ضبة وأبو غير وتل الحرايب ونقرة السلطان وتل أب صخر وقصر شمعون وتل الأخيضر. أما عطشان ومجيدة وبيير النص وأم قرن وطالحة وحمان فهي محطات على طريق مكة.

كل هذه الأبنية لها شكل مربع مع أبراج وسطها نصف دائري. ويتوضع المدخل في مركز أحد الجوانب. والقاعات حول الباحة أحياناً على صفين ولا تحتل بالضرورة الأوجه الأربعة. ويمكن أن يكون المدخل محصناً. ترافق هذه الأبنية تجهيزات مائية وأحواض وآبار وخزانات وأقنية.

بالنسبة لفينستر فإن هذه الأبنية حتى ولو كانت تذكرنا بخانات إيران إلا أنها ليست للعامة بل شخصية. وتقريباً في كل الحالات، فإن هذه القصور التي تعود إلى فترة الأمويين أو بداية فترة العباسيين فقد أعيد بناؤها فوق أو إلى جانب المنشأة الأولية من ذات الطراز ولكن بمواد مختلفة.

تقدم هذه الأعمال مخططات لمواقع مختلفة وتثير الاهتمام بمعطياتها ويبقى النقاش مفتوحاً حول استخدامها. لقد كانت دراسة الخانات معمقة أكثر من أشكال الأبنية الأخرى.

الساحات المحصنة:

إن هذه المنشآت المحصنة تحمل طابعاً دفاعياً بحتاً. لقد ذكرت قلعة الموصل عدة مرات من قبل الجغرافيين العرب. وبحسب المقدسي (985 - 986) كانت

تسمى المربعة. وبحسب ابن جبير (1148) القصر - القلعة وتقع على مرتفع من المدينة وتسمى ناش طيبة، وقد ذكر ياقوت عن دمارها في عام 904.

لقد أضحت ثلاث مناطق محصنة موضوع بحث لعلماء الآثار. وقد كشفت الحفريات في ياسين تبة عن حصن من صفيين من الغرف على طرفي الباحة. في أربيل عام 1984 تم تشكيل (لجنة تطوير قصر أربيل) ولكنها اهتمت أكثر بعمليات الترميم وحددت أعمال الآثار بالتنظيف. من المرجح أن تكون قلعة مدينة القنيطرة والتي قدمها هارون الرشيد إلى زبيدة كهدية، من العهد ما قبل الإسلام، وأقيم السور من الطرف المقابل لدجلة وله مساند بزوايا قائمة، ولم يدرس هذا النوع من الأبنية حيث غالباً ما يعيد الأشكال القديمة.

الهندسة الدينية والجنازية

المساجد

أقام كروسل مخططاً لمسجد المنصور حسب النصوص، حيث يقع في مركز المدينة الدائري في بغداد. وقد دلت الترتيبات المتواصلة على وجود ثلاث مراحل للبناء في عام 766 أو للتوسيع (808 - 809). ويتألف المسجد من سطح مربع مع باحة أروقة مضاعفة.

إن مساجد الكوفة وواسط هي أيضاً مساجد أموية. فجدار القبلة مسند إلى قصر الخليفة أو الحاكم. كانت المساجد في المدينة القديمة في واسط تكتشف بشكل منهجي. إن الحائتين المختلفتين لمسجد الحجاج يقدمان اتجاهين مختلفين تماماً. والمسجد الثالث أفرغ خلافاً للثنتين الأولين.

حافظ المسجد الكبير في الزبير عام 1972 - 1973 على إحدى المئذنتان على ارتفاعها، ويقدم حائط القبلة أشكالاً تزيينية من القرميد.

إن المساجد الكبرى العباسية في سامراء هي مسجد الجمعة بمئذنته المشهورة، الملوية، التي بناها المعتصم، ومسجد أبو دلف شيده المتوكل في 860. وقد قام كروسل وهيرزفلت بدراستها وقد رُممت عام 1940 - 1944. هناك سور يحيط بهما وطولهما مهيب ولكل منهما مئذنة تقابل حائط القبلة.

والمثال الآخر والوحيد في العالم الإسلامي للمئذنة على الشكل اللولبي هو مسجد ابن طولون في القاهرة. في أبو دلف، ضم منزل خليفة إلى القبلة، وقد كانت قد اكتشفت من قبل المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث في 1978 - 1980 . وهناك باب يسمح بالدخول مباشرة إلى المسجد وقد اتبع هذا الشكل تحسباً للقتلة. بقيت مساجد سامراء على شكلها الأصلي وأعطت صورة أمينة للهندسة في تلك الفترة.

وتعتبر المساجد الأخرى من النوع المتواضع. نزع الردم عن مسجد متوسط الأهمية في خربة، تطل قاعة الصلاة على باحة مبلمة بالقرميد فيها أروقة والمحراب بجانب المنبر مزين بكتابات. وقد شهدت ثلاث مراحل من الاحتلال من القرن الثالث عشر وحتى الرابع عشر.

أطلق العديد من المساجد أثناء أعمال مشروع القادسية. وقد نشرت دراسة حول مقام علي من قبل ف. سار عام 1908. فقد وجدت مقبرة عثمانية في المنشآت القديمة. كان مسجد ذو أعمدة رمم عام 1193 بملك ملحقاً لغرفتين مشن الشكل يوحى بالمآثم، وبقرية مسجد آخر أكثر تواضعاً من الفترة الأموية أو بداية الفترة العباسية. لقد أعيد استخدام أول بناء عباسي في قانيا، مسجد مع ملاحقه، في الفترة العثمانية. وكانت المئذنة قد تغير مكانها وأعيد بناؤها في قرية حديثة. ونجد هذا التاريخ في الخيلية حيث تملك المساجد قاعة بسيطة قائمة الزوايا من الحجر وباحة.

وهناك العديد من المساجد الخاصة ذكرت في مواقع مختلفة. وكانت متداخلة في المنازل ومخططها بسيط: وجهة مكة لم تكن بالضرورة مبنية بحجرة. وفي عنة فإن المحراب مغطى بقبة. هناك مثال آخر للمسجد الخاص في تل الأخيضر نقب من قبل ب. فستر. ومخططه بسيط مؤلف من قاعة للصلاة قائمة الزوايا وباحة مربعة الشكل، وحجرة المحراب مزخرفة.

هناك بعض الدراسات عن المساجد أقيمت قبل الترميم. تلك كانت حالة المظفرية في أربيل وقرية والبصرة. يؤكد علماء الآثار في المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث على الزينة بشكل عام ويكتفون بدراسة هندسية دون الوصول إلى الحفريات حيث تكون غير ممكنة في أماكن دينية فاعلة.

تم نشر الدراسات عن مساجد بغداد عام 1966 من قبل العزاوي وعام 1968 من قبل ألوسي. من بين المساجد القديمة بقيت منئذ الحفائين التي بنيت عام 1184 من قبل زمرد خاتون، ومنئذ سوق الغزل والقرية والجنائز التي تتبع الآن مسجد معروف الكرخي. وقد تم بناؤها في القرن الثالث عشر على وجه التقريب. يمكن أن يعود مسجد عمر سهروردي الواقع إلى جانب باب الوسطاني والمبني على مقبرة حتى عام 1234، وقد رُمم في القرن الرابع عشر. إن بعض الأقسام من مسجد العقولي المرمم تعود إلى القرن الرابع عشر كالتقو والمئذنة. وكافة المساجد الأخرى المحفوظ عليها في بغداد يمكن أن تكون بنيت أو عُدلت في الفترة العثمانية.

الأضرحة والمقابر

تعتبر دراسات المقابر القديمة قليلة جداً. وقد وُجِدَ العديد من المقابر في المستويات العليا من ورشات الإنقاذ ولكن لم يكتب عنها. فقد وصفت هيلجا تريسنكولدر المقابر التي عثرت عليها: فالجسم ممدود والرأس باتجاه مكة ويظهر الميت مزيناً بالحللي من الطين. وبين مكان المدفن على مستوى الأرض ببعض الأحجار حيث اتقان هما الأهم: عند رأس وعند أقدام المتوفي. وهذا المثال يدلنا على أن هندسة المقابر في الفترة الإسلامية لم تكن متطورة كما في الفترات الأخرى.

حظيت أضرحة الإسلام بدراسات لا بأس بها. جهزت. ألين قائمة مقابر الخلفاء العباسيين في بغداد. وبرأيه لم يبق أي من تلك الأضرحة. فالرضي توفي عام 940 والمعتمد عام 1258. لا يوجد أي ضريح معروف في العالم الإسلامي قبل 862. وقد قام ستريكا وخليل بإعادة أضرحة إلى بغداد مثل قبر الحلاج (توفي عام 922) في مسجد معروف الكرخي وهو مؤلف من قاعتين وقبة مرتفعة. أما قبر محمد شكراني، فيقع على بعد 30 كم من بغداد ويسبقه إيوان، والمحراب مزين بالمكشورن. وفي النهاية، فإن قبر زمرد خاتون الذي بني في نهاية القرن الثاني عشر أو بداية القرن الثالث عشر مغطى بقبة مقرنصة.

نذكر مثال الموصل من بين الأمثلة المدنية، فهناك ضريحاً زين الدين والنبي يونس الذي بني بجانب موقع نينوى الأثري. وشيد في القرن السادس عشر ضريح جرجس.

تعتبر أضرحة الإمام يحيى أبو القاسم وشيخ الشط وأماليها ذات ميزة خاصة كونها مدموجة مع منشآت دينية أخرى، وهنا ألحقت بتلك الأضرحة مدرسة.

إن الضريح الأكثر ذكراً هو ضريح الإمام در في شمال سامراء الذي يعود إلى عام 1085 وتعلوه قبة مقرنصة وهو الأول من نوعه في العراق. وله سطح مربع أسند بمساند دائرية بين الزوايا. وأشهر قبر في سامراء هو قبة الشلبية، فسطحه مثنى الشكل، وقد رمم من قبل المنظمة الحكومية للآثار القديمة والتراث واعتبر مقبرة المستنصر الذي توفي عام 862 أو المعتد الذي توفي عام 892. القبر الثاني في سامراء هو قبر أبو دلف بجانب مسجد شاعر في عهد المأمون. وحسب الجنايبي فإن هذا المبنى مقسم إلى باحتين وحمام ومئذنة وقاعة مئذنة الشكل من الداخل ومربعة من الخارج، مما يوحي بأن المكان كان ضريحاً.

قام باولو كوستا بدراسة مقابر شط النيل ووصف مقبرة الإمام النجمي التي تشبه مقبرة الإمام در. فالقبة فوق ثمانى قناطر تغطي قاعة بناؤها ويحيط بها جدار من القرميد. أما مقابر أم الأولاد وأبو حطب فتملك مساند نصف دائرية. وقد كانت هذه المنطقة مسكونة بين القرنين الثامن والثاني عشر. ولم تكن المعلومات حول الأضرحة مفصلة بشكل كاف لكن قام المؤلف بتاريخ ما سمحت به الخزفيات.

عثر رتلنغر على بعض آثار المقابر خلال الحفريات في وادي سنجر. لقد تم تصنيف المقابر في بلد سنجر من قبل هيرزفلت: ضريح الست زينب أخت الإمام علي وضريح للشيخ سويدي سنجري الذي رمم عام 1983، وضريح فقير علي بسطح مثنى مع قبة مقرنصة.

إن الضريح - المصلى لعلي بن وهاب منزو تماماً على بعد 25 كم جنوب بلد سنجر. وفي نهاية الأمر تجد الإشارة إلى أن المصطلحات التي استخدمت للدلالة على المباني المذكورة لم تكن دائماً متطابقة. فتحت تسمية "قبر" تظهر فقط الهيئة الجنائزية وتحت تسمية "ضريح" تظهر الهيئة التذكارية وتحت تسمية "مسجد" تظهر الهيئة الروحية. والأبنية التي أسلفنا عنها على وجه العموم تقوم بكافة تلك الوظائف.

يظهر نوعان من الأبنية: الأبنية المدنية المعزولة أو المدمجة كالمسجد

والمدرسة ومن النوع الآخر الأبنية المعزولة حيث تأخذ وظيفتها التذكارية بعداً آخر في الصحراء كالحماية أو كعلامات الطريق.

المدارس

لقد ألحقت المدارس في الموصل بالمقابر والأضرحة أو المساجد. وقد حددتها الدواحي بسبع عشرة مدرسة حسب المصادر المكتوبة. في بغداد أيضاً ألحقت المدارس بأبنية أخرى. فنقع المستنصرية خلف مسجد الحفافين. ويعطي ماسينيون وفيولي صورة قبل الترميم. فقد تركت في القرن الحادي عشر، ثم ألحقت بالسوق. ويفسر شميد أن كونها أول مدرسة تجمع أربعة طقوس سنية فتأثر المخطط بوظيفة المبنى الجديدة. فهو يحلل التزيين الهندسي ويحدد قسماً من القصر العباسي مع المدرسة البشرية التي بنيت عام 1225.

نقع المدارس الأخرى التي تمت دراستها في المرجانية بجانب خان مرجان، وتعتبر النظامية هي الأهم بينها وقد بنيت عام 1037 ولا أثر لها اليوم. وقد تمت المحافظة على الأبنية ذات الأشكال الدينية ودراستها. كانت الأضرحة والأبنية ذات القطعة الواحدة وذات الهيمنة التذكارية تقاوم الحث والتلف أكثر. وبعد مجيء العثمانيين الذين جازؤوا الرافدين إلى مناطق مستقلة، لم تستطع المدارس لعب دورها في نشر مذهب الدولة واختلقت شيئاً فشيئاً أو تغيرت. أما المساجد فقد تابعت تطور المدينة وكانت ترمم بتواتر عدا في سامراء. فعلياً، من المستحيل دراسة بناء من هذا النوع في حالته الأصلية.

المنشآت السكنية

إن المعطيات المتوفرة لا تعود إلى الفترة الإسلامية والمصادر المكتوبة ضعيفة المستوى. بالنسبة للموصل، نعلم عبر ياقوت أنه هناك بيوت من الحوار أو الرخام بأسقف من القباب، وهذه بيوت هامة للغاية. خلال عمليات الإنقاذ تم العثور بصعوبة على جدران وبعض المواقف. أما في حميرين فقد عثر على تل أبو الجب. ويحتوي المبنى على اثنتي عشرة غرفة حول باحة مركزية. ويمكن لبعض البيوت التي عثر عليها حول مجمع ديني في القادسية ومقام الإمام علي أن تعود إلى الفترة العباسية. أما البيوت في فحيمي فمقسمة على طرفي الباحة ونجد آثاراً لتجهيزات مائية. وفي بيجان هناك الحي السكني العباسي الذي عثر عليه ميشيل كوليكوسكي.

توحي الدراسات حول السكن إلى استخدامات المخططات الموزونة، فالمواد كانت مختلفة. ففي حوض صدام في تل بير حامي تتكون الوحدة السكنية من باحة وخمس غرف. وفي قصر الملاي هناك غرفة واحدة تطل على الباحة. أما في تل عمران فالأرضية مبلطة. وفي خربة البيوت متواضعة مبنية من القرميد وأرضية من التراب.

في البصرة، عثر على جزر سكنية، وكذلك الأمر في واسط. أما في منطقة سيسفون فقد عرفت الأبنية السكنية في الفترة العباسية أعمالاً مختلفة في تل علي الحنسي الكبير وفي تل السديرة وتل بارودة. تضم الأبنية العديد من الآبار والأقنية المائية وهي مبنية من القرميد مع أهمية أقل من العصر الساساني. إن حمامات البيوت في أبو سبهر هي أحواض طينية. وفي حبيبية عثر على شارع ببيوته وحماماته وآباره وأقنيته.

لقد تم تقديم الحفريات في سامراء بدقة أكبر. فدراسة شارع العظم أظهر سلسلة بيوت مزينة بكثرة ووحدات سكنية مزرشرة بمساند دائرية ومداخل محصنة. فهي عبارة عن معسكر جنود منظمة من قبل فصيلة الجيش لا يمكن مقارنتها بالأمثلة السابقة.

في عام 1936 أظهر العديد من البيوت في مدق الطبول. وكانت عبارة عن خمسمائة غرفة تقريباً متجمعة حول باحات ذات وظائف مختلفة. وفي عام 1979 قام الجنايسي بالعثور على بيوت بأشكال مختلفة ذات مخططات بسيطة فالغرف متواضعة على عدة أطراف من الباحة. أما الحمامات فهي من الحجر الطيني ويمكن أن تكون الأرضية مبلطة بالقرميد أو الطين. وكانت إحدى تلك الدور تملك سرداباً. وأخيراً فإن المساجد الخاصة الصغيرة كانت متوفرة بكثرة.

وهناك عدد من المنشآت لم تجر دراستها مثل الجسور في اسكي موصل والخربة أو الحمامات. وقد أشار ستريكا وخليل إلى ذلك في بغداد والتي تعود كلياً إلى الفترة العثمانية. لقد عثر على أبنية مماثلة في كيش وسيسفون في الفترة الساسانية. وبحسب خليل وستريكا فإن الحمامات في البيوت الأموية في سوريا تشكل نماذج للأبنية التي بنيت في الفترة الإسلامية. وتظهر الحمامات العامة خلال الفترة العباسية في بلاد الرافدين. أما الحمامات العامة ما قبل الإسلام فقد كانت

تستخدم في سوريا وفلسطين، وهناك حمام واحد معروف في سامراء يعود إلى العهد العباسي.

إن الدراسات القليلة المسخرة لهذا الموضوع ليست كافية، مما يفسر الرجوع إلى أمثلة بعيدة الزمن كي نستقي النتائج الصحيحة.

حالة البحوث

الدراسات القديمة

تعطي كتابات الجغرافيين العرب رؤية مختلفة عما هي الحال عليه اليوم. حتى وإن لم تكن تصوراتهم إيجابية دائماً فهي الأقرب من الحدث. فقد تركوا لنا معلومات لا نجدها في مكان آخر. وكانت الدراسات المتعلقة بالطرق والطوبوغرافيا التاريخية قد اكتشفت من قبل الرحالة في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ومع كل ذلك، فهناك عدد من المصادر المكتوبة التي لم تكتشف بعد. فالنصوص التاريخية على سبيل المثال غنية بالمعلومات وتتطلب فقط الاستخدام الخرائطي.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد تمت معالجة واستخدام كافة المواضيع التي قدمها الرحالة ودرسها ماسينيون وهيرزفيلست وسترانج. بالطبع، كان الباحثون الأوائل يهتمون بالجانب الأثري من الهندسة لكن أعمالهم تعكس اتجاهها عاماً للآثار الذي أصبح اجتماعياً أكثر فأكثر. وهنا تنبغي الإشارة إلى بعض التأخر في هذا التطور في العراق، والذي يعود إلى أن الآثار الإسلامية تطورت بشكل متباطئ.

مشاركة حفريات الإنقاذ

قامت الإدارة العامة للآثار القديمة في العراق بتطوير طريقتها في الوصول إلى الدراسات التحضيرية للأعمال الكبرى. يبدو أن الفترة الإسلامية لم تكن من صميم اهتمامات علماء الآثار. إن المشاريع بين 1977-1988 ساعدت للحصول على خطوة هامة بالأبنية الإدارية وبالتعاون الدولي. وبفضل هذا العمل المشترك تم تحديد عدد المواقع دون دراستها وتحليلها.

الأساليب العلمية

هناك بعض الأبحاث التي لم تظهر في تقديم الأعمال. وهي عبارة عن حالتين استخدمت فيها الوسائل العلمية. جرت حفريات مغناطيسية على الموقع المسمى أبو شهير من قبل ت. دين ون. حمو. وقد ترك بيان الحساب الطوبوغرافي معلومات جيدة. أما المثال الثاني فهو التأريخ باللاسلكي على برج زبليات. وفي الحقيقة، كانت الأساليب العلمية تطبق بقلّة في دراسة الأبنية الإسلامية.

برامج الأبحاث المدنية

تتخصر الدراسات المدنية في الأغلب بالأبنية الدينية أو الإدارية الهامة. وتستخدم المعطيات القديمة ونادراً ما تستعمل المواد الجديدة في التحقيقات على المدن.

إن دراسات لابيدوس وكرباب لا تعتبر مدينة بغداد كسلسلة من النصب التذكارية، لكنها تسطّح من أن بعض تلك الأبنية تولدت في المدينة. ويستنتج لابيدوس أن مدارس الحقوق تلعب دوراً هاماً في تطور المدينة الإسلامية حيث يتطلب بناؤها أحياء جديدة. وهناك شيء مشترك بين المدن الإسلامية والمدن غير الإسلامية وبفضل تلك الأبنية يختلف بعضها عن بعض.

وبحسب منظمة الآثار فإن المدن الأولى في العراق، عدا الكوفة، كانت مدناً للحماية بنيت على حدود الصحراء لحماية البلد من الغزاة والبدو العرب وهي ذات تقاليد عربية – إسلامية.

التأثير الشرقي. الغربي

بفضل العديد من الأمثلة المختارة من سوريا وأفغانستان ومن بينها المدرسة المستنصرية في بغداد، استنتج أندريه كودر بأن قسماً كبيراً من العمارة من الفترة الإسلامية يأتي من بيت الخراسان.

إن السنظرية الإيرانية بخصوص أصول المدرسة تتعارض مع فرضية شميد في تحليل المدرسة المستنصرية. وبحسب رأيه، فإن مدارس الحقوق أنشأت

لتدريس المذاهب السنية الأربعة ولذلك، فقد تبني مخططهم أربعة تقسيمات. هناك موضوع آخر يظهر عند دراسة تأثير الشرق أو الغرب في الشرق الأوسط هو موضوع القصور. كانت "قصور الصحراء" السورية موضوع أبحاث عديدة. فهي تشكل قسماً كبيراً من الآثار القديمة عند الإسلام والتي تم الحفاظ عليها. وقد اعتبرت لفترة طويلة كنماذج للهندسة الإسلامية.

حاول أوليك كرابار في مقالته حول قصر الأمويين وتطور العباسيين العبور بين السلكتين من الناحية الهندسية. فقد قامت غالبية قصور الصحراء على أنقاض ما قبل الإسلام.

ومن هناك تأتي الاستنتاجات: فمن جهة، إن الأبنية الإسلامية تأتي مباشرة من التنظيم الاقتصادي للعالم الإسلامي. ومن جهة أخرى، كانت تقام على حدود الصحراء في العراق حتى ولو كانت الأعمال المائية أهم، وذلك لأنهم أدركوا أهمية الأرض. وفي الجزيرة، في الفترة ما قبل الإسلام، كانت القلاع تعين اتجاه الطرق بين الإمبراطورية البيزنطية وإيران وعدم استقرار المنطقة لم يسمح بالتجهيزات الزراعية.

لقد تم خلق أنظمة جديدة في هذه المنطقة. ففي نهاية العهد العباسي انحطت سوريا وانتقل مركز الإمبراطورية إلى العراق. وقام م. جبار بك وهـ. السامرائي بدراسة تطور الأبنية الزراعية في العراق خلال تلك الفترة.

وتؤكد دراسة كرابار على الاختلاف الهندسي بين القصور في سوريا المزخرفة بكثرة والتي كانت تظهر كقصور ترفيهية، ومثيلاتها في العراق التي كانت تعتبر مقراً للحكم في الكوفة وواسط وغالباً ما كانت مدنية. إن المعلومات حول هذا الموضوع قليلة لأنه لم يتم إحصاء لا المصادر الأثرية ولا المصادر المكتوبة من أجل تحليل ودراسة تفصيلية على طوبوغرافيا العراق في القرن الأول الهجري. وقد تم تنظيم تطور المنطقة حول نواة غير إسلامية.

في تقرير قدمته مريم روسين أيلون إلى المؤتمر الدولي للمستشرقين، تبين أن دار العمارة في الكوفة قد أثرت على الهندسة الأموية. ويبدو أن موقف كرابار هو الأكثر واقعية. فليس من المهم إثبات أن الغرب أو الشرق هو الذي أثر بالآخر لكن المهم هو محاولة فهم التطور العام من خلال أمثلة محددة مدروسة. فالفترة

الإسلامية تبدأ بالتأكيد في 634 ولكن يجب ألا ننسى أن الأبنية التي كانت موجودة عند وصول المسلمين صدرت من ثقافة أخرى وقد لعبت دوراً هاماً في إعداد الحضارة الجديدة.

المرحلة الانتقالية من الساسانيين إلى المسلمين

تظهر الدراسات حول هذا الموضوع نتائج متضاربة. إما أن يكون هناك شرح بالنسبة للفترة السابقة أو أن بدايات الثقافة الإسلامية في العراق تأثرت مباشرة بحضارة ما قبل الإسلام.

لقد أعيد بناء الأبنية المحصنة لكن بمواد مختلفة. إن تبني أسلوب واحد لمخطط يدل على استمرارية معينة. هذه هي النظرية التي دافع عنها روبرت آدمز في دراسته التي أجراها على السكان حيث تجمع فترة زمنية واحدة، نهاية الساسانيين وبداية الفترة التي تليها وهي الفترة الاقتصادية الأكثر استقراراً حيث تتألق أبنية ما قبل الإسلام. ومن أجل توضيح الاختلاف يقيم سيرا في أبو شريفة ويحاول تحديد تطور الخزف كي يتمكن من تأريخ المواقع التي ينقبها بشكل أدق. وتعتبر تلك من عمليات التنقيب الفادرة المتعلقة بهذه الفترة في وسط بلاد الرافدين.

إن الأبحاث الجغرافية التاريخية لموروثي تبين أن وصف الأبنية الإدارية للمرحلة الإسلامية الأولى في العراق التي أجراها المقدسي وابن خرداذبة يتسم بالمفارقات. وكان يبدو أن الأبنية الساسانية لم تؤخذ بشكل كامل. وتلتها تغييرات هامة على مستوى السلاطة، وأجريت تقسيمات في مناطق إدارية كبيرة بعد دخول الإسلام على الأراضي الفارسية، وشملت التغييرات مجال الزراعة والمياه. أما الأبنية الكنسية المسيحية فلم تمسها التعديلات خلال فترة الإصلاحات في الفترة الساسانية الأخيرة ولم تتكيف مع الحقيقة الإسلامية الجديدة إلا بعد مئة وخمسين سنة من الفتوحات.

هناك دراسات قليلة حول مثابة العبادة ما قبل الإسلام. تم إحصاء سبعة أديرة أو كنائس في عين شاي ودير ستون والحيرة ومشفينة وقصر الماء وقصير وتكريت. فالكنائس وأبنية الأديرة متجمعة في مربع قائم الزوايا ومزودة غالباً بالأبراج والمساند. ويتطرق سترانج إلى عدة أديرة أشار إليها ياقوت، مثل دير

حزقل إلى جانب الثمانية. وكذلك الأمر في جوار سامراء، فهناك ثمانية أديرة وجدت قبل بناء المدينة. وبحسب نورنج، هناك أنقاض يمكن أن تكون لكنيسة المأمون بقرب قرية المطيرة يبدو أنها هدمت بين 1984-1986، حيث من الممكن أن تكون تلك المدينة قد بناها الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح حول قصر أموي قديم بعد انتصاره. ومن الأرجح أن يكون موقع المدينة بين الكوفة والحيرة. لقد كانت مدينة العنبر التي احتلها أبو العباس منذ 702 للمدينة الأهم بعد سيفون في 323. لقد كانت عواصم بدايات الإمبراطورية الإسلامية تتوضع في أعلى أو بقرب مواقع هامة في تلك الفترة بعد بناء بغداد. هل كان ذلك من أجل التأكيد على السيطرة الإسلامية على أرياب المدينة القدماء؟ هل وببساطة، لأنه لم يملكو الوسائل والوقت لبناء مدينة جديدة؟ في كل الأحوال، هذا يدل على أن المسلمين بقوا طويلاً في مدن ما قبل الإسلام لكي يكونوا مؤثرين.

الخاتمة

إن الرغبة في التحقق من النصوص المقدسة، بالعثور على آثار المدن المقدسة، قد دفعت علماء الآثار للاهتمام بالتاريخ القديم لبلاد الرافدين. فلم تكن الحضارات الكبرى معروفة حتى حينها إلا بنصوص أسطورية. وبعد الاكتشافات ظهر غنى تلك الفترة وبدأ الجميع بالبحث، وكان علماء الآثار لفترة طويلة لا يهتمون بالعالم الإسلامي حيث اعتقدوا أن ما وصلهم من نصوص هو كاف.

ثم تغيرت الأمور عندما بدأ العراقيون بالاهتمام بتاريخ بلدهم، ولم يهتموا الفترة الإسلامية. وبعد إنشاء دولة عراقية مستقلة عن السلطات العثمانية عام 1921 وبعدها عن الانتداب الإنكليزي عام 1932، عززت النظرة إلى الماضي الروح الوطنية لديهم.

يتأسف المرء لقلّة الدراسات حول بلد كان له أهمية عظيمة في الفترة الإسلامية الأولى وخاصة في العهد العباسي. فيما عدا مواقع سامراء وبغداد والكوفة وواسط فلم تكن أية مؤلفات موجودة فعلياً.

فغالباً، الأبنية الهامة هي التي درست مثل دار العمارة في الكوفة والمسجد

الكبير في واسط وقصر الأخيضر والمقابر القديمة.

وهناك مجالات أخرى لم تدرس، مثل الهندسة الخدمية. ونادراً ما كانت الأبنية المتواضعة أو المقابر البسيطة تستهدف للتنقيب. وكذلك كانت الدراسات على الخزف الذي تعتبر الأهم في أعمال الآثار. وهنا أيضاً كانوا يهتمون بالمزركش أكثر وبالأذي تمت المحافظة عليه. وهناك دراسة على الخزف المتعارف عليه حيث يسمح لنا بالتعرف على الحياة اليومية والعلاقات التجارية بين المناطق.

إن صعوبة الوصول إلى الوثائق يشل العمل. وهناك عدد من الأعمال التي لم تنشر بشكل كامل أو لم تنشر بعد. ومن المؤسف أن ندرك قلة الاهتمام بين علماء الآثار الأجانب والعراقيين على السواء. لم تكن الأساليب المتبعة هي ذاتها، والأهداف أيضاً كانت مختلفة. إن علم الآثار الوطنية في العراق يحوم حول ما هو ساطع. قسم كبير من الأعمال يهدف إلى تقييم إرث الآثار، وليست الحفريات إلا تمهيداً للترميم. وفي النهاية، فإن المسؤول عن هذه الأعمال هو الرغبة في تطوير السياحة.

إن برامج الأبحاث التي عرفناها طرحت من قبل أجنبي. والعمل الملفت للنظر هو عمل أ. نورج في سامراء، فعبر الحفريات وتفسير عمليات التنقيب القديمة ومعطيات النصوص أظهر رؤية أخرى للمدينة وتطورها. وهو ينشر مقالاته الموثقة بشكل دوري.

في هذه الأعمال المختلفة، ما هي المعطيات التي يمكن الاستفادة منها؟ المادة التي تم اكتشافها خلال الحفريات يمكن أن تعطي فرصة للدراسة. لقد درست ماري مادلينا نيكرو بونزي زجاج السيلوسي. فيما يخص الخزف، نظرية أكسيل روكوي حول الاستيراد الصيني سوف تسمح بالنظر في العلاقات للعالم الإسلامي مع الشرق الأدنى.

كانت الأبنية الجنائزية قد استخدمت بكثرة من قبل كرابار. والمخططات المستوفرة لدراسة السكان كانت من سامراء، وهي تعطي رؤية لنوع من البيوت الرفيعة في الفترة العباسية.

كانت الخانات والقلاع موضوع بحث بيير لو بيكر وأكسيل روكوي، حيث

اقتضى التحقيق لنصوص جغرافية مختلفة وأعمال تنقيب على الأرض. هذا النوع من الأبحاث منع بدءاً من آذار عام 1990. على أي حال، تم توقيف عمل الأجانب في العراق منذ صيف 1990.

تقدم الفترة الإسلامية في العراق تصورات جيدة لعلماء الآثار. فتصبح المعلومات المستقاة من النصوص، والهامة في نوعيتها، غير كافية. وفي الوقت نفسه، يجب المباشرة بدراسات جديدة على أرض الواقع من أجل استكمال المعلومات وتحديث المعطيات.



وصف قصر الخليفة في سامراء

(دار الخلافة أو الجوسق الخاقاني)

■ دراسة: الأستاذ نورثيدج ■

ترجمة: خالد حداد

يعتبر القصر الرئيسي الذي بناه المعتصم في سامراء عند تأسيس المدينة عام 836/221 أحد أشهر القصور الإسلامية، رغم أنه لم يعد بحالة جيدة. ومع ذلك، فهو أحد الأمثلة القليلة على القصور القديمة العظيمة (بعد ذلك على الأقل) التي يُعرف مخططاتها الكاملة أيضاً.

<http://Archivebeta.Sakinit.com>

يمكن التوصل إلى معرفة الموقع بشكل أفضل من كتاب كريستول "العمارة الإسلامية المبكرة"، الذي يستند إلى عمل بعثة سامراء الألمانية عام 1911-13. ومع أن مخطط هرتسفيلد للقصر قد تم نشره كثيراً، فإن القارئ يخرج غالباً بانطباع عن وجود مجموعة كبيرة غير معروفة من الغرف، رغم إجراء إعداد ضمني للمخطط أحياناً، ربما لجعل المخطط يلائم الصفحة.

لا بد من وجود عرض شامل جديد للقصر، ونأمل أن يحدث هذا أخيراً في سياق نشر مقترح لمواقع تنقيب بعثة سامراء. تقيّدني بعض الأمور وتجعلني أقتصر على نوع من التقرير الأولي حول هذا الهدف. فالموضوع كبير أولاً، ويتطلب ترابط الاكتشافات الصغيرة، والجص والزخارف الأخرى، واللوحات الجدارية. كذلك، لم يبدأ حتى الآن التعامل مع الصحف الميدانية، ولا مع جميع الرسوم المعدة للنشر. ومع ذلك اعتبرنا أنه من المفيد نشر التقدم الذي جرى، رغم

أن الأفكار المعروضة ليست نهائية بالضرورة.

ففي البداية يجب القول إن تسمية القصر بالجوسق الخاقاني، التي استعملها هرستفيلد، وفيما بعد كريسويل، ثم جرى استعمالها بشكل عام في الأوساط العلمية الغربية، لا يمكن أن تكون صحيحة. وسيأتي لاحقاً شرح أسباب هذا، ولكن من الواضح أن الاسم الذي استعمل في العراق (قصر الخليفة) قريب تماماً فعلاً من المصطلحات التي استعملت في القرن الثالث/ التاسع. وقد يبدو الجوسق الخاقاني اسماً جذاباً وغريباً، مع أنه يوحي على نحو خاطئ بأن القصر كان تركيا بشكل ما، ولكن من المؤكد أن قصر الجوسق كان جزءاً من المجمع الكلي، وليس المجمع نفسه بالكامل. ويمكن اعتبار اسم قصر الخليفة أو دار الخلافة أكثر ملاءمة للاستعمال في اللغة الإنكليزية.

العمل السابق في القصر

لم يكن مدهشاً أن الموقع جذب اهتمام الزوار الغربيين في القرن التاسع عشر. ففي حزيران 1834 قام جراح المقر البريطاني في بغداد، جون روس، بزيارة سامراء، ونشر الوصف الدقيق التالي:

يعتبر قصر الخليفة كنيسة طويلة من الأطلال بشكل حرف (T) على حافة ضفة عالية، تقسمها ثلاثة جدران متقاطعة. ويبلغ الطول الأقصى للضلع المواجه للبابسة حوالي 900 خطوة، وعرض الوجه المقابل للنهر 130 خطوة، والوجه المقابل للبابسة 580؛ ويحتوي على صفوف من المداخل، والغرف المقوسة، والقناطر تحت الأرض، الخ، مع مساحات فارغة تقسمها جدران متقاطعة. تتكشف إحدى القناطر عن عمق كبير، يسمى (الجب)، ويدل على أنه سجن: فمدخله عبارة عن ممر عمودي ضيق، ولا بد أنه كان يتم إنزال الناس داخله ثم سحبهم بواسطة حبل. وثمة تجويف مربع ضيق آخر قريب منه يدعى بركة السباع، أو عرين الأسود. وهناك ممر ضيق تحت الأرض محفور من الجب إلى البركة، وقيل إنه كان يتم إلقاء المجرمين إلى الوحوش البرية من بابها. ومن الوجه المقابل للنهر، ثمة رصيف مائل، يستند إلى الأقواس، ويؤدي أسفل إلى الهاوية؛ وخارج القصر، عند زاويته الشمالية الغربية، تنتصب أطلال رائعة لبناء برج اسمه الحمام.

وفي نيسان 1846 قام الملازم ج. ف. جونز من البحرية الهندية بزيارة

الموقع أيضاً. لكن ذلك كان في بداية القرن العشرين فحسب، بعد نصف قرن من بدء أعمال الآثار الغربية في المدن الملكية الآشورية، مثلاً، بحيث أصبحت سامراء هدفاً للاهتمام العلمي الأكثر جدية.

كانت الجهود الأولى فرنسية. وقد نشر الجنرال ل. دي بيليه عام 1907 نتائج زيارة إلى سامراء وإلى مواقع أخرى في العراق. وقام المهندس المعماري الفرنسي هنري فيوليت بالتنقيب في الموقع ومسحه عام 1908، ثم عاد للتنقيب بالقصر في حزيران 1910، وحفر أربعاً وعشرين فتحة سبر صغيرة في ستة أسابيع. ثم نشر عمله فوراً، وقدم بحثاً قصيراً لكنه موضح على نحو رائع بالرسوم حول كل من الحملتين.

بدأ الاهتمام الألماني بسامراء مع زيارة قام بها هرتسفيلد عام 1903، لكنه حقق أهدافه بعد ذلك في بعثة سامراء الألمانية، التي قادت حملتين ميدانيتين عامي 1911 و 1913. حول هرتسفيلد انتباهه للتنقيب في القصر خلال الحملة الثانية. وتم كشف نحو 11000 متر مربع (يساوي الربع تقريباً) من كتلة قاعة الاستقبال، وحوالي 5000 متر مربع في مكان آخر، وبلغ المجموع 18000 متر مربع.

وفي عام 1923، بعد الحرب العالمية الأولى، أبدى هرتسفيلد أسفه لأن الآثار التي تم التنقيب عنها قد سُرقت. لم يكن هذا أمراً غير عادي؛ فقد كانت سرقة الأجر الحراري شائعة في العراق قبل انتشار البناء الإسمنتي. وكانت أسوار المدينة كلها مبنية في ثلاثينات القرن التاسع عشر بالأجر العباسي.

في عام 1914 تم نشر تقرير أولي عن التنقيب بالقصر في مقالة بعنوان الإسلام. جرى في هذه المقالة نشر الإصدار الأول للمخطط الكبير للقصر. كان المخطط طبعاً، في غالبيته نتيجة اكتشاف سطحي، لكنه يدمج مناطق التنقيب أيضاً. ويبدو أن قراءة هرتسفيلد للآثار السطحية كانت جيدة، وقد تم رسم الكثير وسيكون من الصعب إعادته اليوم. ويبدو أن الإخفاق الرئيسي كان في الزاوية الشمالية الشرقية، حيث رسم أجزاء من الوحدات الصغيرة لنموذج القصر فقط. على أي حال، بعد الإصدار الأول للمخطوط المنشور في التقرير عام 1914، جرى "تصحيح" الإصدار النهائي، الذي نشره كريستول، مع تسوية عدد من الأبنية، بينما تظهر الصور الجوية أن الإصدار الأصلي كان أكثر دقة. وتبين أن

ميدان لعبة البولو في الطرف الشرقي كان في الحقيقة على شكل متوازي أضلاع، وليس مستطيلاً.

عام 1923، في المجلد (1) من كتاب الحفريات في سامراء، نشر هرتسفيلد الزخارف الجدارية التي اكتشفها البعثة؛ وفي عام 1927، في المجلد (3)، اللوحات الجدارية؛ وفي عام 1948، في المجلد (6) الذي صدر بعد وفاته، تحليله للطوبوغرافيا التاريخية. على أي حال، وكما هو معروف جيداً، إن المجلدات الموضوعية عن الهندسة المعمارية في سامراء لم تُنشر، أو لنكن أكثر دقة، إن التقرير النهائي عن التنقيب نفسه هو الذي لم يُنشر. ويقتبس كريسويل، في كتابه العمارة الإسلامية المبكرة، بشكل مباشر عن هرتسفيلد، مستعملاً التقرير الأولي لعام 1914. وتوجد الرسوم غير المنشورة والصحف الميدانية ضمن أرشيف هرتسفيلد في معرض آرثر م. ساكوير في واشنطن العاصمة. كما توجد الصور السلبية للبعثة، التي التقطها سار، في المتحف الوطني ببرلين.

بعد ذلك استمر العمل الميداني ثانية على المجمع من قبل مديرية الآثار العراقية، ولو أن ذلك قد جرى بعد تأخير طويل. وقد تم كشف باب العامة وإضافته، وحفر الغرف التي في جانبه الشمالي في وقت ما من ستينات القرن العشرين أو سبعيناته. على أي حال، كانت معظم التنقيبات تتم في مكان آخر من سامراء، ومع بداية مشروع إحياء مدينتي سامراء والمتوكلية الأثريتين عام 1981 فحسب جرى تنفيذ عمل جديد على القصر. وفي عام 1981 جرى بعض أعمال الكشف في منطقة تنقيب هرتسفيلد داخل كتلة قاعة الاستقبال، ثم تم التخلي عنها باعتبارها غير مفيدة. على أي حال، كان النفق الذي يمر أسفل الفناء الكبير، أو المتنزه الكبير، إذا استعملنا مصطلحات هرتسفيلد، قد تم التنقيب عنه بالإضافة إلى ستة أبنية ثانوية على الجانب الشمالي من الفناء. وفي عام 1983 تحول العمل إلى كشف وترميم للسرداب الصغير (هاويات السباع). انتهى المشروع عام 1986، وتم نشره في العام نفسه. ثم بدأ العمل عام 1986-87 بالتنقيب عن السرداب الكبير؛ ومع بداية عام 1989 كان التنقيب قد اكتمل تقريباً، وانتهى الترميم قبل زيارتي في بداية عام 1990. ولسوء الحظ تأخر النشر في مجلة سومر، التي كانت مخطوطة كاملة، بسبب حرب الكويت. وقد جرى العمل مؤخراً أيضاً على سلسلة من الغرف في الجانب الجنوبي من باب العامة، وعلى

النافورة ذات الأضلاع الثمانية والمحافظة بشكل سيئ أو على المراقب في الفناء الكبير.

وصف الموقع:

يوجد مجمع القصر ضمن كتلة الضفة الشرقية لنهر دجلة، الذي حدده حوض نهري سابق في العصر الجيولوجي الثالث. وقد مكنت الطراوة النسبية لمادته من حفر البنية التحتية على نطاق واسع. على الجانب الغربي من القصر، يوجد هبوط شديد الانحدار يبلغ حوالي عشرة أمتار نحو سهل الغمر لنهر دجلة، وتوجد الحديقة التي على هذا الجانب في سهل الغمر. ومع أن الحركة المتكررة لحوض دجلة ضمن سهل الغمر تعجز عن حفر قدر كبير من الكتلة، فقد أزال النهر الجزء الجنوبي الغربي من الحديقة الغربية منذ القرن الثالث/ التاسع. وفي منتصف خمسينات القرن العشرين تم إنشاء سد في سامراء لتحويل مياه الفيضان من دجلة إلى منخفض التراب. وقد فاضت البحيرة التي خلف السد على الأرض المنخفضة لسهل الغمر، بما في ذلك جميع أجزاء المجمع غربي باب العامة. ومع نهاية ثمانينات القرن العشرين حولت روابب الغرين التي تقابل دجلة منطقة البحيرة إلى مستنقع، وعادت منطقة الحديقة للظهور ثانية على شكل سبخة. وليس من المؤكد إن كان من الممكن استرداد أي مادة من هذه المنطقة، حيث لا يوجد أي شيء مرئي اليوم.

يستند المخطط إلى وحدتين معماريتين للقصر. الأولى، على الجانب الجنوبي، تتألف من بناء مربع بقياس 200×180 متر يحتوي على باب العامة وقاعات العرش وقسم الحريم، مع فناء كبير على الجانب الشرقي. يمكن لمخطط البناء والفناء المربع هذا أن يتوازي عند قصر بلكوارا، والقصر الذي في القادسية. ويوجد على الجانب الشمالي قصر ثان، دعاه هرتسفيلد "الخزينة" مع قاعة استقبال مربعة أصغر وشقق سكنية، وهو ضمن سور خارجي، كما يرى في قصر الأخضر ودار الإمارة في الكوفة.

توجد في الجانب الغربي للوحدة الجنوبية حديقة كبيرة؛ وربما توجد حديقة أخرى من نوع مختلف في الجانب الجنوبي. كما يوجد بين وحدتي القصرين حوض دائري كبير غائر، دعاه هرتسفيلد باسم السرداب الكبير، ويدعى في

العراق باسم البركة الهندسية. وبعد ذلك إلى الشرق يوجد مجمع يتضمن ما دعاه هرتسفيلد باسم (Rotundabau)، وعند الطرف الشرقي، يوجد حوض غائر مربع أصغر، يدعى باسم السرداب الصغير، ويدعى في العراق باسم هاوية السباع (عرين الأسود). وعلى الجانبين الشمالي والجنوبي للحوض توجد أفنية ذات سرادقين، وصفوف من القاعات المتوازية، التي دعاها هرتسفيلد باسم "الاسطبلات". وعلى الجانب الشرقي يوجد ميدان فيه مكان للمشاهدين، وخط لبدائية مضمار السباق، يمتد بعيداً نحو الشرق. في الجانب الجنوبي للفناء الرئيسي يوجد إيوان أو سرادق يحيط به سور مجاور لما يجب أن يكون أصلاً المدخل الرئيسي للمجمع والمؤدي إلى المدينة، وبناء مربع آخر، مجاور لكثلة قاعة الاستقبال الرئيسية. ويمكن وصف القصر بأنه مجمع لوحدات معمارية.

من الواضح أن البناء بدأ عام 836/221، وآخر إشارة إليه على أنه بناء مسكون تعود إلى عام 884/269. وقد استمر إشغاله المعروف ثمان وأربعين سنة. ومن الواضح أن عملية تغيير كبيرة قد جرت خلال هذه الفترة. فالقصر ليس بالذي تسم تصميمه، وبناءه، ثم تركه في حالته الأصلية، رغم وجود عدة أبنية مشابهة في بداية العصر الإسلامي؛ وخلال تلك الفترة تقريباً ربما تكون وحدات قد أضيفت، أو جُددت، أو تركت.

<http://Archivebeta.Saki>

كان أول من أعطى وصفاً للقصر، وهو فيوليت، قد بدأ من باب العامة، ورأى أن المجمع يتألف من البناء المربع، والفناء الكبير، وأبنية ملحقة - السردابين، الميدان ومضمار السباق (2). وكان هرتسفيلد هو الذي اعتبر بناء القصر الشمالي ضمن المجمع، ودعاه باسم الخزينة. ورغم أن البنائين، في الزاوية الجنوبية الشرقية، يعتبران ضمن مخطط هرتسفيلد، فمن المحتمل ألا يكون لهما ارتباط بالقصر.

إن أبعاد المنطقة التي حددها هرتسفيلد هي 1346 متراً من الشرق إلى الغرب، من السرداق الذي على نهر دجلة إلى مكان المشاهدين المطل على مضمار السباق 2، و 1160 متراً من الشمال إلى الجنوب، من القصر الشمالي إلى البوابة الجنوبية.

الحديقة الغربية

يبدو أن الحديقة الغربية كانت تتجه أسفلاً إلى نهر دجلة، الذي لا يُعرف مجراه الدقيق خلال القرن الثالث/ التاسع. توجد مجموعة من الدرجات الكبيرة، بعرض 60 متراً، تهبط من باب العامة لا يمكن رؤيتها اليوم، ولكن يمكن أن ترى من الصور الجوية. إلى الغرب من الدرجات كانت توجد بركة تزيينية مربعة بقياس 115×130 متراً.

ومن البركة هناك جداران طول كل منهما 220 متراً يحددان محوراً طويلاً ويستجبان مباشرة غرباً نحو نهاية الحديقة. وربما كان هذا طريقاً رسمياً لمرور الخليفة من وإلى رصيف النهر. وقد أتى ذكر هذا الموكب عند الاحتفال بتعيين ورثة المتوكل عام 49/235-50.

حين عين المتوكل ورثته من بين أولاده، ركب عبر سامراء في موكب، لم يُشاهد أروع منه سابقاً. ركب الورثة أمامه، والأثرانك أمامهم، ومشى أولادهم أمام المتوكل، وبأيديهم أحزمة من الذهب... ثم نزل إلى الماء، وركب فيه، والجيش معه في قارب (جواخيات) بالإضافة إلى بقية القوارب، وانطلق حتى وقف في القصر المدعو باسم العروس، وأعطى الإذن للناس، فدخلوا للمثل أمامه.

عند النهاية الغربية البعيدة تظهر شرفة مرتفعة مربعة أبعادها 48×40 متراً تمثل موقع سرادق حديقة.

وهناك جداران كل منهما بطول 47 متراً يحددان محوراً شمالياً جنوبياً على الجانب الغربي للبركة. ومن المحتمل أن يوضع مخطط لبضع بنايات صغيرة بين الجدارين.

ربما تكون الحديقة هي البستان الخاقاني المذكور في أحداث عام 868/254، والذي يقع كما يبدو بين الجوسق ونهر دجلة:

جاء البُغا إلى الجسر في الثلث الأول من الليل، وعندما اقترب المركب من الجسر، أرسل المؤتمنون عليه إلى الذين في المركب... ونزل البُغا في البستان الخاقاني، والتحق به عدد [من حراس الجسر]... وأسرع إلى الجوسق. وطلب الإذن من المعتر [للدخول]، فأعطاه المعتر الإذن.

باب العامة وكتلة قاعة الاستقبال المربعة

إن كتلة قاعة الاستقبال الرئيسية للقصر الجنوبي مربعة تقريباً في شكلها، بقياس 180×200 متر. وباب العامة هو الجزء الوحيد الذي لا يزال قائماً؛ بينما ظلت في مكان آخر مجرد قطع من الجدران فوق مستوى الأرض، وفي أماكن أخرى سُرِق الأجر الذي في الأساسات.

ففي مركز الجانب الغربي ينتصب المدخل الخارجي الرئيسي، وهو الإيوان الثلاثي المشهور المعروف باسم باب العامة. ويتألف من نفق مركزي رئيسي مقبب، وإوانين جانبيين سطحيين، لكل منهما نصف قبة محمولة على قنطرة، ويؤدي إلى قاعات مقببة بنفق مغلق وراءها.

تُظهر الصور التي التقطها فيوليت والتي التقطها سار لمعرض البعثة الألمانية بوضوح تام كتلة بارزة من قمة البناء. ويوحى هذا بأنه كان ثمة طابق ثانٍ. وقد جرى التنقيب أيضاً عن طريق مائل على الجانب الجنوبي للبوابة. ويُفترض أنه كان هناك مجلس (غرفة استقبال رسمية) في هذا الطابق الثاني، ذو إطلالة على نهر دجلة وسيل الفجر، على نمط غرف مشابهة مر وصفها فوق بوابات المدينة المستديرة في بغداد والغرف التي تم العبور عليها فوق القصور الأموية الصحراوية، على أي حال، لا توجد دلالات على أن آثار البناء المربع كان لها طابقان.

بعد باب العامة، يمر الزائر عبر خمس قاعات مستطيلة ذات شكل مستعرض، ليصل، في مركز البناء، إلى فناء ذي حوض. وقد تم التنقيب عن الفناء بواسطة البعثة الألمانية، بالإضافة إلى حمام على طرفه الجنوبي. وعلى الجانب الشمالي لهذا المحور كان هناك بناء لفناء ذي طابع مستدير مركزي بقطر 31 متراً، ولا بد أنه حوض. وهناك بضع غرف مقببة تحت الأرض في هذه المنطقة. أما الجانب الجنوبي لهذا الجزء الغربي فإنه لم يتضح، رغم أنه جرى التنقيب عن سلسلة من الغرف في السنوات الأخيرة على الجانب الجنوبي لباب العامة.

على الطرف الشرقي للمحور المركزي يوجد مخطط مقاطع الشكل، يكثر عادة في مركز مثل هذا البناء المربع. والكتلة المركزية هي غرفة مقببة مع

قاعات بأربعة أعمدة. وعلى الجوانب الشرقي والغربي والجنوبي توجد أفنية خلف قاعات الأعمدة؛ وعلى الجانب الشرقي توجد قاعة مستعرضة واسعة، تؤدي إلى الخارج مباشرة نحو الفناء الكبير (المتنزه الكبير). ويحتمل أن تكون هذه القاعة الأخيرة إضافة ملحقة، لأن ثخن الجدار لا يتلاءم مع بقية البناء المربع.

لم يكن قد جرى التنقيب في الفناء الموجود على الجانب الشمالي من هذه الغرفة المركزية المقبية، أما الأفنية الموجودة على الجانبين الغربي والجنوبي فقد قام هرتسفيلد بالتنقيب فيهما. ويشكل الجزء الموجود على الجانب الجنوبي ما دعاه هرتسفيلد باسم قسم الحريم. وعلى الجانب الجنوبي لهذا الفناء توجد غرفة مربعة ذات أربع دعامات، احتوت على حوض دائري منحوت من قطعة واحدة من الغرانيت المصري، أطلق عليها اسم (كأس فرعون)، ويعتقد أنها من أصل مصري قديم. وتحتوي بقية محيط الفناء على منطقة من الغرف الصغيرة، التي يقول هرتسفيلد إن بناءها أعيد مرات عديدة.

كان قسم الحريم مزخرفاً كثيراً وبشكل خاص بلوحات جدارية تم نشرها في كتاب هرتسفيلد لوحات سامراء. ويعتمد تعريفه لقسم الحريم من حيث المبدأ على طابع التصوير الحي للأشخاص في اللوحات، الذي يمكن مقارنته مع فن التصوير الخاصة في العصر الأموي. لا شك أن هذه الصور يجب أن تعود للفترة الأخيرة من إشغال القصر. فقد لاحظ هرتسفيلد تجديد البناء، وفي مكان آخر من سامراء يمكن رؤية حتى ثلاث طبقات من أجزاء اللوحات الجدارية. وربما كانت مساحة المجمع المسكون قد تناقصت، خلال تلك الفترة في عهد المعتمد. وربما يكون هذا الجزء من القصر قد أصبح مجرد سكن خاص في مرحلة متأخرة من إشغاله.

الفناء الكبير

إن العنصر الرئيسي على الجانب الشرقي للبناء المربع هو الفناء الكبير، الذي يتخذ شكل مستطيل بقياس 360×186 متراً، وأطلق عليه هرتسفيلد اسم المتنزه الكبير. يحيط بالفناء جدار من الحجر الطيني مع كوى مقوسة وتشكيلات من الجص. وكان يعلو الجدار فتحات للرمي. كان الفناء مقسماً إلى قسمين بواسطة منخفض، اعتقد هرتسفيلد في وصفه الأولي أنه قناة. ثم تبين من التنقيبات عام 1982 أنه نفق رئيسي تحت الفناء، وقد سقط سقفه داخلاً. وقد قدم تنظيف الجدار

الشمالي في تلك الفترة دليلاً أيضاً على وجود ستة أبنية ثانوية صغيرة في الفناء. كانت هذه متراففة جيداً مع الجدار الخارجي كما كان جلياً أن بناءها قد تم قبل ترك القصر. على الجانب الغربي للنفق، يشير مخطط هرتسفيلد إلى معلمين مستديرين. وقد أظهر تنقيب حديث أن المعلم الشرقي هو بركة مثمنة الأضلاع لم يتم حفظها جيداً. يُظهر المخطط أيضاً سلسلة من الخطوط المستقيمة في الجزء الشرقي. وتؤكد الصور وجود هذه الخطوط، ولكن لم يُعرف ماذا تمثل، وقد اختلفت الآن. وقد ظن هرتسفيلد أنها قنوات، مستنداً إلى افتراضه بأن المنخفض المستعرض كان قناة. وربما كانت جدراناً تحدد تخفيضاً في حجم الفناء كي يحتوي الأبنية الثانوية التي سبق ذكرها.

الجانب الجنوبي للمجمع

تعتبر المنطقة التي على الجانب الجنوبي للفناء الكبير إحدى أصعب المناطق في شرحها. فهناك عدد كبير من الأبنية المختلفة، ولم يحدث أي تنقيب في هذا الجزء، إلا ضمن مساحة صغيرة حيث قامت البعثة الألمانية بالتنقيب على الجانب الشمالي للبناء. تم تحديد المنطقة بسور جداري خارجي يتجه من الشرق إلى الغرب بطول 390 متراً جنوب الفناء الكبير، كما يقسمها جدار من الشمال إلى الجنوب يمتد على الجانب الغربي للبناء.

ثمة طريق هام، بعرض 65 متراً ويضيق فيما بعد بسبب البناء إلى عرض نحو 12 متراً، يقرب من نقطة اتصال هذا الجدار المتجه من الشمال إلى الجنوب مع السور الجداري الخارجي. من الواضح أن هذا الطريق لا يتطابق مع الطريق الكبير (الشارع الأعظم) الذي وصفه اليعقوبي، والذي يجتازه القصر، ولكن مع شارع أبي أحمد، الذي ينتهي عند باب البستان (بوابة الحديقة) وقصور الخليفة. وبما أن هذا الطريق، الأكثر أهمية في سر من رأى، لم يذكره اليعقوبي كثيراً، فلا بد أنه يعود إلى الفترة المبكرة من سامراء، في المخطط الأصلي للمعتمد. لذلك من المحتمل أن تكون بوابة جنوبية رئيسية قد وجدت في هذه النقطة، مع ممر إلى داخل الفناء الكبير. في مخطط هرتسفيلد، وعلى الجانب الغربي للجدار الشمالي الجنوبي، يمكن رؤية ممر ينعطف غرباً حول البناء. على أي حال، إن الطريق، في الصور الجوية، يقرب بالتأكيد من الجانب الشرقي للجدار، عبر المنطقة التي

يشغلها البناء، ومن بوابة داخلية عند الفناء. وإذا كان هذا الوضع الأخير هو الصحيح، فلا بد أن المدخل قد تم نقله بعد ذلك إلى غرب الجدار، ويحتمل أن يكون البناء قد أنشئ في وقت لاحق.

على أي حال، إن فكرة البوابة المزدوجة تدعمها حادثة جرت عام 256/870: فالمهتدي "غادر عبر باب المصاف، حتى خرج عبر البوابة المعروفة باسم إيتاخ، ثم إلى سوقة مسرور، ومنها إلى درب الوائق، حتى خرج إلى باب العامة. ومخطط المهتدي هو أن يغادر القصر عن طريق البوابة الجنوبية، وينعطف غرباً، وبعد ذلك يذهب شمالاً إلى باب العامة. كان منزل إيتاخ بجانب البوابة الجنوبية، ومن الواضح أن اسم باب بستان قد استبدل هنا باسم بوابة إيتاخ.

يوجد في البناء على الجانب الغربي من الطرف الشمالي لهذا الممر المقترح بناء ذو إيوان وحيد ضمن فناء وأبنية صغيرة ذات فناء حول المحيط. وإذا كان مخطط هرتسفيلد صحيحاً، فإن البناء يتطابق مع نموذج شائع تماماً في العمارة العباسية العراقية. يوجد في الأخضر بناء إيوان واحد منفصل بين البناء الداخلي والجدار الخارجي. وفي (المشروعات) يمكن رؤية بناء منفصل مشابه في الزاوية الشمالية الشرقية للمسور، مع مخطط مغاير قليلاً. وهناك بناء منفصل آخر مع إيوان وجامع عند مدخل سور عيسى في سامراء. تعطي هذه الأبنية انطباعاً بكونها مجلس أحد المسؤولين عن البناء نفسه، أو عن أمنه. ويذكر هذا بالوضع في مدينة بغداد المستديرة، حيث احتوى الفناء المركزي المنور على بناء للحرس ورواق ذي أعمدة للشرطة، ولكن لا يمكن تأكيد هذا. إلى الشرق من هذا الصف الشمالي الجنوبي، يبدو أن الأبنية كانت أبنية مخازن وخدمة.

على الطرف الغربي للجانب الجنوبي، جنوب كتلة قاعة الاستقبال المربعة مباشرة، تم إنشاء بناء مربع بقياس 70 متراً على نسق مختلف قليلاً، وجرى ربط هذا بالجانب الجنوبي لكتلة قاعة الاستقبال.

بين هذا البناء والصف الشمالي الجنوبي للمدخل من البوابة الجنوبية تبدو الأرض غير مستوية، ويقطعها واد ذو ثلاثة فروع. هناك ثلاث مجموعات من صفوف الغرف ذات الأفنية على أنماط مختلفة. لا تبدو هذه الأفنية واضحة في الصور الجوية، ومن الواضح أنها لم تكن ذات إنشاء الصلب. وفي الحقيقة هنالك

مرجعان في النصوص يوحيان بأن المنطقة كانت سابقاً حديقة - أولاً اسم البوابة الذي جرت مناقشته سابقاً وهو باب البستان، وثانياً مرجع في عام 862/248 حول الذهاب من العمري "عبر الحدائق". هذا الوصف يدعمه مخطط القصر الجعفري، الذي له سور فارغ على الجانب الجنوبي أيضاً. من الواضح أنها قد تكون حديقة مختلفة النوعية من المخطط الرسمي للجانب الغربي.

يمكن شرح مجمعات البناء على نحو أفضل بالإشارة إلى أن القصر كان مركز اضطرابات وعمليات عسكرية خلال ستينات القرن التاسع، وبشكل خاص في الأعوام 862/248 و 866/252 و 870/256.

في اليوم الأول من رجب عام 252 [866]، جرت معركة بين المغاربة والأتراك... وتغلبوا على الأتراك عند الجوسق وطردوهم، وهم يقولون، "في كل يوم تقتلون خليفة، وتخلعون آخر، وتقتلون وزيراً.... وعندما طرد المغاربة الأتراك من الجوسق، وتغلبوا عليهم عند الخزينة (بيت المال) واستولوا على خمسين مطية منهم.

من الواضح أن القصر كان أحياناً معسكراً مسلحاً، ولا شك أن التكتلات المؤقتة كانت توضع في أي مكان فارغ لإسكان الحامية العسكرية.

السرداب الكبير

على الجانب الشمالي للفناء الكبير الذي يعتبر المعلم الرئيسي يوجد السرداب الكبير، ويقع بين وحدتي القصرين. وهو ليس سرداباً أصلياً - أي غرفة تحت الأرض للاستعمال في الصيف - لكنه إلى حد ما حوض غائر داخل الكتلة مع الغرف المحيطة بقصد التخلص من حرارة الصيف. وقد قامت البعثة الألمانية بالتنقيب عن عدد من الأبنية السطحية. كما قامت مديرية الآثار العراقية بالتنقيب عن المنطقة الغائرة بين عامي 1987 و 1990، ودعيت باسم البركة الهندسية.

هنالك جدار استنادي خارجي بطول 180 متراً على أحد الجانبين، مع وجود الأبنية ذات الفناء في الداخل على مستوى السطح. وقد لاحظ هرتسفيلد أن بعض هذه الغرف قد احتوت على مخازن، وأوان خزفية صينية، ومواد للأرصفة، وقطع آجر مصقولة. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية قام هرتسفيلد بحفر نصف بناء

مستطيل مؤلف من خمسة جدران متوازية سمكية. من الواضح أن هذه كانت مساند لبناء مرتفع سميك الجدران. ويوجد في القصر الجعفري نوع مشابه من البناء. فهناك بناء مركزي مدعوم على جدران ثقيلة، محاط بأبنية ذات أفنية. ومن الواضح أنه نوع تقليدي لبناء ما بين النهرين، لأنه يوجد بناء مشابه في الزاوية الشمالية الشرقية للقصر الجنوبي في بابل، الذي بناه نبوخذ نصر في بداية القرن السادس قبل الميلاد، ودعاه كولدوي باسم "البناء المقيب". ويُفترض أن يكون هذا البناء مخزناً للأشياء الثمينة التي يتطلب رفعها عن مستوى الأرض لأسباب أمنية.

يتخذ المركز الغائر للبناء شكلاً متقاطعاً ويبلغ 115 متراً من أحد جانبيه إلى الآخر. يوجد في المركز حوض مستدير بقطر 65 متراً، مع جرار ضيقة موضوعة في الجدران القرميدية، تم العثور في داخلها على عظام أسماك. وهناك سلالم مستقيمة ضخمة تهبط إلى الداخل من الشمال والجنوب. تغذي الحوض قناة تأتي من الشرق، وليست مرتبة على السطح؛ وتوجد قناة تصريف أخرى إلى الغرب. وهناك في نقاط التقاطع الأربع كلها ممرات مائلة للخدمة متعامدة مع السلالم الضخمة، ومع أنها لم تكن كلها قيد الاستخدام، فقد كانت واحدة على الجانب الغربي تستعمل لابتغاف النفائات، وقد وجدت ممثلة بالرماد والفخار والزجاج. وكانت الغرف التي حول الحوض مرتبة بشكل شعاعي، مع أنها تستند إلى مخطط الإوانات الأربعة. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية يوجد حمام كبير، فيه أنون وقناة تحت الأرض للتدفئة.

إن الغرف المحيطة بالحوض مزخرفة كلياً بأفاريز من الجص، وهي كلها على شكل ورقة الكرمة، من الطراز (A). ومع أن تسلسل الزخرفة بالجص في سامراء بحاجة إلى عمل جديد، فمن المؤكد أن هذا الأسلوب كان موجوداً قبل تأسيس سامراء عام 836/221، لكنه يستمر أيضاً بعد سامراء. إن الأبنية في سامراء، المزخرفة على نحو شامل بورقة الكرمة، أي باب العامة بأسلوبه المختلط (A) و (B)، والقصور الأعلى والأدنى في (الحويصلات)، التي يتطابق أحدها مع قصر الجص للمعصم، تنسب عادة إلى بداية عصر سامراء. ويوحي دليل تاريخ الجص، رغم ضعفه، بأن السرداب الكبير هو بناء مبكر، وجزء من المخطط الأصلي للقصر.

Rotundabau

إلى الشرق من السرداب الكبير يوجد مجمع آخر للأبنية ذات الأفنية. وقد قام هرتسفيد بالتقييب عن غرفة الاستقبال ودعاها (Rotundabau) أو القاعة المستديرة. ولم يتم نشر المخطط أبداً. ويتضمن منزلاً كبيراً على طراز سامراء- أي كتلة استقبال يتبعها فناء وإيوان آخر. وهناك بناء آخر ذو غرف تحيط بفناء على الجانب الغربي، وأربعة أسوار أقل وضوحاً على الجانبين الشرقي والشمالي.

تحتوي كتلة الاستقبال نفسها على قاعة مستعرضة بقياس 7×18 أمتار تبرز في الفناء الكبير، الذي يبدو أنه إضافة إلى البناء الأصلي. بعد ذلك توجد قاعة مستعرضة أخرى بقياس 4×13.8 أمتار، مشابهة لرواق ذي إيوان على شكل حرف (T)، وتحيط بها غرفتان فيهما كوى جدارية. كانت هذه الكوى الجدارية مغطاة بعد ذلك بأفاريز جدارية جصية من النموذج المائل، والقاعة الرئيسية دائرية، قطرها 9.4 أمتار، ومعها أربع غرف سداسية صغيرة غريبة الشكل لها قباب منخفضة على الجانبين الشرقي والغربي. ويشير المخطط إلى أن الشكل الدائري هو شكل لاحق وأن القاعة كانت أصلاً مربعة الشكل، ولها مداخل إلى غرف جانبية مزخرفة بدعائم متشابهة.

يعطي البناء وملحقاته المرتبطة به انطباعاً بأنه مجلس لموظف ذي علاقة وثيقة بأعمال القصر، وبحاجة إلى مكان للعمل وأبنية للخدمة.

الطرف الشرقي والسرداب الصغير

يتميز الطرف الشرقي للفناء الكبير بمجموعة من المنشآت: حوض مربع غائر أصغر، (السرداب الصغير، أو هاوية السباح)، وستة أروقة طويلة، وسرادقان كبيران، وميدان للعبة البولو، ومكان للمشاهدين، ومضمار للسباق.

كان فيوليت أول من بحث في موضوع السرداب الصغير وبعده هرتسفيد، الذي نظف مدخل السطح وأحد السلالم وأعد مخططاً، وبدأت المديرية العامة للآثار العراقية العمل على الموقع عام 1983 وقامت بتنظيف الموقع وإعادة بنائه، وانتهت عام 1986.

كان موقع المدخل في مركز الجدار الشرقي للفناء الكبير. وقد وصف

هرتسفيلد هذا المدخل بأنه غرفة مربعة حيث وجد إفريزاً من الجص الملون يمثل جمالاً بستانمين. وقد أعيد بناؤها على شكل غرفة مقببة ذات كوى جدارية، وتمثل إلى حد كبير مدخلاً نموذجياً لأحد المنازل الكبيرة في سامراء. يبلغ قياس البناء عند مستوى السطح 54×60 متراً، وصوره هرتسفيلد على شكل سلسلة من الغرف حول الحوض. وقد أعيد بناؤه على شكل رواق، مع أقواس عمودية على جوانب الحوض.

يؤدي الحوض نفسه وظيفة مشابهة للمرداب الكبير، لكنه أصغر وبشكل مربع (21 متراً من كل جانب)، ويغور حوالي 8 أمتار داخل الكتلة. ويوجد إيوان ثلاثي على كل من جانبي الحوض، وكلها مزخرفة بجص من النموذج المائل، تدخل قناة من الإيوان الشمالي المركزي، ويتم تصريف الماء بواسطة قناة أخرى باتجاه الجنوب. ويهبط أحد السلالم من الجانب الجنوبي للمدخل الرئيسي، ويهبط سلم آخر إلى الزاوية الشمالية الشرقية للحوض.

الأسطبلات والسرادق

توجد على كل جانب من السرداب الصغير ثلاث شرفات طويلة؛ قياس أربع منها 11×106 متراً، والاثنين الباقيتين 11×96 متراً. وهناك خمسة مداخل إلى الأفنية المجاورة. وقد عرف هرتسفيلد هذه الشرفات بأنها إسطبلات لميدان لعبة البولو.

ومع أنه قد يبدو مدهشاً أن يتم بناء الإسطبلات في منطقة مجاورة لمكان جميل مخصص لراحة الخليفة، مع ما تسببه من إزعاج برائحته، فإنه ربما كان على صواب. يشبه شكل الشرفات مخططاً للبناء موجوداً أيضاً في مجموعة أبنية القصر الجعفري تحيط الشرفات في القصر الجعفري ببناء مركزي، وتوجد مجموعة الأبنية على مسافة بعيدة عن الأجزاء المسكونة من القصر -الذي دُعي بالجعفري لاحقاً، وربما كان تحديد هذا الموضع نتيجة خبرة سينه بالجمع موضوع البحث هنا. إن هذا الترتيب للشرفات حول القناء المركزي هو في الحقيقة مشابه للترتيب العادي لشرفات الإسطبل في الخانات الإيرانية، والتي توجد في العراق أيضاً.

يصف اليعقوبي، على أي حال، إسطبلات الخليفة العامة والخاصة على أنها توجد في مركز المدينة عند شارع السريحة (الشارع الأعظم). ويمكن تحديد الموقع بشكل تقريبي، ولا توجد أي إشارة لهذا النوع من البناء. ومع ذلك فمن الواضح أن الإسطبلات الموجودة في مركز المدينة، على بعد خمسة كيلومترات من القصر، كانت تخص أموراً طويلة الأمد تتعلق بترية مطايا القصر والجيش وليس الإيواء اليومي للحيوانات الموجودة في القصر، وبخاصة المهور المستعملة للعبة البولو وخيول السباق.

إلى الشمال

سرادق. وقد بني السرادق الشمالي من الحجر الطيني ولا يزال صامداً جزئياً رغم تبدل قبة الإيوان الجانبي. وقد قام بتسفيد بالتقريب عن البناء، لكنه لم ينشأ.

يتألف البناء من إيوان مركزي بشكل حرف (T)، ويبلغ قياس طروق الأمامي المعمد فيه 5×10 أمتار، والإيوان نفسه 8.5×5.5 أمتار. كما يوجد رمان جانبيين قليلي العمق، بقياس 3.2×4.2 أمتار. كانت تغطيهما أنصاف قبة مركبة على أقواس داخلة صغيرة. من الواضح أن هذين الإيوانين الجانبيين يشبهان الإيوانين الموجودين في باب العامة، ولكن ليس لهما باب يؤدي إلى القاعة التي جنبهما. يتخذ الإيوان الخرجي شكل مستطيل، بقياس 22.5×38.5 متراً، وله دعائم مستديرة، ويبدو أن السرادق الجنوبي مشابه لهذا. ويمكن ملاحظة أن السرادقين الكبيرين محددان لتفقد مهور الخليفة الخاصة بلعبة البولو وخيول السباق.

ميدان لعبة البولو ومكان المشاهدين

يوجد ممر من السرداب الصغير يؤدي إلى داخل فناء مربع ثم إلى ميدان طويل مستطيل. وقد قام هرتسفيد بالتقريب عن مدخل الميدان. يبلغ قياس الميدان الطويل المستطيل ذي الدعائم نصف المستديرة 66×525 متراً. وبحسب الدليل المتعلق بالسرقة، كانت الجدران مصنوعة من الحجر الحراري.

على الجانب البعيد للميدان يوجد مكان للمشاهدين، الذي يطل في آن واحد على الميدان وبداية مضمار السباق. يبلغ قياس هذا البناء 45×28 متراً وهو مبني من الحجر الحراري، وله دعائم على الزاويتين الشرقيتين. إن المخطط

مخصص لحجرة تتجه من الشرق إلى الغرب، وتمثل ممراً لبوابة. وعلى كل جانب توجد خمس غرف مرتبة من الشمال إلى الجنوب. من الواضح أن هذا يشكل بناء سفلياً لطابق أعلى، ربما كان منصة للمشاهدين.

حدد هرتسفيلد أن الميدان أنشئ للعبة البولو. ومن الواضح أن هذا الحكم صحيح، لأن ترتيب ميدان طويل مستطيل وسرادق مع رصيف للمشاهدين على الطابق الأعلى يتطابق كثيراً مع ميدان الشاه الصفوي في أصفهان (524×159 متراً)، الذي بُني عام 1590-1604، مع سرادقه، (القبو). ويؤكد ابن قتيبة أن ملاعب البولو في العصر العباسي كانت تشبه كثيراً ميادين سامراء بالإشارة إلى أن "عرض الميدان قد حدد بمقدار 60 ذراعاً [31 متراً] حتى لا يتعرض [المشاهدون] الذين يجلسون على جداره للتدخل معهم أو الاعتداء عليهم". وهناك اثنا عشر مثلاً لميادين مشابهة في سامراء، وكلها أصغر وتوجد كلها في القصور أو مجاورة لها.

مضمار السباق 2

إن مضمار السباق هو مضمار خارجي وخلفي للسباق، ويمتد شرقاً على شكل زجاجة من مكان المشاهدين. تبعد جوانب المضمار عن السرادق، وبعد ذلك يوجد على الجانب الجنوبي انحناء على شكل حرف (S) بعد 1510 أمتار. وبعد الانحناء تصبح الجوانب أكثر توازياً تقريباً مع بعضها بعضاً، وهناك استقامة بطول 2200 متر قبل المنحنى. يبلغ عرض المسار 80 متراً؛ كما يبدو أن الطول كان 10420 متراً.

يبدو أن هذه الوحدات التي جرى بحثها في الطرف الشرقي تمثل كياناً واحداً متماسكاً. فالسرداب الصغير وشرفات الإسطبل والسرادقان كلها متماثلة تقريباً. هناك تغيير في نسق ميدان لعبة البولو، أما الجداران الشمالي والجنوبي للميدان فإنهما يحتفظان بالنسق الأصلي، ويشكلان متوازي أضلاع، كما تأخذ الإسطبلات والسرادق في الحسبان وجود الميدان. لذلك يعتبر الميدان معاصراً لهذه المجموعة الأولى، رغم تغيير النسق. ويتناسق الميدان مع مضمار السباق؛ والسبب الوحيد الذي كان محتملاً لملاحظة أن مضمار السباق يجب أن يختلف نسقه عن محور القصر في الأرض المسطحة هو أنه، لو تبع ذلك المحور الأصلي، سينتقاطع مع

المصلى الذي في السهل، والذي يستعمل للصلاة في عيد الفطر وعيد الأضحى وهو المصلى الأقرب إلى القصر، وربما كان شائعاً على نحو كاف فرض تغيير على نسق مضمار السباق. ليس من المؤكد أن مضمار السباق 2 هو جزء من برنامج بناء الميدان نفسه، ولكن يبدو ذلك محتملاً. وهناك بعض التقارب في تاريخ مضمار السباق 2، وهو بعد مضمار السباق 1، الذي يتقاطع معه.

سيكون ثمة مفهوم ضمني بأن مجموعة الطرف الشرقي هذه هي إضافة ثانوية للقصر. وهناك بعض النقاط البسيطة التي تؤيد هذه الفكرة: إن مجموعة الطرف الشرقي ليست على نسق مع الفناء الكبير. والسرداب الصغير مزخرف بالنموذج الجصي المائل، ومن الواضح أن المجموعة هي مجمع للرياضة والتسلية في أوقات الفراغ، والسباق، ولعبة البولو، وتمضية أيام الصيف بارتياح.

الثكنات

في الزاوية الشمالية الغربية لمجمع القصر، أضاف هرتسفيلد مجموعة من ثلاث كتل لأبنية ذات أفنية مسورة ضمن بناء مجمع. تتألف الكتلة من 62 وحدة حول ثلاثة جوانب من الفناء، وتتألف الكتلة (2) من 34 وحدة مشابهة.

وتحتوي الكتلة (3) على 8 وحدات مع غرف على جوانب متقابلة من الفناء، ليصل مجموعها إلى 104 وحدات. كذلك توجد ثلاثة جوامع صغيرة.

عرف هرتسفيلد هذه المنطقة بأنها ثكنات حرس القصر. ويبدو هذا محتملاً؛ فهناك العديد من النماذج المختلفة للسكن العسكري في سامراء، والعامل الوحيد الذي يوحد بينها هو أن السكن يكون دائماً على شكل منازل الأفنية، بدلاً من ثكنات الغرف المنفردة.

الحمام

إلى الجنوب من منطقة الثكنات وشمال غرب كتلة قاعة الاستقبال المربعة، وعلى حافة المنحدر المتجه إلى سهل الغمر، يوجد بناء مربع صغير ذو جدران سميكة وثلاث دعائم مستديرة. وقد تطابق البناء الذي ذكره فيوليت مع الذي وصفه جون روس بالحمام. وكان فيوليت قد حفر فتحتي سبر في المنطقة، وتم استرداد زخارف جصية، مشابهة للموجودة في باب العامة. ويبدو أن البناء هو

علية مرتفعة. وهناك أبنية مشابهة معروفة على الجوانب الشرقية والغربية لقصر العاشق.

القصر الشمالي

إن البناء الرئيسي على الجانب الشمالي للمجمع هو قصر داخل سور استنادي خارجي. وهذه الآثار لم يحدث فيها أي تنقيب أبداً، ولم يدخلها فيوليت في المجمع. لكن هرتفيلد أدخلها، لأنه اعتقد مصيباً أنه لا توجد نهاية شمالية منطقية لمجمع القصر بدونها. ومن المؤسف أن العديد من التفاصيل الحاسمة قد أخفتها خنادق الخطوط الأمامية التي حفرتها الحملة العسكرية البريطانية بين النهرين عام 1917.

يبلغ عرض السور الخارجي المستطيل، المتجه من الشرق إلى الغرب، 330 متراً ويمكن متابعته لمسافة 462 متراً نحو الشرق. والجدار مجهز بدعامات ضخمة نصف مستديرة قطرها حوالي 11 متراً. وتغطي الآثار انطباعاً بأن الجدار الشرقي قد جرى هدمه بعد ذلك، واستبدل به جدار جديد متسق مع الميدان.

توجد على الطرف الغربي كتلة قاعة استقبال مربعة، بقياس 130×120 متراً تقريباً، مع جدار استناد خارجي. وهو مرفوع على شرفة واسعة، ويبدو أنه كان من نوعية المخطط ذي الغرفة المقبية في المركز. على أي حال، لا يحتمل أن تتم استعادة مخطط سليم بدون تنقيب.

على الجهة الشرقية لكتلة قاعة الاستقبال، يبلغ عرض الكتلة الرئيسية للبناء 220 متراً، ويمكن تتبعها لمسافة 285 إلى الشرق. والطرف الشرقي ليس واضحاً، ولو كان البناء متماثلاً، لكان طوله حوالي 340 متراً. ولو كان أصلاً بهذا الطول، لتطابق مع مستطيل بنسبة 2 إلى 3، مثلما وجد في جوامع سامراء، ولكن كان من الممكن أن يقطعه البناء. وعلى غرار السور الجداري الخارجي، يبدو أنه قد تعرض للقطع بسبب الهدم في الطرف الشرقي، ليفسح المجال لبناء جديد.

يبدو أنه كان يوجد في المركز الأصلي فناء بقياس 80×55 متراً، يقترّب منه شارعان على الجانبين الشمالي والجنوبي. وعلى الجانب الشرقي يبدو فناء

آخر بأبعاد مشابهة، يفصله جدار. وعلى الغرب من الفناء المركزي، توجد قاعة طويلة بطول 25 متراً وعرض 12 متراً تقريباً، تليها قاعة مستعرضة. بعد ذلك يوجد فناء مربع ومدخل إلى الشرفة العالية الواسعة. وعلى الجانبين الشمالي والجنوبي للفناء المركزي، توجد أبنية ذات أفنية تبدو وكأنها شقق سكنية، وكانت غرف الاستقبال الرئيسية كلها مبنية بالآجر الحراري، الذي سُرّق؛ ويبدو أن الشقق السكنية قد بنيت من الآجر الطيني.

في المنطقة حيث امتد السور، إلى الجنوب الشرقي من البناء الرئيسي، يحدد مخطط هرتسفيلد مجمعي أبنية أخرى؛ لكنه لم يتوسع في مخططهما، ولم تكن آثارهما واضحة جداً في الصور الجوية. على أي حال، في الزاوية الشمالية الشرقية من المجمع، يوجد مخطط واضح جداً للبناء السكني، وهو كما يبدو قصر صغير، وغير موجود على مخطط هرتسفيلد. وكان شكله متوازي الأضلاع، بقياس 169×90 متراً. كما توجد كتلة استقبال مربعة من الآجر الحراري - تمت سرقتها - مجاورة للجدار الشمالي، وغرفة استقبال أخرى على الجانب الجنوبي للفناء المركزي.

ويوجد خارج سور المجمع في الزاوية الشمالية الشرقية قصر صغير آخر، بقياس 170×106 متراً. ويحتوي هذا على كتلة استقبال مركزية مربعة من الآجر الحراري، مع أفنية على الجانبين الشمالي والجنوبي.

مناقشة دليل الآثار

يتألف القصر في شكله الأخير، إذاً، من بنائي قصرين رئيسيين، كل منهما أكبر من قصور سامراء الأخرى، باستثناء القصر الجعفري. يحتوي القصر الجنوبي على كتلة قاعة استقبال مربعة ذات فناء كبير، لكنه يضم مكاناً صغيراً جداً للسكن على شكل المنازل ذات الأفنية، وهو طابع هام جداً عادة في القصور الإسلامية المبكرة. من ناحية أخرى، يحتوي القصر الشمالي، بشكل كامل تقريباً على أمكنة للسكن.

رغم عدم التمكن حالياً من تأريخ جميع الأبنية الموصوفة هنا، فإن العناصر الأصلية للقصر كانت تتضمن كما يبدو كتلة قاعة الاستقبال المربعة والفناء الكبير وربما الحديقة الغربية. ويمكن أن يلحق بها السرداب الكبير والحمام اللذان

يبدوان أصليين استناداً إلى زخرفتهما. ولا بد أن يكون القصر الشمالي أصلياً أيضاً، وذلك إلى حد ما بسبب مخططه الذي يذكر بالقصور السابقة، كذلك لأن السرداب الكبير، الذي يعتبر مبكراً كما يبدو، يحتوي على سلام ضخمة تؤدي إلى القصور الشمالية والجنوبية معاً.

أما الإضافات الرئيسية اللاحقة فيبدو أنها، أولاً، الطرف الشرقي للقصر الجنوبي، بما فيه السرداب الصغير والسرادق الشمالي والجنوبي والميدان، وربما مضمار السباق 2. ثانياً، هناك التوسع الشرقي للقصر الشمالي. والبناء الوحيد المميز في هذا التوسع هو قصر يخلد الطابع السكني للمجمع. ومن الغريب أن جزءاً من القصر الأصلي يبدو أنه قد تهدم، لكن الدليل ليس واضحاً بشكل كافٍ للتأكد مما حدث. هنالك أيضاً العديد من الأبنية الأخرى التي يظل تأريخها النسبي ضمن المجمع غير مؤكد.

طوبوغرافيا القصر في النصوص

إن الاسم التقليدي الأكثر حداثة للقصر كان قصر الخليفة، أو بيت الخليفة، الذي لا يزال مستعملاً اليوم في العراق. على أي حال، في فترة التقرير الأولي لهرتسفيلد عام 1914، كان يُدعى الموقع باسم الجوسق الخاقاني، مستنداً ربما على عمل شفارتس. وفي عام 1983 أشار العاني إلى أن ثمة قصرين مختلفين ورد ذكرهما في النصوص، الجوسق ودار العامة، وأن هرتسفيلد لم يكن على صواب في استعمال اسم الجوسق لمجمع القصر. إن النص الحاسم مأخوذ عن تاريخ اليعقوبي:

توقف [المعتصم] عند الموقع الذي فيه دار العامة، وكان هناك دير للمسيحيين، واشترى الأرض من جماعة الدير، ووضع مخططات [أبنية] على الموقع، وذهب إلى موقع القصر المعروف باسم الجوسق على دجلة، وبنى هناك عدداً من القصور.

تؤكد جميع النصوص أن ثمة بنائين هما موضع البحث، لكن نصوصاً أخرى تذكر أحداثاً تتعلق بالإثنين معاً، وكأنه لا توجد مسافة كبيرة بينهما.

دار العامة

على قمة مجموعة من المصطلحات هناك تعبيرات تطلق على القصر اسم دار الخليفة أو دار الخلافة. ويستعمل اليعقوبي اسم دار الخليفة، ويستعمل الطبري اسم دار الخلافة، ودار السلطان، ودار أمير المؤمنين. ويمكن لاسم دار الخلافة أيضاً أن يحمل المعنى المجرد لبית الخليفة. وفي عام 870/256 كان المجمع يطلق عليه ببساطة اسم الدار. وهذا النوع من المصطلحات سبق زمنياً استعمال اسم دار الخلافة لمجمع قصر الخليفة في بغداد منذ عهد المعتضد (892-908) فصاعداً. ومن الواضح أن اسم قصر الخليفة التقليدي الحديث هو من سلالة هذا التعبير.

ربما كانت مجموعة الأسماء هذه تمثل تسمية شاملة لمجمع يضم عدداً من القصور، كما كانت الحالة بالنسبة لدار الخلافة في بغداد؛ ولكن ربما كان أكثر احتمالاً أنها مرادفات بسيطة لاسم دار العامة؛ ويفسر اليعقوبي في الحقيقة اسم دار الخليفة بهذه الطريقة الأخيرة.

كانت دار العامة هي القصر العام الذي يجلس فيه الخليفة لسماع شكاوي الناس أيام الاثنين والخميس. ويبدو أيضاً أن الخلفاء كانوا يديرون جزءاً كبيراً من أعمالهم هناك. وكان للخليفة فقط الحق في تحديد المواعيد فيه، وقد جرت تأدية قسم السوالة للمستعين هناك عام 862/248، كما أقام المهتدي محكمة العدل (المظالم) فيه.

لقد ذكر بالتحديد أن دار العامة بنيت على موقع الدير الذي كان هناك سابقاً، وأن بناء الدير تحول إلى الخزانة (بيت المال). وترتبط جميع النصوص بيت المال بدار العامة، وبخاصة في حادثة جرت عام 845/231-46 عندما "حفر للصوص فتحة في بيت المال الموجود في دار العامة بقلب القصر، وأخذوا 42000 درهم". وقد يفترض المرء أن يكون الدير نتيجة لهذا الحدث قد استبدل به بناء أكثر أمناً، لأنه لا توجد أي إشارة إلى بناء دير على الأرض.

كما يرتبط باب العامة بشدة أيضاً مع دار العامة. وفي النصوص، يُعتبر باب العامة موقعاً للوافدين الرسميين إلى القصر. فمثلاً، عندما جرى إحضار المتمرّد بابك إلى سامراء عام 838/223، "جاء الناس لينظروا إليه من المطيرة إلى باب

العامه، وتم إحضاره داخل دار العامه إلى أمير المؤمنين"، وفي عام 855/241-56 "وقف القمسي عند باب العامه مع بعض البوجا، وكانوا 70 غلاماً يركبون الجمال".

كانت هذه الأحداث مواكب انتصار، تذكر بالانتصارات الرومانية.

على أي حال، يتطابق باب العامه أيضاً مع العقوبات العامه. ففي عام 226/841، "صلبوا [الأفشين] على باب العامه كي يراه الناس.. وتم إحراق الجثة وأخذوا الرماد وألقوه في نهر دجلة". وفي عام 870/256 كان رأس صالح بن وصيف قد عُلق عند باب العامه لمدى ساعة".

وفي عام 73-872/259 "ضربوا [سكرتير كنزور المسيحي]... 1000 سوط عند باب العامه، ومات". ويبدو أن السمعة السيئة للقصر في التقليد الحديث (وفق وصف جون روس السابق ذكره) تستمد من هذه الأحداث، رغم أنها انتشرت من باب العامه إلى أجزاء أخرى من القصر.

يوجد باب العامه وفق الفصوص غربي القصر ويمكن للمرء أن يخرج من باب العامه نحو الهاروني، الذي يمتد في سهل الفيض لنهر دجلة- وعلى مقربة من "الطريق"، أي الشارع الأعظم أو شارع السريجة. ويمكن للمرء أن يرى باب العامه ودار العامه من الطريق.

لذلك فإن السطابق التقليدي لباب العامه مع الإيوان الثلاثي على الواجهة الغربية للقصر يجب أن يكون صحيحاً، كما أن كتلة قاعة استقبال المربعة للقصر الجنوبي يجب أن تكون دار العامه.

يبدو غريباً القول إن الطريق الرئيسي كان يمر عبر حديقة الخليفة الرسمية، والتي يفترض أن تكون خاصة، وأن تعريف باب العامه كان موضع شك لهذا السبب. ويبدو أن الحل يكمن في التسلسل الزمني. إن دليل علم الآثار حول الحديقة الغربية يتفق مع الفرضية، رغم أنه لا يثبتها، بأنها أبكر في تاريخها وتعود إلى فترة الإنشاء الأصلية للقصر. إن أول إشارة إلى باب العامه على أنه مكان مفتوح للناس يعود تاريخها إلى عام 838/223، كما أن وصف اليعقوبي للشارع الأعظم يعود تاريخه إلى ما بعد موت المتوكل عام 861/247. وربما لم يكن ممكناً أن يبقى خاصاً ما خطط له المهندسون المعماريون ليكون حديقة خاصة، بينما كان

القصر نفسه مخصصاً ليصبح بناء عاماً. وعلى أي حال، إن المكان الأكثر منطقية كي يعبر الطريق الحديقة هو بين الجدارين الشمالي والجنوبي.

يرتبط بيت المال مع باب العامة والطريق في حادثة عام 862/248، وهكذا يحتمل أن يكون البناء على الجانب الجنوبي لكتلة قاعة الاستقبال المربعة. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فقد يفضل المرء أن يطابق بيت المال مع البناء المقيب ضمن سور السرداب الكبير، الذي يبدو أكثر أمناً، ويمكن وصفه بأنه شكل خاص بما بين النهرين لبيت المال المرتفع في الجامع الأموي بدمشق.

الجوسق

يرجع الجوسق وفقاً لليعقوبي إلى البناء الأصلي لمدينة سامراء، وقد دعي باسم الجوسق الخاقاني، نسبة إلى خاقان "عرطوج أبو الفتح بن خاقان، الذي كان مسؤولاً عن بنائه والذي خصصت له مقاطعة مجاورة له. وقد أتى ذكر إيوان فيه. وكان يوجد أيضاً برج اسمه اللؤلؤة، تم بناؤه ليكون سجنًا للأفشين؛ وربما ليتجول الحرس تحته.

من الواضح أن الجوسق قد أفرّد في النصوص ليكون سكناً خاصاً يقيم فيه الخليفة. وقد دُفِنَ المعتصم هناك عام 842/227. ثم بنى الواثق قصر الهاروني (842/232-847) وانتقل إليه، حيث أقام المتوكل أيضاً أغلب فترة حكمه (847/232-861/247).

لكن المتوكل وضع ابنه المنتصر في الجوسق، ووفقاً لابن الأعمى الكوفي (توفي عام 926/314) فإن المنتصر قد دفن هناك عام 862/248. وقد أقام المستعين والمعتز والمهتدي جميعهم في الجوسق، ودُفِنَ الاثنان الأخيران هناك، بالإضافة إلى المنتصر. وقد أقام المعتز في الجوسق، حتى انتقل إلى قصر المعشوق، ورجع إلى هناك للمرة الأخيرة عام 884/269. وفي عام 903/290 قرر المكتفي إعادة تعيين العاصمة في سامراء، ولكن يبدو أنه وجد الجوسق قد تهدم، لأنه أجبر على التخييم هناك.

إن الدليل المحدود حول النساء في القصر يتعلق بالجوسق: ففي عام 869 كانت قبيحة، أم المعتز، قد أخرجت الأموال، والجواهر، والممتلكات الثمينة

في المخازن الموجودة داخل الجوسق* لتدفع إلى الأثر ك. وفي عام 870/256 نشرت رسالة، أحضرتها امرأة "من المنطقة المجاورة لقصر الأحمر (المرتبط عادة مع الجوسق)*.

جرت العادة أن يُسجن في الجوسق السجناء المميزون. كان الأول عام 839/225 هو الأفشين حيدر بن كاوس الأرساني، الذي تم بناء سجن خاص به. وفي عام 862/248 سجن المستعين ابني المتوكل، المعتز والمؤيد، في غرفة من الجوسق. ثم جرى إطلاق سراح المعتز عام 865/251، وأصبح خليفة، وأعاد سجن المؤيد سيئ الحظ، الذي مات أخيراً في السجن، وفي عام 870/256 أطلق سراح المعتد من السجن في الجوسق ليصبح خليفة.

عندما يقترب المرء من القصر عن طريق شارع أبي أحمد، وفقاً لليعقوبي، فإنه يقترب من باب البستان وقصور الخليفة، (وهي عبارة يبدو أنها تعني السكن الخاص للخليفة). ولا يذكر اليعقوبي الجوسق أو الجوسق الخاقاني في وصفه لطرق سامراء، وعلى المرء الافتراض أنه تم تصنيفه هنا بين أماكن سكن الخليفة. إن أماكن سكن الخليفة تقع بشكل ما في الطرف الشرقي للقصر. وفي عام 870/256، أيضاً، انطلق موسى بن إغا إلى الحير... حتى وصل إلى بوابة الحير المجاورة للجوسق وقصر الأحمر*. ويوصف الجوسق بأنه يطل على الحير من الشرق، رغم أنه ذكر أيضاً باسم "الجوسق على دجلة".

من الواضح أن المرحش للتطابق مع الجوسق هو القصر الشمالي في المجمع. فهو البناء الوحيد بالمقياس الصحيح الذي يصلح لإقامة الخلفاء فهو يحتوي على شقق سكنية، لا تتوفر في البناء المربع. ويعتبر المعسكر في الشمال مرشحاً جيداً لمقاطعة الخاقان عرطوج، التي أتى ذكرها على أنها مجاورة للجوسق.

إن القصر الموجود، ضمن التوسع الشرقي المضاف للمجمع، يمكن أن يتطابق مع القصر الكامل، الذي بناه المتوكل للمعتز ضمن الجوسق، وربما أضيف له في فترة حكمه بناء صممت أمه. ويمكن لقصر الأحمر، المرتبط على نحو كبير بالجوسق، لكنه منفصل عنه، ويوجد قرب بوابة شرقية داخل المجمع، أن يتطابق مع القصر الصغير الموجود في الزاوية الشمالية الشرقية.

المناقشة

إن الطبيعة المزدوجة للقصر، في كل من المصادر النصية ودليل الآثار، تشير الانتباه تماماً. فمن جهة، هناك قصر مربع دون تسهيلات سكنية، يواجه الشارع الأعظم والحديقة من الغرب وفناء كبيراً من الشرق. ومن جهة أخرى، هناك قصر ذو تسهيلات سكنية، يحيط بها جدار استتادي ضخم. وفي الدليل النصي هناك دار العامة، وقصر عام حيث ينصب الخلفاء ويطاح بهم ويجلسون لسماع الشكاوي والحكم. ومن ناحية أخرى، هناك سكن خاص، هو الجوسق، حيث يقيم الخلفاء، ويموتون، ويدفنون، والذي يبدو أنه ميدان نشاط النساء.

تؤكد هذه الميزات التشابهات والاختلافات في مخطط القصر الجعفري. ولا شك أن قصر المتوكلية، الذي بني عام 859/245-861/247، كان القصد منه أن يجاري قصر الخليفة في سر من رأى، وكان إلى مدى معين نسخة منه. كما أن مساحة القصر الرئيسي، وهي 176 هكتاراً، تماثل تقريباً مساحة دار الخلافة، لكن البناء مفصول عن المدينة بمسافة تبلغ بين 1100 متر و 2300 متر، والتي كان يقصد بها فقط هدوء الخليفة وأمنه. إن كتلة قاعة الاستقبال على نهر دجلة أصغر (125 × 125 متراً)، وتشرف على القسم الرئيسي من القصر كتل المنازل ذات الأفنية، التي من الواضح أنها تستعمل شققاً سكنية، وإلى الشمال والشرق، تبدو المساحة الشاسعة وتنظيم المخازن والمشاغل مثيرة للإعجاب، بالمقارنة مع الترتيبات التدريجية الواضحة لدار الخلافة. وفقاً لتاباري، كان هناك باب العامة في القصر الجعفري، الذي لم يتحدد بشكل دقيق بعد، ولكن من الجلي أن دور القصر العام كان، أولاً، متحداً ضمن التصميم الإجمالي، وثانياً، أقل أهمية بكثير مما هو في دار الخلافة. كان المتوكل قد أمضى في الخلافة مدى اثنتي عشرة سنة عندما بدأ ببناء المتوكلية عام 859/245، ومن المؤكد أنه كان قد مل من صخب السياسة.

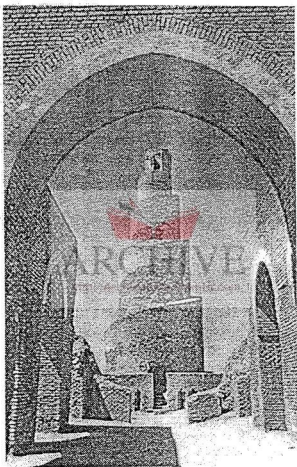
هذا الإخفاق من جانب المتوكل يؤكد رؤيا المعتصم السياسية في بناء قصر عام مميز. وكان المعتصم يضع علاقته مع شعبه في المقام الأول عندما أسس دار العامة. وهناك قصران إسلاميان قديمان آخران لا يزالان باقيين حيث كان التوجه نحو الشعب يعتبر أمراً هاماً؛ أحدهما هو قاعة الاستقبال ذات الإوانات الأربعة

في مدخل القصر الأموي في عمان، والآخر هو قصر أشناس في الكرخ، وسور أشناس، حيث يؤدي المدخل الرئيسي إلى داخل فناء يحتوي على جامع في مركزه.

من المثير للانتباه أن القصر العام هو الذي تلقى الاهتمام فيما يتعلق بالإضافات، والتحصينات، ونوعية الإنشاء، رغم أن البنائين لهما أبعاد متشابهة. إن القصر المربع مبني بكامله من الأجر الحراري؛ والقصر الشمالي مبني بشكل جزئي من الأجر الطيني. وكانت عدة مجمعات مبنية أصلاً أو مضافة بعد ذلك إلى الفناء الكبير للقصر الجنوبي، بما في ذلك مجمع الرياضة والترفيه في الطرف الشرقي. والإضافة الوحيدة التي جرت للقصر الشمالي كانت القصر الصغير، بينما يبدو أن جزءاً من البناء الأصلي قد تهدم.

يمكن تفسير عدم التكافؤ هذا إذا اعتبر المرء أن القصر العام هو ميدان نشاط للرجال والقصر الخاص ميدان نشاط للنساء. ولا شك أن الخلفاء كانوا يمضون أيامهم في دار العامة، وليس اليومين المخصصين لسماع شكاوي الناس فحسب. وترتبط القسيلات الرياضية بالقصر العام وليس الخاص، ومن الشائع تمضية فترة أطول على التسهيلات لدى أولئك الذين يسيطرون على الأمور المالية.

وأخيراً لا شك أن بعض الخصائص الأكثر غرابة يمكن أن تنسب للتاريخ المعقد للقصر. وربما تناقص الإشغال، وبخاصة قرب النهاية، تحت حكم المعتمد (870/256-892/279)، الذي كان يتمتع بسلطة ونفوذ ضئيلين، وربما كان البناء المربع آخر الأبنية التي شغلت، مما يوضح الطبيعة الخاصة للوحات الجدارية فيما يدعى بقسم الحريم.



جامع ساراء ومنذنة الملوية



قصر العاشق في سامراء



الموساد ويهود العراق

■ إعداد وترجمة : جودت السعد - الأردن ■

ذكرت صحيفة معاريف الصهيونية الصادرة بتاريخ 8-1-1998، أن الشرطة الإسرائيلية أُلقت القبض على سمسار يبيع نسخة من التوراة المكتوبة على الجلد والتي سرقت وفُرت من العراق أثناء الحرب العراقية - الأمريكية عام 1991 وأدخلت إلى إسرائيل عن طريق الأردن، فإذا صحت الرواية التي أوردتها الصحيفة فإن ما هُرب هو جزء أو بعض من جزء، فالمخطوط التوراتي هذا مكتوب على جلد غزال، ولأن الكتابة بهذه الطريقة تأخذ حيزاً كبيراً فقد كتب كل سفر من أسفار التوراة الـ (39) منفصلاً عن الأسفار الأخرى، ووضع كل سفر في صندوق مخروطي الشكل يصل ارتفاعه إلى نصف متر، يخترقه من الوسط وبشكل طولي قضيب معدني يلف عليه المخطوط ويسهل إخراجة عند القراءة، كما يبلغ قطر المخروط من الوسط حوالي 50 سم تقريباً.

وضعت جميع هذه النسخ والتي فُتّر عمرها بحوالي 200 سنة في مستودع خاص في دائرة الآثار العراقية (المتحف العراقي). وتوجد نسخ متفرقة من هذه الأسفار في مركز المخطوطات العراقية، كما علمت أن بعض الأشخاص يمتلكون نسخاً عنها حيث اقتنوها بالشراء المباشر من اليهود العراقيين قبل أن يتركوا العراق. ومع أن هذه المخطوطات ليست نادرة جداً إلا أنها تعتبر جزءاً من التراث العراقي المسموق، وأشارت الصحيفة الصهيونية أن هذا المهرب أدخل معه إلى إسرائيل 73 مسكوكة ذهبية تعود إلى العهد البيزنطي جاء بها من العراق أيضاً. أما سبب اعتقال هذا الشخص فليس لأنه سارق بل لأنه طالب بمبلغ 300

ألف دولار ثمنها.

ما يميز تلك النسخ عن مثيلاتها المطبوعة أن سفر الخروج فيها يذكر
الأهزوجة التي كانت ترددها (مريام) وباقي النسوة بعد أن اجتازوا البحر إلى البر،
هرباً من فرعون حسب الرواية التوراتية والتي تقول فيها:

رددوا

واركبوا موج البحر

إرادة يهوه ترتقي فوق

حصان

قوي

فاهزج لي

الخلاص

فابونا يشد أزراننا

بحزن يعيش إيل

<http://Archivebeta.Sakhrity.com>

إلهي

يهوه أوقد ناره

حجر

قَبْ أمواج البحر

قوية يمينك يهوه

يمينك

عالية النواح

قدسيك

قضت الاستيطان في فلسطين

سمعت كل الشعوب

والجنود

اذكوا روح السيطرة

عظيم

بقوتك المقدسة

غار الماء بقوة يهوه

الماء

أغنية الموت

معجزة

تمحو الدنس

من عينك قطرة

استقرت

ومع ايل تحلو الإقامة

ARCHIVE

الرعب

وأنت يهوه معاً <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ينمو كنبات على الدمن

حتى

ونحن نعبّر الآن

علماً بأن الأهازيج والأنشيد الدينية اللاحقة هي النتاجات الوحيدة فيما يسمى "الأدب" الصهيوني أو اليهودي، وغالبيتها تقليد مسطح للموروث العربي - الأدبي، وهذا ما أشار إليه الباحث الصهيوني (إسحاق أبيشور) الأستاذ في الجامعة العبرية في كتابه الموسوم "أشعار زيارة القبور المقدسة" الذي صدر عام 1982 في القدس. وقد أورد الكاتب مجموعة من الأهازيج التي كان اليهود يقرأونها أثناء حجهم إلى الأماكن التي يقدسونها وتتميز هذه الأهازيج بصفات:

أولاً: معظم النصوص الواردة في الكتاب باللهجة العامية العراقية، وكتبت باللغة العبرية، وهذا دليل على عملية السطو التراثي والأدبي.

ثانياً: جميع هذه الأهازيج عربية بالأصل حولت شخصها لتخدم التوجه اليهودي

لكنها ظلت عربية المنطوق عبرية الكتابة.

ثالثاً: تعود بدايات وأعمار هذه الأعمال إلى مئات السنين كما يقول الحاخام (شيراً جزون)

رابعاً: مغلفة أسماء المؤلفين.

أما مواضيع القصائد — الواردة في الكتاب — فتتخصر بعدة أغراض:

- 1— قصيدة تُنشد عند زيارة اليهود العراقيين الأماكن المقدسة في فلسطين.
- 2— قصيدة خاصة بزيارة قبر النبي حزقيال (ذو الكفل) والقريب من مدينة الكوفة في العراق.
- 3— قصيدة قصصية تبجل حزقيال مطلعها: "يا نبي يا نبي".
- 4— قصيدة تحكي مآثر النبي عزرا مطلعها "حلو حلو هالسوفر".
- 5— قصيدة مطلعها "آه منك آه منك" وهو شعر تشكُّ ودعاء ترددها المرأة ضد زوجها.
- 6— قصيدة مطلعها "يا زولر يا زولر" وهو شعر دعاء لإبعاد اللصوص وسارق في اللحم المقدَّم كأضاح على قبر حزقيال.
- 7— قصيدة مطلعها "زنجولا خوش زنجولا، زيارتكم مقبولة" وهي مرتبطة ببداية كل زيارة.

8— قصيدة مطلعها "والمايزوره اليعازر عمره خسارة" وهي لحن اليهود وغير اليهود على زيارة قبر عزرا في البصرة.

ويشير الكاتب (إسحاق أبيشور) إلى مميزات هذه الأشعار والخيوط التي تربطها فيقول:

أ: أشعار تصلح لكل زمان ومكان — كما يعتقد اليهود.

ب: أشعار خفيفة وسهلة الحفظ وأسلوبها قصصي سريع الفهم.

ج: اللغة مشوشة وهي أقرب إلى العامية العراقية.

تأخذ تلك الأهازيج منحنيين: الأول دعوات ضد "الجويم" أي الأغيار — غير اليهود — وهم هنا العرب. والثاني مديح للذات اليهودية وتضخيم لها رغم أنهم

كانوا يعيشون، تلك الفترة، على هامش المجتمع العربي. ويبدو الحقد واضحاً في بعض الأهازيج ومبطناً في أخرى لكنه واضح الدلالة أيضاً.

ومن الأهازيج التي تتلى أثناء السير إلى فلسطين:

يوم الأحد جينا (جلنا) نصار⁽¹⁾

طلبنا من رب السما (السما) المنعد والنصر

نزور بيت المقدس بالشباب المؤزر

يفرح صديق إلنا (أي لنا) ويموت أعدانا

-

خيمنا يوم الثنين (الثنين) وجينا لسامرين⁽²⁾

طلبنا من رب السما عالردي (على الردي) يعين

ونزور بيت المقدس، سبعين منهدرين

يفرح صديق إلنا ويموت أعدانا

-

خيمنا يوم الثلاثاء وجينا للمغارة⁽³⁾

لا كلام للردي كلامه عاره

ونزور سبتنا (جدتنا) حوا وساره

رفقا وراحيل خلقتنا

-

جيناك يوم الأربعاء وجينا إحما⁽⁴⁾

يا ريت (يا ليت) جمع العدو يبرد وما يحمى

(1) اسم مكان.

(2) اسم مكان.

(3) مغارة مقدسة عند اليهود قرب مدينة الخليل.

(4) قرية في الجولان.

قَصْدِي أَزُور الخليل فِي إِحْمَى (أَيِ حِمَى)
شُفْنَا (رَأَيْنَا) الْجَبَل وَهَاهِي (هَذِهِ) طَبْرِيَا
خَيْمَنَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَجِينَا لَشَمْسٍ⁽¹⁾

يَا رَيْت (يَا لَيْتَ) جَمَعَ الْعَدُوْ يَصْبِيحُ وَمَا يَمْسِي
يَبِيعُ مَسِيحُنَا وَيَقْعُدُ عَلَى الْكُرْسِيِّ
يَجْمَعُ جَمَعَ إِسْرَائِيلَ شَرْقِي وَغَرْبِي

خَيْمَنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَجِينَا لِدُومَا⁽²⁾

يَا رَيْتَ بِيُوتِ الْعَدُوْ تَكُونُ مَهْدُومَةً

يَبِيعُ مَسِيحُنَا الْقَاعَدَ فِي رُومَا

يَجْمَعُ جَمَعَ إِسْرَائِيلَ شَرْقِي وَغَرْبِي.

أَدْعِيَةٌ وَأَهْزِيجٌ كَثِيرَةٌ يَرْتَدِّدُهَا الْيَهُودُ فِي مَوَاسِمِ الزِّيَارَاتِ خَارِجَ الْعِرَاقِ لَكِنْ
يُمْكِنُ إِشْدَادُهَا عِنْدَ الْأَضْرَاحَةِ فِي الْعِرَاقِ وَمِنْ أَكْثَرِهَا شِيعَوِيَّةً:

<http://Archivebeta.Saklyil.com>

رُوحِي فِدَا النَّبِيِّ مُوسَى تَبِينَا

عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ إِنْحَنَّا (نَحْنُ) عَلَيْنَا

بِحَقِّ مُخْضَرِّ الزَّيْتُونِ وَالتِّينَا (التِّينِ)

يَحُوطُ (يَحِيطُ) أَبُونَا الْخُضِرَ عَالَمِيَا (عَلَى الْمَاءِ)

رُوحِي فِدَا النَّبِيِّ مُوسَى وَيَوْمَ الْمَاتِ (الَّذِي مَاتَ فِيهِ)

لَعَلِّي أَصِيرُ أَنَا وَهُوَ قَدَامَ الْآيَاتِ

بِحَقِّ مَا جَاتَنَا (جَاءَنَا بِهِ) الزَّبُورُ وَالتَّوْرَةُ

تَجْعَلُ مَقَامَ النَّبِيِّ فِي جَنَانِ الْحُورِيَا

(1) اسم مكان.

(2) اسم مكان.

روحي فدا النبي موسى وأولاد حنا
طعمي (أطعم) القوم السلوى يا منّا
بحق موسى واللي (الذي) بنى تحتنا جنا (جنة)
القصورا (قصورها) عالميّا (على الماء)

أما أثناء زيارة قبر حزقيال في قرية "الكفل" قرب الكوفة فثمة أشعار خاصة
بالمناسبة:

جيناك يوم الأحد وجينا للدوره⁽¹⁾

يا ريت (ليت) بيوت العدو تكون مهجورة

ونروح سيدنا حيطا (حائطه) نزوره

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم الثنين (الأتين) وجينا لخا (أزاد)⁽²⁾

يا ريت جمع العدو ينقص ولا يزداد

حيطه (حائطه) وأقواسه تنباع (تباع) بالمزاد

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم الثلاثاء وجينا إسكندرية⁽³⁾

يا ريت (ليت) جمع العدو توقع عليه بليّه

وجمع إسرائيل بالفرح يملأ (يملا) عينيه

(1) منطقة قرب بغداد.

(2) منطقة قرب النجف.

(3) الإسكندرية مدينة بين بغداد وبابل يقال إن الإسكندر المقدوني هو الذي بناها.

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم الأربعاء وجينا للمحاوليل⁽¹⁾

يا ريت (ليت) جمع العدو يصيحون يا ويل

وجماعة إسرائيل يمشون بشراويل

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم الخميس وجينا للحلّه

يا ريت (ليت) جمع العدو يوقع بالعه

ونقول قدامك يا رب العليّه

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم الجمعة وجينا لسيدنا

يا ريت (ليت) جمع العدو تنقص عينه

وتتكسر أيدين (يدا) حيطه ورجلينه

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

جيناك يوم السبت وجينا للنبي

يا ريت (ليت) جمع العدو ينهزم ويختبي

ونقول قدامك أنت يا رب

يفرح صديق إلنا (لنا) ويموت أعدانا

ثلاثة "أدباء" يهود ولدوا وعاشوا وترعرعوا على شواطئ دجلة، نهلوا العلم العربي منذ نعومة أظافرهم، لغتهم عربية وخطهم عربي وأسائرتهم عرب.. ولما

⁽¹⁾ منطقة قرب الحلّه.

جاءت لحظة الاختيار رجحت كفة "التربية" التوراتية والتعبئة النفسية وانحازوا إلى المعسكر الصهيوني بكل مفاهيمه وسلوكياته.. سامي ميخائيل، شمعون بلأص، شاشون سوميخ. غادروا بغداد وتلربهم مليئة حقداً على بغداد وحضارتها وقيمها.. ثلاثة "أدباء" أداتهم الإبداعية كانت العربية التي لا يعرفون غيرها، ولم تنشر نتاجاتهم - وقتها - إلا الصحف العربية، فغالبوا أكثر من ربع قرن عن الكتابة حتى أعادت الصهيونية صياغة فكرهم ولغتهم.. "قاحرقوا" الحرف العربي واستبدلوه عبرياً..

كتب سامي ميخائيل رواية "الملجأ" بالعبرية كما كتب شمعون بلأص رواية "المعبرة" مناخاتها في الغالب عربية، أجواؤها عادة عربية وشخصها عرب ويهود أسماء عربية وأماكن عربية وعادات وطقوس.. لكن اليهود فيها متميزون.. صاحب السبار يهودي والنادل عربي، صاحب الشاحنة يهودي والسائق عربي المثقف والقارئ يهوديان وموزع الصحف الأمي عربي.

عمل "الأدباء" الثلاثة بداية في صحيفة "زوهاروخ" و"كول هاعام" وصحيفة "الاتحاد" وهي صحيف الحزب الشيوعي الإسرائيلي، إلا أن (سوميخ) قفز نحو الليبرالية الصحفية وعمل في جريدة هآرتس.

كتب شاشون سوميخ في صحيفة هآرتس 10-9-1999 بعضاً من ذكريات العراقية.. "كانت الطائفة اليهودية في معظمها تعيش في منطقة (الحيدر خانه) في بغداد وفيها مدرستنا المتوسطة.. وكان مدرس الأدب العربي فيها الأديب المعروف (محمد شراره) اللبناني الأصل الذي جاء من جنوب لبنان (مرج عيون) لينتدس الفقه الإسلامي في النجف، وفي العراق انتمى إلى الحزب الشيوعي وتم طرده إلى لبنان بداية الخمسينات.

خطواتي الأولى نحو الأدب - يقول سوميخ - بدأت على يد شرارة المتوقد شاعرية وإبداعاً، الذي نصحني بلقاء الجواهري - محمد مهدي الجواهري - وكان الجواهري قد اعتاد الجلوس في مقهى معروف يمتلكه شخص اسمه (حسن عجمي).

قرأت "أخي جعفر" وقصائد أخرى للجواهري، فقد كان عظيماً بنظري يمتلك أدواته الشعرية التقليدية، ويمسك بقوة مفاتيح الشعر والفن الشعري، القديم والحديث

في آن معاً.

ذهبت مع شراره إلى مقهى حسن عجمي وكان الجواهري يجلس وحيداً يُدخن ويشرب الشاي الثقيل.. اجتماعي بالجواهري أثار شهيتي للقراءة وقوى علاقاتي بالأدباء العرب وبالأذات الشعراء منهم إلى درجة بت مهووساً بالشعر، وأستاذي شراره يوجهني ويأخذ بيدي.

اهتماماتي الأدبية كانت كل عوالمي، وترددني على مقاهي الأدباء أصبح جزءاً من برامجي ففي شارع الرشيد، وسط بغداد، يتجمع الكتاب كباراً وصغاراً، وهناك فتحت لي الأفاق الواسعة، لقد كانت بغداد نهاية الأربعينات شعلة متدفقة بالنتاجات الأدبية، ولحقت، ربما، بالقاهرة وبيروت.

بدعم من أستاذي محمد شراره بدأ يظهر اسم شائون سوميخ على صفحات جريدتي "النديم" و"النبا". لكن بعض الأصدقاء نصحوني باستخدام اسم في فبدأت أنشر باسم "المنصر".

تعرفت في أحد مقاهي بغداد على رائد الحركة الشعرية العربية الحديثة (بدر شاكر السياب)، وكان السياب قد وصل إلى العاصمة قادماً من البصرة منتصف الأربعينات من أجل الدراسة في مدرسة المعلمين العليا، وهناك انضم للحزب الشيوعي، لكن السياب اتهم الحزب الشيوعي - لاحقاً - بالانصياع لأوامر اليهود والصهيونيين.

"عزرا ونحميا" شعار حركة الترحيل الكبيرة لليهود من العراق إلى فلسطين، ومع هذا "الركب" رحل سامي ميخائيل، شمعون بلاص، شائون سوميخ، لم تقم الحكومة وقتها بطردهم بل سنت تشريعاً وافق عليه البرلمان العراقي سمح لكل من يرغب بالهجرة من العراق بالخروج.. ولما لم يرحل العدد الكافي من اليهود تولى جهاز الموساد الإسرائيلي إرهاب اليهود وقتل بعضهم ليدب الرعب بينهم فيغادرون على وجه السرعة.

تولى عملية تنظيم وترتيب وتنفيذ الخطة عميل الموساد المعروف (شلومو هسل) وهو من اليهود العراقيين، نشر تفصيلات الخطة وترتيباتها منتصف الثمانينات في كتاب "الريح الشرقية" الذي نشرته (يدعوت أحرونوت) عندما كان (هسل) رئيساً للكنيست الإسرائيلي.

تضمنت الخطة أولاً تنفيذ عدة عمليات عسكرية ضد الكُتس اليهودية ومراكز تجمعهم وأماكن أعمالهم، في وقت كان عملاء الموساد يقومون بربط اليهود العراقيين بمؤسسات الحركة الصهيونية ويهيئون لهم وسائل خروجهم المأمونه (!!) خارج العراق.

على الصعيد السياسي أجرى (شلومو هال) محادثات مطولة ومفصلة مع (توفيق السويدي) رئيس الحكومة العراقية والسياسي ورجل الأعمال المعروف (صباح) بن نوري السعيد. وتم الاتفاق على خطة التهجير.. فبعد أن كانت تتم برأ عن طريق الأردن وإيران وفيها يواجهون مخاطر الطريق، تم الاتفاق على ترحيل اليهود على متن طائرات إسرائيلية أو طائرات تستأجرها إسرائيل من مطار بغداد إلى مطار لارنكا في قبرص ومنها إلى مطار اللد في فلسطين. ولما سارت الأمور "دون منغصات" بدأت الطائرات الإسرائيلية المملوكة لإسرائيليين نقل المهاجرين من مطار العشي وسط بغداد إلى مطار اللد مباشرة. وبلغ عدد الذين تركوا العراق عام 1951 (120) ألف يهودي، أي أن البنية التحتية للدولة الصهيونية شكلت من اليهود العراقيين، وأول خطوات عدائية اتخذت انضمامهم إلى الجيش الصهيوني وتولي مناصب إعلامية وثقافية معادية للعروبة والعربية.



المؤتمر الدولي السنوي التاسع والأربعون للدراسات الآشورية

■ بقلم: د. فاروق اسماعيل ■

اتُعقد المؤتمر الدولي السنوي التاسع والأربعون للدراسات الآشورية في لندن (7-11 تموز 2003م) بتنظيم المتحف البريطاني، والمعهد العالي للدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، والمدرسة البريطانية للآثار في العراق، والأكاديمية البريطانية، والمعهد البريطاني للآثار في أنقرة، وعدد من الجمعيات العلمية.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يعد هذا المؤتمر السنوي فرصة لالتقاء الباحثين من شتى دول العالم، وتبادل الخبرات والاستماع إلى نتائج البحوث الأثرية واللغوية والتاريخية الجديدة المتعلقة بمناطق الشرق القديم المختلفة. وقد تميز مؤتمر هذه السنة بالمشاركة المكثفة فيه، حيث وصل عدد المشاركين إلى أكثر من خمسمئة باحث ومهتم، وأقيمت فيه 147/ محاضرة قصيرة، أعقبها مناقشات موجزة، ورغم الأعباء الكبيرة المترتبة على هذه المشاركة المكثفة وفقت اللجنة التحضيرية المنظمة في تأمين ما يضمن سير أعمال المؤتمر بشكل دقيق منظم، حسب البرنامج المخطط.

تم في مساء اليوم السابق لبدء برنامج المؤتمر تقديم عرض مسرحي مبسط لمحمسة جلجامش، كتبه أندري جورج أستاذ الكتابات المسمارية في جامعة لندن، وأخرجه ديفيد ريبون، ومثله عدد من الباحثين البريطانيين المعروفين وبعض الهواة.

وفسي بداية اليوم الأول قدمت كلمات افتتاحية ترحيبية موجزة لكل من ماك جريجور مدير المتحف البريطاني، كولين بوندي عميد المعهد العالي للدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، دافيد هاوكنز الباحث البريطاني بالنيابة عن المشاركين، ثم بدأت أعمال المؤتمر التي توزعت في ثلاث قاعات، وقسمت إلى أربع أو خمس جلسات علمية يومية تضمنت كل منها لقاء عدد من البحوث.

خصصت إحدى جلسات اليوم الأول للبحث في موضوع نهب التراث العراقي القديم ونتائج؛ قدمت فيه إليزابيث ستون (أمريكا) نتائج عمل اللجنة التي تترأسها، وقامت بإجراء مسح ميداني للمواقع الأثرية والمتاحف في العراق خلال شهر أيار 2003م، ووصفت حالة المتحف العراقي في بغداد والمواقع الأثرية في جنوبي العراق بعد نهبها خلال الحرب الأخيرة، كما تحدث جون كورنيس (بريطانيا) عن مشاهدات بعثة المتحف البريطاني إلى العراق خلال شهر حزيران 2003م، ثم قدم عدد من المسؤولين العراقيين في الهيئة العامة للآثار والتراث في بغداد والموصل لمحة وصفية عن أحداث النهب الأثري التي حصلت في العراق. وقد نبه الجميع إلى حول الكارثة الإنسانية التي تسببت في فقدان قطع أثرية نفيسة تمثل معالم حضارية من تاريخ العراق القديم، ودعوا الجهات العالمية والحكومية والمؤسسات الثقافية إلى التعاون لتخليص الوضع وبذل الجهود المشتركة لإعادة المنهوبات.

وفي إطار الموضوع ذاته فوجئ المؤتمر – في اليوم الأخير – بمشاركة الكولونيل البحري ماثيو بوجدانوس لتقديم تقرير شامل مفصل عن أحداث النهب في المتحف العراقي في بغداد، حيث بين بالصور حالة أقسام المتحف ومخازنه، وقدم أرقاماً هائلة من المسروقات، وأوضح أنه تم استعادة عدد منها، ولكن عدد المسروقات من مخازن المتحف ما زال بحدود عشرة آلاف وخمسمئة قطعة أثرية، وأشار إلى أنه تمت إعادة افتتاح المتحف في 2003/7/3م وما زالت اللجان تحقق وتدقق، وتبذل جهودها داخل البلاد وخارجها لإعادة المسروقات.

فيما يأتي نقدم عرضاً وتليخيصاً للبحوث التي قدمت في المؤتمر، وذلك بهدف تعريف القارئ بهذا النشاط العلمي وتنبيه الباحثين وطلبة الدراسات العليا إلى المعلومات المستجدة والموضوعات الجديدة ضمن إطار حضارات الشرق القديم،

آثارها المادية والكتابية وتاريخها السياسي والحضاري.

كان المحور الخاص في المؤتمر بعنوان ((نينوى)) العاصمة الآشورية الأخيرة التي تضم أطلالها تلا كوينجق والنبي يونس في الضاحية الشرقية من مدينة الموصل، ويخترقها نهر خوزر ليصب في دجلة المجاور.

كانت نينوى أهم مركز حضاري في شمالي بلاد الرافدين خلال الألف الأول ق.م، ولا سيما بعد أن اتخذها الملك الآشوري سنحريب (704-681 ق.م) عاصمة له في أواخر القرن الثامن ق.م، كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت فيها منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي عن أعداد كبيرة من القطع الأثرية المتنوعة وعن سور المدينة وبواباتها ومعابدها وقصورها الملكية ومكتبتها الثقافية الرائدة، ونظراً لضخامة الموقع ومكتشفاته الكثيرة صار يشكل مجالاً خاصاً واسع النطاق ضمن اختصاص الدراسات الشرقية القديمة الذي يعني بدراسة آثار الشرق القديم المادية والكتابية ولغاته وتاريخه السياسي والحضاري.

سنعرض بشكل موجز البحوث المقدمة في المؤتمر ضمن مجموعات متماثلة في موضوعاتها ومصادرنا.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

1. آثار نينوى:

تعرضت بحوث كثيرة لآثار نينوى، إذ تحدث منهل جابر مدير متحف الموصل عن نتائج التنقيبات في تل النبي يونس وبوابة الإله نرجال وعرض صوراً وشرحاً لأهم المكتشفات المعمارية والفنية.

وتحدث ديانا بيكفورت (أمريكا) عن بوابة خلزي في أقصى الجنوب الشرقي من الموقع، وعرضت نتائج تنقيبات جامعة بركلي هناك خلال السنوات 1987م - 1990م، وتعرض الباحثان العراقيان مؤيد سعيد دالمرجي ودوني جورج يوحنا (المتحف العراقي في بغداد) لأهمية نهر خوزر والتحصينات الدفاعية الآشورية في مدينة نينوى، وتحدثت فرجينيا دائري (فرنسا) عن الثيران المجنحة ذات الرؤوس البشرية في نينوى والتي يبلغ عددها فيها الأربعين من أصل أكثر من مئة مكتشفة في العواصم الآشورية، وبينت أنها ترمز إلى القوة والسلطة، وتابعت بدايات نشأتها وتطورها الفني، كما تحدث ب. شارفات (تشيكيا) عن أختام من نينوى تعود

إلى حضارة نينوى (5) عثر عليها خلال تنقيبات تومبسون وملوان في الموقع سنة 1930م، وعرضت إريكا هونتر (بريطانيا) مجموعة طاسات تعويذية من نينوى عثر عليها خلال التنقيبات السابقة نفسها ومحفوظة في المتحف البريطاني بلندن، وقامت بمقارنتها مع نماذج مشابهة عثر عليها في آشور ونمرود.

وقدم يورغن بير (ألمانيا) دراسة تضمنت نظرات جديدة إلى قناة خنيس بافيا شمال شرقي الموصل /60/ كم، وهي تعد من أهم الإنجازات الآشورية التي أبدعت في عصر الملك سنحريب في مجال الهندسة المائية، إذ كانت توصل الماء من المجرى العلوي لنهر جومل إلى نينوى ومحيطها، وقد نقشَت على جانبيها على جدران الصخور منحوتات فنية عديدة، تمتلك — رغم حالتها الحالية السيئة — أهمية كبرى ضمن الأعمال الفنية التي تصور الآلية ورموزها والحكام الآشوريين، وكانت ذات أغراض دعائية سياسية.

وقدم جيوفري تورنر (بلجيكا) بحثاً عن أرشيفات المتحف والمنحوتات النافرة في قصر الملك سنحريب في تل كوينجق استعرض فيها أعمال الموسم الثاني والرئيسي لتنقيبات لايبارد في القصر ونتائجها، والدراسات المختلفة حول الموضوع ذاته، وعرض ملاحظات وأفكاراً ذاتية عنها.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

2. الجغرافيا التاريخية لمنطقة نينوى:

قدمت أربع دراسات أمريكية متميزة عن الجغرافيا التاريخية للمناطق المحيطة بنينوى، إذ تحدثت إليانور بربانس عن الاستيطان الريفي في منطقة نينوى، وأوضحت أن اهتمام الآشوريين لم يقتصر على مدنها الرئيسية، بل شمل مراكز استيطان ريفية متفاوتة الأحجام، شهدت التمدن والرقى الحضاري. وتحدثت مارك الطويل عن مسالك مدينتي آشور ونيوى اعتماداً على خرائط الأقمار الصناعية، وحددت أهمها في المناطق الداخلية من شمالي بلاد الرافدين وفي أطرافها وكيفية ارتباطها بالمناطق المجاورة والبعيدة، وركزت على النماذج التي توصف في النصوص الكتابية بـ"الطريق الملكي"، وبين أن شبكة المواصلات الدقيقة كانت تسهل أمام الآشوريين تنفيذ حملاتهم العسكرية، وتنشط التبادل الاقتصادي والثقافي. واعتماداً على معلومات الأقمار الصناعية أيضاً تحدث ياسون أور عن النظام المائي في منطقة نينوى وأكد درجة التطور الفائقة في هذا المجال خلال

العصر الآشوري الحديث، وركز على جهود الملك سنحريب المتميزة في ذلك، وعرض مصورات مستمدة من الأعمار الصناعية والتصوير الجوي والبحوث الجيولوجية ونتائج تنقيبات جامعة شيكاغو سنة 1930م وما بعدها في منطقتي قناتسي بافيان وشيروان. ودرس طوني ولكنسون التغيرات الطبيعية في منطقة نينوى بدءاً من أواسط الألف الثالث حتى أواسط الأول ق.م، وركز على الأنماط الأساسية لمظاهر تلك التغيرات، ومعايير مفهوم المدينة وتبدلها عبر الفترة التاريخية المذكورة، كما سعى البحث إلى الربط بين المعلومات المستخلصة من البحوث الثلاثة السابقة وتقييمها واستخلاص دور تطور النظام المائي واتساع شبكة الطرق وتنوع نماذج الاستيطان الريفي في استمرارية وجود مدينة نينوى وأهميتها السياسية والحضارية.

3. التنقيبات الأثرية في منطقة نينوى:

قدمت بحوث عن التنقيبات الأثرية في ستة مواقع أثرية قريبة من نينوى، فتحدث الباحث العراقي فاروق الراوي (بريطانيا) عن تنقيبات جامعة الموصل في مدينة ترخيص (شريخان) الواقعة على بعد 8/ كم شمال غربي نينوى، والتي أنشأها الملك الآشوري شلمنصر الثالث (858-824 ق.م) حيث كشف عن بيت للقيادة (بيت ريدوتي) ومعبدتين للإلهين مس لم ونرجال، وقد كانت المدينة حاضرة مهمة لملوك السلالة الشركينية الآشورية، وعثر فيها على نقوش من عهد تلك السلالة، وعلى نسخة شبه كاملة من الرقيم الخامس من ملحمة إرا وملك كل الديار. وبحثت إيونورا بابالاردو (إيطاليا) في عاجيات كلخو (نمرود) جنوب شرقي نينوى، وقدمت معلومات جديدة مستخلصة من نتائج تنقيبات جامعة تورينو الإيطالية في الموقع بين 1987م - 1989م، حيث عثر على نحو 1450/ قطعة فنية مصنوعة من العاج، وركزت على دراسة أسلوبها الفني والمشاهد البشرية والنباتية التي تصورها. وبحثت سوزان هربورنت (ألمانيا) في أسلوب إناء ذهبي فريجي من المدفن الملكي في نمرود لتوضيح سر وجوده هناك بعيداً عن موطنه فريجيا، وبيان فيما إذا كان مستورداً من هناك أم أنه تقليد أحد الحرفيين الآشوريين. كما قامت نواله المتوالي مديرة المتحف العراقي في بغداد بعرض نصوص كتابية من نمرود مكتشفة حديثاً. ووصف توماس هرتل (الدنمرك)

محاولة إعادة بناء جديدة لبوابة موقع بلوات (قديماً إيجور إنليل، جنوب شرق نينوى) والتي تعود إلى عهد الملك الآشوري شلمنصر الثالث، وفي بوابة شهيرة بالحزرم البرونزية التي تزينها، ومحفوظة في المتحف البريطاني، وقد طرح آراء جديدة في أسلوب الزخرفة ودلالاتها، مستفيداً من مضمون النقوش الكتابية الموجودة على البوابة وغيرها من كتابات عصر شلمنصر الثالث. وتكلم أوفه سيفرستين (ألمانيا) على مظاهر معمارية في موقعي تبه جاورا (شمال شرقي نينوى) وتتلو الثلاثات (غربي نينوى)، وهما موقعان مهمان من مواقع عصور ما قبل التاريخ (عصر العبيد - نينوى 5)، وقد ركز على المظاهر الشكلية المميزة والنواحي الوظيفية والرمزية.

كما تحدث كريستيان كينسكي (فرنسا) عن التنقيبات في موقع جرى رش (2001 - 2002م) غربي نينوى وقدم نتائجها الجديدة وصلتها بالسبر العميق الذي نفذ في نينوى.

4. موضوعات أثرية فنية:

قمة موضوعات تعتمد معلوماتها على نتائج التنقيب الأثري والمكتشفات المختلفة، وقد تدخل في إطار تاريخ الفن، وأخرى تعتمد على ما يرد في النصوص الكتابية، إلى جانب المعطيات الأثرية، وقد أقيمت في المؤتمر بحوث كثيرة من هذين النوعين تتصل بمدينة نينوى وحضارتها، بلغت أكثر من عشرين بحثاً.

فمن الموضوعات الأثرية نذكر بحث زينب بحراني (أمريكا) عن رأس الملك، العنف والهيبة في الفن الملكي في نينوى الذي بين الرؤية الآشورية عن العنف، ولا سيما كما تظهر في منحوتة تصور معركة تيل نوبا، وفصلت في التطبيقات الآشورية في مجال الحرب. وعن موضوع مشابه تحدثت ريتا دولكه (إيطاليا) حيث عالجت تصوير "رأس العدو" في المنحوتات المكتشفة في قصور نينوى، ومن البحوث الطريفة بحث كارين بولنجر فوستر (أمريكا) عن الحدائق المعلقة في نينوى، وقد بينت فيه أن المناقشات المؤخرة لهذه المسألة تحدد مكانها في قصر سنحريب في مدينة نينوى، وأن السر المدهش فيها هو الابتكار الخلاق الذي أبدعه سنحريب لإيصال المياه من مسافات بعيدة، وأشارت إلى أن الرسوم التخطيطية الحديثة لها تقترح وجود شرفات جانبية مدكوكة وممرات مستندة إلى

دعامات مسقوفة بأنواع من الشجر تبدو وكأنها مزروعة بشكل معلق في الأعلى، ويجدو أن سنحريب أبدعها بغرض توفير طابع جمالي متميز لقصره ومجالسه، وثمة صور فنية في النصوص الآشورية الحديثة تحاكي مظهرها الجمالي، وبشكل عام يمكن مقارنتها بمشاهد طبيعية في الفن الإسلامي الأندلسي.

وتحدث ستيفن لومسدن (الدمرك) عن الخبرة في توظيف المساحة في تخطيط مدينة نينوى، وبين أن سنحريب قدم إبداعات جديدة في تخطيط مدينته الجديدة تعبر عن رقي حضاري، وأنه استغل المساحات المتوافرة بشكل دقيق، ونجح في استغلال المصطبة النهرية في الجزء الشرقي من سور المدينة.

وتكلمت شيكاكو امتر وتابه (اليابان) على أسلوب التصوير التسلسلي في المنحوتات الفنية الآشورية المتأخرة التي عثر عليها في نينوى، وهي تعتمد على مبدأ تكرار المشاهد معدلة لتصوير مراحل مختلفة من حيث أحداث الحكاية التي تريد توثيقها بالتصوير وأزمانها، وبينت أن أقدم نماذج هذا الأسلوب يعود إلى زمن توكلتي نينورتا الأول (1243 - 1207 ق.م) من ملوك المملكة الآشورية الوسطى، ولكنها شاعت أكثر في زمن آشور بانيبال، وقد أوضحت مقولاتها من شاهدين هما منحوتة صيد الأسود ومعركة نيل نوبا.

وقدمت ديانا شتاين (ألمانيا) بحثاً مميزاً عن القرص المجنح والشجرة وبينت وجود دلالات تشير إلى العمق التاريخي الحضاري لهذين الرمزین الآشوريين، تعود إلى العصر الحجري القديم، وأوضحت أن الجمع بينهما يهدف إلى التعبير عن رموز وأحلام إمبراطورية، ولذلك شاع الاهتمام بها في فنون العصر الآشوري الحديث أكثر من غيره، وتعرضت كلاوديا فيشر (ألمانيا) لموضوع الملوك والكؤوس في الفن الرافدي منذ عصر سلالة أور الثالثة، وبينت أن المشهد التصويري هذا يمثل لغة مجازية وأسلوباً رمزياً يهدف إلى إيصال معلومات وفكر عن طريق الرمز، مكملاً بذلك التعبير عن الإيديولوجيا السياسية في النقوش الملكية والرمز السلطوي في الأختام الأسطونية، إنه مشهد يدل على وجود صلة وثيقة بين الإيديولوجيا والدعابة ويؤكد حرص الملوك على نشر أفكارهم وهيتهم.

وقدم إبراهيم وينيسر (أمريكا) دراسة تحليلية عن مشهد الحديقة في أعمال آشور بانيبال الفنية وربطها بما يرد في كتاباته عن الموضوع ذاته، حيث تصور

بالكلمة عناصر المشهد مصحوبة بتلميحات إلى أفعال جنسية وألحان هادئة. وتحدثت اليزابيث فونان (فرنسا) عن ثلاثة تماثيل صغيرة آشورية من مكتشفات بابل إميل بوتا في خورس آباد 1843 - 1844م، أهداها الملك لويس فيليب سنة 1847م إلى متحف اللوفر بباريس.

وتحدثت بياته سلجه (ألمانيا) عن منحوتات آشورية من نينوى محفوظة في متحف برلين كانت قد نقلت سنة 1855م إليها من القصر الجنوبي الغربي لسنحريب في تل كوينجق، وهي تصور مشاهد تتضمن رماة السهام وحاملي الرماح وموسيقيين وجنود الحامية الملكية، ويعتقد أنها كانت مركبة معاً في مشهد عام وتربط بين القصر ومعبد الآلهة عشتار، كما قارنتها بمنحوتات مشابهة لتوضيح سياقها الأثري التاريخي.

وقدم اليسون كارمل توماسون (أمريكا) دراسة عن برونزيات الملك سنحريب التي كانت مخصصة لأغراض تزيينية وتعبير عن مدى غنى الخزائن الملكية، وفصل الحديث عنها لبيان نظرة الآشوريين إلى العالم المادي والمواد الثمينة.

5. نينوى والمراكز الحضارية الأخرى: <http://>

تحدث جوليان ريباده (بريطانيا) عن نينوى في العصر البابلي القديم وركز على البقايا المعمارية والنقوش الكتابية وأعمال فنية متفرقة عثر عليها في منطقة معبد الآلهة عشتار، وذلك لوضع تصور عام عن تاريخ مدينة نينوى خلال ذلك العصر.

وألقيت مجموعة بحوث تناولت العلاقات بين نينوى ومراكز حضارية مشهورة في بلاد الرافدين وخارجها، فقد بحث الان تينو (فرنسا) في العلاقات بين آشور ونينوى، ودرس مارك دي ميروب (أمريكا) العلاقات بين بابل ونينوى، وتعرض بول ألين بوليو (أمريكا) لموضوع من نينوى إلى أوروك وتتبع مظاهر استمرار الثقافة الآشورية في بلاد بابل حتى العصر الهلنستي، كما يتضح في التقاليد الكتابية الأدبية، وعرض أمثلة تدلل على ذلك.

وتحدث ماتيس دي يونج (هولندا) عن نينوى والقدس، وعقد مقارنة بينهما

لاستخلاص صورة المدينة الملكية في ضوء كتابات القرن السابع ق.م. والتوراة. كما تحدثت ماريان فلدمان (أمريكا) عن مدينتي نينوى وطيبة العاصمة المصرية القديمة، وفصلت الحديث عن العلاقات الآشورية المصرية خلال القرن السابع ق.م. من الناحيتين الفنية والسياسية، وعرضت مشابهاً في منحوتة آشور بانينال التي تصور معركة نيل توبا والمنحوتة الصخرية لأسرحدون على نهر الكلب في لبنان.

6. نينوى في موضوعات فكرية من النصوص الكتابية:

أبرزها موضوعات فكرية دينية، فقد بحث محمد علي أناش (أمريكا) في العالم السفلي في التصور الفكري النينوي كما ينعكس في الأعمال الأدبية، ولا سيما أسطورة نزول أمير آشوري إلى العالم السفلي*.

وتعرضت ثلاثة بحوث لمظاهر الآلهة عشتار المعبودة في نينوى وسائر مناطق الشرق القديم، منها بحث ف.ج. لامبرت (بريطانيا) عن عشتار مدينة نينوى الذي أوضح مظاهرها ونعوتها في ضوء نص شعائري ديني يتضمن في مطلعها سلسلة من التفعيلات التي تعبر عن مظاهر شخصيتها ووظائفها الإلهية. وكذلك بحث بربرا بوتر (أمريكا) عن عشتار-نينوى وعشتار أربيل في ضوء نص أدبي يمثل تراثاً دينياً للملك آشور بانينال عشر عليها في نينوى، وبينت أن وجوه الاختلاف بين الآلهتين واضحة، وإن كانت هناك خصائص مشتركة. كما بحثت دوريس بريشل (ألمانيا) في ملامح شعائر عبادة الآلهة عشتار نينوى في ضوء المصادر الحثية التي تؤكد انتشار عبادتها إلى بلاد الأناضول منذ القرن الخامس عشر ق.م، وانضمامها إلى مجموعة الآلهة المعبودة هناك، ولكن مرور الزمن لم ينس الحثيين أصولها الغربية عنهم، واستعرضت الباحثة مظاهر شعائر عبادتها بعيداً عن موطنها الأم.

ومنها أيضاً بحث ست ريشاردسون (أمريكا) عن النبوة والإيمان في نصوص من نينوى الذي يؤكد أن المظاهر التطبيقية العملية للتنبؤات والعرافة وجدت منذ أقدم العصور ضمن الممارسات التقليدية الشعبية والدينية، واعتمدت غالباً على الملاحظة. وبين أن نصوص العصر البابلي القديم من ماري وبابل تظل أفضل النصوص تصوراً للممارسات التطبيقية لها بهدف إيجاد إمكانية لسرية المعلومات واستخدامها كلفة خاصة للأسرار التجسسية والدبلوماسية.

7. في الحضارة الرافدية . الآشورية:

ألقيت بحوث تناولت مسائل تتعلق ببلاد آشور، وأخرى عامة تتعلق بحضارة بلاد الرافدين بشكل عام، وتطرقت إلى مجالات حضارية متنوعة.

ففي مجال الأدب تحدث ياكوب كلاين (أمريكا) عن عمل أدبي سومري معروف بعنوان الإنسان وإلهه يعالج مسألة الإنسان المعذب. وتطرق إلى الآراء المختلفة في تحديد الجنس الأدبي له، وعارض أن يكون العمل الأدبي يمثل قصيدة شعرية في الحكمة أو مراثية شعائرية، بل هو نص عام في أغراضه، ومستقى من الحياة اليومية العملية، ولذلك تظهر فيه ملامح متنوعة، وأشار إلى أنه يعد نصاً جديداً للعمل الذي نشره منذ زمن طويل (1955م) الباحث صموئيل نوح كريم،

وفي مجال الكتابة والمكتبات قدمت عدة بحوث متميزة، إذ تحدث الأسدير ليفينجستون (بريطانيا) عن آشور بانيبال ومهارة الكتابة، وبين دور آشور بانيبال المتميز في رعاية فن الكتابة وإنشاء أضخم مكتبات الشرق القديم وأهمها، ثم ركز على ادعائه في إحدى كتاباته بأنه تعلم الكتابة على الألواح الطينية في مقتبل العمر، وكان يجيد القراءة والكتابة، بل يقرأ رقماً عسيرة الفهم دونت باللغتين السومرية والآكدية، وأورد طائفة من الشواهد الكتابية المختلفة التي تدلل على أن آشور بانيبال كان مهالفاً في ذلك الادعاء.

وقدم جرانث فرام (كندا) وأندري جورج (بريطانيا) بحثاً مشتركاً عن المكتبات الملكية في نينوى، شواهد جديدة على إنشائها وعرضا نصين كتابيين غير منشورين سابقاً عن جهود آشور بانيبال في هذا المجال. وعرض إكارت فرام (أمريكا) ملاحظات على حواش توضيحية من مكتبة آشور بانيبال في نينوى، فقد كشف في المكتبة عن مئات من الرقم تتضمن نصوصاً تمثل حواشي تفسيرية لنصوص متعلقة بالنبوءات والتنجيم والأدب والدين، ورأى الباحث أنها دونت بتوجيه شخصي من آشور بانيبال إلى الشراح بغية تحقيق فهم أفضل لتلك النصوص، ولعل ذلك يتصل بزعمه بأنه كان يقرأ رقماً عسيرة الفهم!!

وتحدث هرمان فانستيفوت (هولندا) عن مستوى مهارة الكتابة السامرية في نينوى. وقدم جرد شتاينر (ألمانيا) بحثاً بعنوان مكتبة آشور بانيبال والأصوات اللغوية الصامتة القابلة للإدغام في اللغة السومرية، حيث بين وجود جداول

معجمية في تلك المكتبة تورد ألفاظاً سومرية بصيغتين، ويتصل ذلك بأسلوب لفظي خاص للألفاظ السومرية شاع خلال عهد آشور بانيبال ومراحل أخرى من الألف الأول ق.م.

أما الحديث عن المكتبات القديمة ولا سيما مكتبة آشور بانيبال ومشاريع إعادة إحيائها، وتصنيف الكتابات المسمارية باستخدام الحاسوب، فقد كشف عن اهتمام واسع وتنافس إيداعي في هذا المجال، ولعل عناوين البحوث وحدها كافية لبيان ذلك، وهي:

جانيت فينكه (بريطانيا): مشروع المتحف البريطاني (مكتبة آشور بانيبال).
كريستوفر ووكر (بريطانيا) وعلي ياسين أحمد (جامعة الموصل): مشروع مكتبة آشور بانيبال المشترك بين المتحف البريطاني وجامعة الموصل.
إرفينج فينكل، جون تابلور (بريطانيا): مشروع الكتابة المسمارية الرقمية Digital.

مادين فيتر جيرالد (أمريكا): مقدمات لإيجاد مكتبة رقمية للكتابات المسمارية.

مانويل مولينا (إسبانيا): برنامج كومبيوتر للنصوص السومرية الحديثة.
جرفرد مولر (ألمانيا): برنامج كومبيوتر لحفظ الرقم الكتابية المسمارية بأبعادها الثلاثة.

دين سنيدر (أمريكا): مشروع حمورابي الرقمي للرقم المسمارية.
ميشائيل بورتر (أمريكا): خريطة رقمية للشرق القديم.
وقد عرض أصحاب هذه المشاريع المتطورة شروحات تفصيلية نظرية وتطبيقية لها، وتلتها نقاشات مفيدة تنبه إلى أن استخدامات الحاسوب في مجال حضارات الشرق القديم يتطور بدرجة كبيرة.

وقدمت بحوث عدة في مجال علم الرياضيات لدى القدماء، حيث تحدثت إليسانور روبسون (بريطانيا) عن مكانة علم الرياضيات في بلاد آشور وبينت أن جذور الرياضيات تعود إلى حضارات العراق القديم، ولم يكن تطور هذا العلم في بلاد آشور أقل مكانة من التطور الهائل في بلاد بابل (جنوبي العراق). وتحدثت ج.

فريبرج (السويد) عن نصوص مسمارية جديدة في الرياضيات موجودة ضمن مجموعة شوين في المتحف الوطني النرويجي وتبلغ أكثر من 300/ رقم، وعرض صوراً لها واستساخات يدوية، وعرف بها بشكل عام.

كما عرض دونجان ملفيل (أمريكا) مضمون نص رياضي من سوسا يعود إلى العصر البابلي القديم، ويعالج تكوين دائرة مضلعة القعر. وقدم ماتيو أوسندريفر (ألمانيا) بحثاً عن بعض ملامح نظرية دوران القمر في العصر البابلي المتأخر، وبين وجود إشارات في نصوص العصر إلى منهجين أساسيين لتحديد مدة دوام السنة وعلى فهم القدماء للمدى الزمني بين غياب أو ظهور الشمس وغياب أو ظهور القمر.

وفي مجال الطب والسحر قدمت ثمانية بحوث تناولت المعارف الطبية لدى القدماء والنصوص المسمارية التي تعبر عن ذلك، وهي:

أنا أتييا، جيلز بويسون (فرنسا): التراث الطبي في الدراسات المسمارية الآشورية.

أرفينج فينكل (بريطانيا): الطب البابلي القديم في أور.
مرخام جيلز (بريطانيا): نصوص طبية عن أمراض الكلى والمستقيم من مدينة آشور.

توماس ريشارد كمرر (إستونيا): الأمراض الوبائية في الكتابات المسمارية.

جوان سكورلوك (أمريكا): من إساجيل كين أبلي إلى أبقراط.

نيلز هيسل (ألمانيا): قراءة النصوص المسمارية وتحليلها بعد أكثر من قرن على جهود فليكس فون أوفيليس في "الطب المسماري، مدخل إلى مجموعة كوينج الطبية".

دانييل شفر (ألمانيا): تعويذات ضد السحر المؤذي في آشور.

سنتيا جان (بلجيكا): التعويذات في العصر الآشوري الحديث.

وفي مجال الحرب والحياة العسكرية تحدث لمي بارون (كندا) عن التجهيزات العسكرية في العصر الآشوري الحديث كما صورت في المنحوتات الجدارية التي كشفت في القصور الآشورية في مواقع نينوى ونمرود وخورس آباد.

وتحدث نجل تليس (بريطانيا) عن العربات الحربية في العصر الآشوري الحديث حيث ألقي نظرة عامة شاملة على الشواهد المتوافرة في اللقى الأثرية والنصوص الكتابية المتعلقة بالعربات، بغية توضيح كيفية تصميمها وأسلوب صنعها ومجالات استخدامها. وقدمت ماريا جابريللا ميكالي ودافيد ندالي (إيطاليا) بحثاً عن تشكيل معسكرات الملك سنحريب ووظائفها الاستراتيجية ومدى الفكر المياسي فيها حللاً فيه مشاهد المعسكرات وعناصرها المعمارية اعتماداً على المعطيات الأثرية، وربطاً ذلك بأخبار المرويات الكتابية، واستخلصا الوظائف والأساليب التكتيكية الحربية، وقارنهما بمثلاتها في العصر الآشوري الحديث. وتحدث كريستوف أهلينجر (سويسرا) تحت عنوان من المعركة إلى الأنصاب، من الأنصاب إلى التاريخ: عن سنحريب في مدينة لاخيش، ورأى أن المشاهد المصورة في المنحوتة التي تصور المعركة ليست تصويراً مباشراً انطباعياً، بل يعتمد على أخبار مدونة عنها أو كانت متناقضة بين الناس شفهياً، وأن الاهتمام الفني يحدث النصر على لاخيش، رغم أنها لم تذكر في حويلات سنحريب الكتابية، يعود إلى أنها كانت تشكل العنصر العسكري إلى العاصمة السياسية.

وتحدث شتيفان هاورز (ألمانيا) عن القبور والنظام الاجتماعي في مدينة آشور خلال العصر الآشوري الحديث، اعتماداً على دراسة أشكال نحو 1300/ قبر، عثرت عليه البعثة الألمانية المنقبة في آشور (قلعة الشرفاء) تعود إلى العصر الآشوري الحديث، وسعى إلى الربط بينها وبين ما ورد في النصوص الكتابية عن النظام الاجتماعي والأسري آنذاك. كما تحدث ميركو نوفاك (ألمانيا) عن برامج تخطيط المدن الآشورية في آشور ونيوى وغيرهما، وعرض الخصائص والمظاهر العامة لها، وقارن بين الأساليب المختلفة.

وقدم مسيمو كولتارو (إيطاليا) بحثاً بعنوان الرموز الخفية للانبعاث، دراسة في الصلات الفنية بين بلادي إيجيا والرافدين بين أن هناك شواهد أثرية على تلك الصلات، ولكنها قليلة، وركز في توضيحها على قطع زجاجية من العصر البيروني المتأخر عثر عليها في ثوريكوس وكاكوفاتوس (اليونان) مزينة بنجوم تذكر بالرموز الفنية للألهة عشتار وتظهر تشابهاً مع أعمال فنية رافدية.

وتحدثت إلسانور جورالنسك (أمريكا) عن أنماط المنسوجات في العصر

الأثري الحديث، وهي معروفة بشكل أساسي من خلال الأعمال الفنية الحجرية والبرونزية والعاجية والرسوم الجدارية الملونة، وتتبع الباحثة تطور أسلوب زخرفة المنسوجات عبر العصور، وبينت تطور استخداماتها ووظائفها، وأن مدينة نينوى بالتحديد شهدت تنوعاً كبيراً في أساليب التزيين الفنية التي تركت تأثيرها في سائر مناطق الشرق القديم وكذلك في اليونان.

وقدمت شيري ماك جريجور (أمريكا) بحثاً بعنوان نساء موسيقيات في بلاد آشور، شواهد كتابية وبصرية درست فيه مشاهد في منحوتات القصور الملكية وفي الأعمال العاجية تظهر انتشار تقاليد موسيقية رسمية وشعبية ودينية، ووجود محترفات تمتعن بمكانة متميزة عالية، وبينت أن الحفلات الموسيقية كانت تقام لدى الاحتفال بانتصارات والمناسبات الملكية والدينية وأداء شعائر المعابد.

8. في حضارات المناطق المجاورة:

نعني بذلك البحوث التي تحدثت عن حضارات المناطق المجاورة لبلاد الرافدين أو التي تعد امتداداً لها، وتنقسمها إلى أربع مجموعات وفق التقسيم الجغرافي.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أ - سورية:

حظي موقعاً قطننا (تل المشرفة، شمال شرقي حمص) وتيل برسب/ مسواري (تل أحمر على الفرات، جنوبي جرابلس) باهتمام كبير متميز، وقدمت بحوث عديدة تناولت الآثار المكتشفة في الموقعين.

قدم ماركو ياموني (بريطانيا) بحثاً عن فخار العصر البرونزي المتأخر في قطننا، وصلته المحتملة بالفخار الميثاني عرض فيه نتائج التنقيبات الإيطالية (المشتركة)، وركز على القصر الملكي والقطع الفخارية التي تظهر تشابهاً مع الفخاريات المصنوعة وفق الأسلوب الميثاني، وأكد على أن المكتشفات عامة وتقدم إضافات جديدة إلى معلوماتنا عن العصرين البرونزي الوسيط والمتأخر. وتحدث ميركو نوافك (ألمانيا) عن قصر قطننا والأرشيف الملكي، ووصف وظائف القصر ومظاهره المعمارية، وبين أنه كان من أضخم المباني في الشرق القديم خلال الألف الثاني ق.م. واستعرض مكتشفات كثيرة عثر عليها في القصر، أبرزها

طبعت أختام أسطوانية ذات نوعية عالية ونصوص كتابية مسمارية تبين اسم ملك المدينة إيدانا الذي عاصر الملك الحثي شوبيلويوما الأول (1380 – 1354 ق.م)، وقدم ميشيل المقدسي (سورية) بحثاً عن المبنى الآرامي في مشرفة ودماره في نهاية القرن الثامن ق.م، وصف فيه الخصائص المعمارية للمبنى واستخداماته الوظيفية، وعرض نتائج التنقيب السوري فيه، كما تحدث بفلمنسر (ألمانيا) عن المدفن الملكي في قطنا وشرح أسلوبه المعماري وتكوينه وموجوداته، وقرنه بمدافن أخرى من الفترة نفسها.

أما موقع نيل برسب/ مسواري فقد تناولت أربعة بحوث أيضاً جوانب من مكتشفاته، وأهمها نصب لوفي حديث لإله العاصفة وصفه جوي بونينس (بلجيكا) من الناحية الفنية، وبين أنه مصنوع من حجر البازلت، ويصور إله العاصفة في مظهره المألوف في الأعمال الفنية، ويشبه في تفاصيله الأصباب الأناضولية والآشورية، ويعود إلى نحو 900 ق.م، أما ج.د. هاوكينز (بريطانيا) فقد درس النص الكتابي المدون على النصب، وهو مكتوب بالكتابة التصويرية (البيروغليفية) اللوفية، ويتألف من 34/ فقرة، ويتحدث عن انتصارات الملك حمياتا على الأعداء، وأوضح أن الموقع حمل اسمين، أولهما مسواري، ثم نيل برسب في العصر الآشوري الحديث، وأن أسماء ملوكه ربما تكون آرامية في صياغة لوفية.

وتحدث مارتين ماكينسون (فرنسا) عن الرسوم الجدارية في نيل برسب، تاريخها وأسلوبها الفني وقرنها بشواهد مماثلة مكتشفة في القصور الآشورية، وحلل أسلوبها التشكيلي الفني، ودرس المشاهد الحربية المصورة وربطها بأحداث مذكورة في حوليات ملوك السلالة الشركينية الآشورية، كما تحدثت فرجينيا فرادي (فرنسا) عن استخدام المعادن في تل أحمر، وركزت على تقديم وصف لأعمال التنقيب في الموقع خلال موسم سنة 2001م، ولا سيما في غربي التل، حيث عثر على مشغل لتصنيع المعادن.

وشدة بحوث مستفرقة عن مواقع سورية أخرى، فقد تحدثت نيلي تسجيلر (فرنسا) عن احتلال شمسي أدد الأول مدينة نينوى ومناطق نوروجوم المحيطة بها في ضوء نصوص من أرشيف ماري، وذلك في أواخر فترة حكمه، وقدم تيموتي

هاريسون (كندا) بحثاً عن كونولوا، كلاني والوجود الآشوري الحديث في تل طعينات (سهل العمق) ذكر فيه أن أقدم إشارة من العصر الآشوري الحديث إلى مدينة كونولوا ومملكة بتيئا/ أنقي تعود إلى القرن التاسع ق.م، ضمن حوليات الملك آشور ناصربال الثاني، ثم تستمر الإشارات خلال القرن التالي حتى سنة 738 ق.م حيث قام الملك الآشوري تجلت فليسر الثالث بحملته إلى سورية، وهو يذكر في حولياته أنه دمر مملكة أنقي واحتل كونولوا وضمها إلى مناطق سيادة الولاية الآشورية كلاني، وأكد الباحث أن دراسة أخبار كونولوا لا تدع مجالاً للشك في أنها موجودة في تل طعينات في سهل العمق، وقد جرت تنقيبات قديمة أمريكية في الموقع 1930م، استؤنف التنقيب فيه من جديد.

وتحدث هارتموت كونه (ألمانيا) عن فترة ما بعد العصر الآشوري الحديث، اعتماداً على مكتشفات موقع دور كاتليمو (تل الشيخ أحمد، شمال شرقي دير الزور)، وبين أن مكتشفات الموقع الأثرية والكتابية تقدم معلومات مهمة عن الفترة القصيرة التي سبقت سقوط نينوى وانهيار الإمبراطورية مباشرة، وما بعدها بقليل (أواخر القرن السابع ق.م)، وركز في البحث على المعلومات الأثرية عن فترة ما بعد انتهاء السيادة الآشورية في مناطق دور كاتليمو، وصلتها بالأوضاع في بلاد آشور المركزية.

وقدم باول لويس فان برج (بلجيكا) بحثاً عن الآثار والفنون الصخرية في نجد الحمة (محافظة الحسكة) عرض فيه نتائج مسح أثري أجراه هناك أظهر سلسلة طبقات حجرية متراكمة، ولا سيما عند قرى خشم وكفري، وأكثر من 2200/ منحوتة صخرية تمثل أشكالاً ذات هينات حيوانية، وكذلك عثر على فسوس ورماح.. وغيرها من اللقى التي يتراوح تاريخها بين أواخر الألف الرابع ق.م والقرن الثالث الميلادي.

وثمة موضوعات من الحضارة السورية بحثت اعتماداً على نصوص كتابية، كما في بحث شتيغان ياكوب (ألمانيا) عن سمس من خربة (تل خويره) إلى نينوى، وبحث يانا ميناروفا (تشيكيا) الفينيقيون في أبو صير.

ب - تركيا:

اقتصرت البحوث المتعلقة بتركيا على آثار مناطق دجلة وشرقي الفرات،

وكانت معدودة. تحدث فكري كولاكوغلو (تركيا) عن منحوتات من العصر الآشوري الحديث من منطقة سائلي أورفا، عثر عليها بين 1998—2001، في المواقع: محمد خان، أصلائي، تل حنطة، كاب، حاجي جوز، وعرض صوراً توضيحية لها.

وقدم يسوس جل فوتسانتا (إسبانيا) تقريراً عن التنقيبات الأثرية في رضوان تبه على نهر غرزان سو الذي يرفد دجلة، قرب حصن كيف، وتنفيذها بعثة تركية تشيكية إسبانية مشتركة، بين أن الموضع يضم آثاراً يمتد تاريخها بين الألف الرابع وبدايات الألف الثاني ق.م. كما قدم جون ماك جينيس (بريطانيا) تقريراً عن التنقيبات في تل زيارت بين باطمان وديار بكر، وبين اعتقاده بأن الموقع يضم أطلال مدينة توشخان التي كانت مركزاً لمقاطعة آشورية هناك.

ج - إيران

كاترين دي دراف (بلجيكا): الفترة الانتقالية بين عصر سلالة أور الثالثة والعصر البابلي القديم في سوسا.

ريوشي كونتاني (اليابان): سيوف جديدة من شمال غربي إيران من العصر الآشوري الحديث.

د. ت. بوتس (أستراليا): بحوث أثرية جديدة في المناطق العليا من بلاد فارس.

د - الخليج العربي

فيوريللا إيوليتوني (إيطاليا): تماثيل الألف الثالث ق.م في البحرين.
بيتر ماجي (أمريكا): التجارة الخارجية بين مناطق الخليج العربي والإمبراطورية الآشورية.

9. بحوث عن عصر سلاسة أور الثالثة (2112-2003 ق.م):

ألقيت مجموعة بحوث تناولت موضوعات تاريخية وحضارية من هذا العصر، وركزت على الجوانب الاقتصادية، نظراً لأن القسم الأكبر من كتابات العصر تبحث في ذلك، والبحوث هي: بنيامين ستودفنت هكمان (أمريكا): القوى

العاملة في مدينة أوما خلال عصر سلالة أور الثالثة.
 ناتاليا كوسلوا (روسيا): ألقاب القوى العاملة في مدينة أوما خلال عصر
 سلالة أور الثالثة.
 تونيا شرلاخ (أمريكا): دراسة في ملامح النظام الضريبي خلال عصر سلالة
 أور الثالثة.
 مغنوس ويدل (أمريكا): القروض في مدينة أور خلال عصر سلالة أور
 الثالثة.
 ويليام هلو (أمريكا): تأريخ الأيام خلال عصر سلالة أور الثالثة.
 ب. مائندر، ف. بومبونيوف، ف. أجنسيتينو (إيطاليا): دراسة في نصوص
 السفراء من عصر سلالة أور الثالثة.
 بيوتر ميشالوفسكي (أمريكا): القوة والشهرة، التصوير الملكي الذاتي في
 عصر سلالة أور الثالثة.
 ميشائيل موللر كاربي (ألمانيا): طائفة الملك شوسين، نقش ملكي جديد من
 عصر سلالة أور الثالثة.
 فالتر سلابرجر (ألمانيا): مدفن الملك شوسين في مدينة أور.
 نيكولاس فائندر روست (بلجيكا): النظام الجغرافي الإداري الزراعي في
 منطقة أوما.

10. بحوث لغوية:

ماريا ياكوبوفيتش (أمريكا) الأصوات الصغيرة في الآشورية - البابلية.
 جوردون وايتاكر (ألمانيا): الأصوات في لهجة إيمسال السومرية، وفق
 الشواهد المكتشفة في نينوى.
 ستيف تيني (أمريكا): معجم بتسلفاتيا للغة السومرية.
 ايفا فون دسو (أمريكا): في لغة مراسلات العمارة الكنعانية.
 فان در فستهيوتسن (جنوب أفريقيا): قراءة جديدة للرسالة 186/ من
 مراسلات العمارة.

11. موضوعات متفرقة:

أنا مسخي (تركيا): حضارة العبيد وأصلها الكارتقلي الجورجي، دراسة لغوية حضارية مقارنة.

ماركو بونيشي (إيطاليا): دراسة في (قائمة أسماء ومهن) سومرية من عصر فجر السلالات الثالث.

بتروس ستيفانوس فرماك (جنوب أفريقيا): التبدل الحضاري في الألف الثاني ق.م.

ت. س. ميتشل (بريطانيا): من أحجار الكودورو في بابل.

كلمنس رايشل (أمريكا): نساء متنفذات من إشنونا.

جون تايلور (بريطانيا): تسمي تان دالتان على القيادة.

باروخ لفين (أمريكا): السياسة الآشورية والتوحيد.

سارا ملفيل (أمريكا): الرمزية في التعبير عن المكافئة ضمن الأسرة الملكية خلال العصر الآشوري الحديث.

مارتا ريفارولي (إيطاليا): نينوى والملاح السياسية للعصر الآشوري الحديث.

آن ويفر (أمريكا): الإدارة الإلهية والسياسة البشرية والتفكير الملكي لدى ملوك السلالة الشركينية (العصر الآشوري الحديث).

باول زيمسكي (أمريكا)* الاحتلال الأورارتي لبلاد آشور.

دومنيك بونانس (ألمانيا): آشور باتيبال وقطع الرؤوس، دراسة من منظور أنثروبولوجي.

ويتولد نيبوروفسكي (بولونيا): النشاط التجاري في أماكن العبادة.

بويانا يانكوفيتش (النمسا): تربية الطيور في سيبال خلال الألف الأول ق.م.

منكو فلاردينجر بروك (هولندا): ملاح شرقية في كتابة التاريخ لدى الإغريق.

بونى نيلهامن (السويد): المادة المهمة وغياب مناهج البحث.
رفائلا فراسكاريللي (إيطاليا)* دلالة اللقية الأثرية في المجتمع المعاصر.
جون سيمبسون (بريطانيا): المسيحيون في نينوى.
فيصل دونباز (تركيا): نهب في الموصل سنة 1898م، أخبار من الوثائق العثمانية.

روبرت تمبل (بريطانيا): عدسة نظارة الأثري هـ. ليارد.
ستيفن هولوي (أمريكا): صورة نينوى في أمريكا خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

ريجينا هايلمان (ألمانيا): تصوير النخيلات الشرقية والتنقيبات في نينوى في بواكير الأعمال السينمائية (مع عرض الفيلم الإيطالي القصير: ملكة نينوى، من إنتاج سنة 1911م).

12. ملصقات جدارية:

تقاولت بالصورة والشروح موضوعات معينة، علقت في الممرات الموزعة بين قاعات المحاضرات في المتحف البريطاني، وهي:

روبرت كارتر (بريطانيا): الملاحة في الخليج العربي خلال عصر العبيد.
ستيفاني دلي (بريطانيا): الحدائق المعلقة في نينوى.
شتيفان هاووزر (ألمانيا): السبدو والحضر، شمالي بلاد الرافدين خلال العصرين الأرساكيدي والساساني.
جروالد كوبر، دان سيندر (أمريكا): تخزين العلامات الكتابية المسمارية في الحاسوب.

أخيراً يمكن القول إن بحوث المؤتمر — بشكل عام — تمتعت بمستوى علمي عال ودرجة كبيرة من الدقة، وشملت معظم الجوانب المتعلقة بحضارة نينوى والحضارة الآشورية بشكل عام، واتسع نطاقها ليشمل المناطق الحضارية المجاورة، ولا شك في أن نشر المجلد الخاص ببحوث المؤتمر — كما جرت العادة

— سيضيف إلى مكتبة الدراسات الشرقية القديمة جهداً علمياً متميزاً لا غنى للباحثين عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمر السنوي القادم (الخمسين) سيعقد في دولة جنوب أفريقيا، في مطلع شهر آب 2004م، وسيكون محوره الخاص هو: الحيوان والنبات في الشرق القديم، وذلك بدعوة من قسم الحضارات الشرقية القديمة والكلاسيكية في جامعة جنوب أفريقيا — بريتوريا.



عشبة غزو العراق

العراق بين الآثار واللصوص

■ بقلم: جوان فارشاك* ■

ترجمة: عبود كاسوحة

الآثار واللصوص أم اللصوص والآثار؟

قد لا نفع على كلمتين تتلازمان أو تفكر إحداهما بالأخرى تلتزم كلمتي "الآثار واللصوص" ويقال إن براعة المصريين القدماء في التحنيط لا تقل عن براعتهم في بناء المتاهات ووضع الحواجز في طريق اللصوص الذين حسبوا حسابهم منذ البداية والذين سيأتون يوماً لتبش تلك القبور وسرقه النفاس التي وضعت في الأضرحة مع الجثث المحنطة حتى أضحى السؤال عمن جاء أولاً اللصوص أم الآثار والنفاس، يكاد يشبه السؤال نفسه عن البيضة والدجاجة.

لكن البقعة من الأرض التي نحن بصدد الحديث عنها اليوم ليست وادي النيل بل هي العراق بكل ما تثير هذه الكلمة من إحياءات وتداعيات: سومر، أكاد، بابل، آشور، ما بين النهرين... وصولاً إلى المأساة الراهنة.

التحقيق الذي ننشر ترجمة وافية له كتب والحرب الأخيرة على وشك الوقوع، بل العدوان الأخير، مع كافة الصفات المغرقة في القسوة والعنف والهمجية والبربرية... التي امتلأت بها صفحات تاريخ تلك المنطقة منذ بدء الكتابة

* صحفية وباحثة في الآثار.

في تلك المنطقة تحديداً — قبل عدة آلاف من السنين — وحتى اليوم... على وشك الوقوع... إلا أن ما حصل وما تبعه كان أكثر هولاً: فالتحقيق كتب كله تحت تأثير ما حصل عام 1991 وما تلاه. والكل يعرف أن النظام العراقي فقد بعدئذ سيطرته على أجزاء واسعة من أرضه في الشمال وفي الجنوب أيضاً، لكن بقي في العراق، رغم كل ذلك، شيء اسمه "نظام"، أما الآن ومنذ خمسة شهور قبل كتابة هذه الأسطر، والعراق يعيش في ظل "لا شيء": بلاد حمورابي وشريعته قبل أربعة آلاف عام تقريباً ليس فيها أي شريعة!... فماذا فعل اللصوص طيلة هذه الفترة وماذا سيفعلون؟ قال ابن الرومي يوم استباح الزنج البصرة "لief نفسي عليك أيتها البصرة"... لكن "رنج" اليوم لا مثيل لهم في تاريخ ماض، وينبغي ألا يكون لهم مثيل في التاريخ القادم...



كيف نُحمي الآثار في العراق؟

كيف نحمي الآثار في العراق؟

على الآثاريين في العراق (من علماء وكل من يعمل في هذا الميدان) وهم في ظل التهديد بنشوب حرب جديدة، أن يتوقعوا أسوأ السيناريوهات بالنسبة لآلاف المواقع والمتاحف في بلادهم، <http://Archivebeta.Sakhr>

السومريون والأكاديون والبابليون والآشوريون... وغيرهم... كلهم توالوا فوق تلك الأرض الممتدة ما بين دجلة والفرات، والتي أطلق عليها الإغريق اسم بلاد ما بين النهرين. وإذا كانت الرياضيات والعجلات والشكل الأول للكتابة... قد ولدت في سومر، فإن تنظيم الإمبراطورية إدارياً وتعيين الحكام والولاة كان من نصيب الآشوريين. أما البابليون فقد أوروأ الإنسانية أول شريعة في العالم. وسواء كان أبناء تلك الشعوب من الغزاة أو من المغزوين، فقد خلّفوا وراءهم آثاراً تنتشر فوق ما يربو على عشرة آلاف موقع، وتركوا أشكال بصماتهم على كافة حضارات الشرق الأوسط. فروائعهم توزّعت على كافة متاحف العالم أما أسماء ملوكهم فتتصّدّر النصوص التاريخية كلها.

اسمعوا هذا الكلام: "أعددت سريراً لي في متحف بغداد. فزوجتي وأولادي يعرفون أنني لن أكون معهم إذا وقعت الحرب. سوف أكون حيث ينبغي لي أن

أكون، حفاظاً على التاريخ والحضارة". لم يصدر هذا الكلام عن أحد "المهوسين" بالآثار أو على لسان بطش خارق للمألوف، بل جاء مكرراً على لسان كافة المديرين والمديرات في المنظمة الوطنية للآثار في العراق. ويتعلق الأمر بالنسبة للجميع، لهم ولهن، بمجرد واجب عادي، واجب الموظف حيال عمله وواجب الجندي في زمن الحرب أولئك هم جنود منطقة ما بين النهرين الذين تصدوا للقصف والنهب وهدم النفائس وللنزعة الهمجية لتخريب الآثار الفنية والروائع، ولصفقات البيع بالمزادات العلنية وقد حسبوا مخطئين أن كابوسهم انتهى. لكن الواقع مختلف. فإرث العراق الأثري والثقافي عاد مجدداً ليقع تحت ظلم – لا تحت رحمة – القصف المعادي واللصوص الذين يعملون في الخفاء.

مخططات العمل والإنقاذ

كان الأثريون في ذلك المجتمع الذي يمور اضطراباً وقلقاً استعداداً للحرب، يعدّون هجوماً معاكساً على السيناريو الأكثر إثارة للرعب والهيلع: ذلك أن متاحف البلاد السبعة تقع في أواصر المنن وعلى مقربة من الوزارات المهددة بالقنابل. أما آلاف المواقع الموزعة على جهات البلاد الأربع فسوف تقع بكل تأكيد فريسة لعمليات نهب مكثفة ومنظمة. ووضعوا للتصدي لتلك الاحتمالات مخططات إنقاذ وعمل. ولكي يستبعدوا خطر القصف الجوي للمتاحف، قاموا بكتابة اسم منظمة اليونسكو بأحرف عملاقة وطلانها بألوان فاقعة على السطوح وعلق الدكتور دوني جورج مدير المطبوعات العلمية في المنظمة الوطنية للآثار في العراق على ذلك قائلاً: "هذا من أجل أن نلفت انتباه الطيارين، في حال نشوب نزاع مسلح إلى أن الأمر يتعلق بمبانٍ ثقافية محمية بموجب اتفاقية لاهاي".

درس الأثريون بالإضافة إلى حماية المباني مخططات لإنقاذ الأغراض وتشرح الدكتورة نوال متولي، مديرة المتاحف العراقية الأمر قائلة: "اتّبع العاملون في متحف بغداد دورات تدريب على إخلاء قاعات المتحف الاثنتين والثلاثين في يوم واحد. وسوف يتم من بعد تغليف الموجودات ووضعها في أماكن سرية ومأمونة". ولكن هل ستكون محمية من ارتفاع منسوب المياه الجوفية في الأقبية (بعد حرب الخليج السابقة أخفيت موجودات متحف بغداد في مستودعات في الأقبية، فغمرت المياه الجوفية الصناديق وأتلفت كميات كبيرة من اللقى الطينية أو

الخزافية أو العاجية). "لا يسعني أن أضمن شيئاً، والأمر كله منوط بفترة التخبط". فقد توجّب علينا في المرة الأولى أن نخفي اللقي لعشرة أعوام في صناديق حديدية. ولا يسعنا أن نحاط سلفاً لما قد يطرأ من تدهور على حالة اللقي في وسط غير ملائم. فنحن نتعرض لخطر أكيد ولكن ما باليد من حيلة".

الحضارة الآشورية الجبارة

سلمنصر وأشور بانيبال وسارجون وتوكلتي نينورتا... هؤلاء كلهم من ملوك آشور الذين زرعوا الرعب في منطقة الشرق الأوسط كلها من القرن التاسع وحتى السابع قبل الميلاد. ساروا على رأس جيوشهم فنهبوا وسلبوا وخرّبوا وألحقوا الأراضي بمدنهم فأنشأوا على ذلك النحو أول إمبراطورية في العالم منظمة تنظيمياً إدارياً. وتميّز الآشوريون بميلهم إلى البذخ. فكانت قاعات قصورهم ومعابدهم ذات أبعاد هائلة. أما النقوشات التي تصوّر شجاعتهم في الحروب وقوتهم في نزاهات الطرد والقتل فقد نحتت من الرخام الأخضر أو الحجر الكلسي الأبيض. وكانوا يضعون نصب أعينهم يدّ الرعب في قلب زائرهم، وجعله يرى مدى قوة السلاطين الكبار، وكان هؤلاء وعائلاتهم يرقلون في أبهى الحلبي المزركشة والموشاة بالجواهر الثمينة والعاجيات الجذيرة بأن تصنع على أيدي أعظم الحرفيين المهرة في عصرنا. وعلى كل حال فإنهم كانوا يستقدمون الحرفيين من المدن السورية الفينيقية، لإنجاز تلك الأعمال الفنية الصغيرة، لصالح العائلات الملكية. إلا أن الثيران المجنحة تظل العناصر المعمارية النموذجية لفن هذه الحضارة. فقد كان من شأن تلك الكائنات الأسطورية وهي توضع عند مداخل المدن، أن تؤمّن حمايتها من كل هجوم، حسب معتقدات تلك الشعوب.

كانت آشور العاصمة الأولى لتلك الإمبراطورية، ومدينتها المقدسة. وهي على كل حال تحمل اسم الإله الآشوري الكبير: آشور. أما قصورها والزقورات وأحيائها السكنية المتوضّعة على الضفة الغربية لنهر دجلة فاستحوذت على إعجاب علماء الآثار الذين مضى عليهم أكثر من قرن وهم ينقبون في تلك الأرض. ومع ذلك فإن أسرار تلك المدينة ما زالت خفية. وعلى الرغم من استقرار الحكومة في نمرود وفي خورساباد ثم نينوى، فإن الملوك الآشوريين واصلوا عمليات البناء في آشور. وهكذا فإن أرض تلك المدينة تغص بآثار مميزة

لكافة عهود تلك الإمبراطورية التي نشأت فوقها. شُيّدت كافة الأبنية بالآجر غير المشوي (أو اللين)، وهي مادة هشة جداً في وجه العوامل الجوية. وهذا ما يجعل الأثريين ملزمين بإعادة تغطية الآثار المكشوفة لدى انتهاء الحفريات أو تكملة البناء وفقاً لمخطط افتراضي. وإذا ما استثنينا زاقورة الإله آشور، فإن موقع آشور يمكن أن يبدو مملاً للمتاحين غير الاختصاصيين.

رمل لحماية الحجر

ونعود إلى موجودات المتاحف، فمن الممكن بكل تأكيد ترحيل الأغراض الصغيرة ولكن كيف العمل لحماية المنحوتات الكبيرة؟

إن النقيشات الآشورية المجلوبة من قصور نمرود وخورساباد، والتي يزورها متحف بغداد، تزن كل واحدة منها عدة أطنان. وهي معروضة في قاعة الآثار الآشورية التي تواجه وزارة المواصلات (يفصل بينهما شارع عريض فقط) وتبعد حوالي مئة متر عن محطة الإذاعة والتلفزيون العراقية. وهذه المباني هي الأهداف الأولى لقصف الطائرات، بل إنها دمّرت عام 1991 ثم في عام 1998. فكيف السبيل إلى حماية تلك الروائع من هزات عنيفة قد تجعلها تتقلب عن قواعدها؟ تقول الدكتورة متولي: «ليس لدينا من وسيلة تحميها من مثل ذلك السقوط، لكننا سوف نخفف من الصدمة أو نبنيها بتغطية أرض المتحف بالرمل، وبإحاطة تلك الروائع بأكياس من الرمل».

التوقي من نهب مكثف للتلال الأثرية

يعيش العراقيون منذ اثني عشر عاماً تحت لعنة الحصار الدولي. وكانوا يحسبون أن تلك السنين من الشقاء على وشك أن تنتهي لكن حسابات السياسة الدولية كانت مغايرة لتوقعاتهم.

يقول الدكتور دوني جورج: «سوف يكون نهب المواقع، في حال وقوع هجوم أميركي، أكبر بكثير مما كان عام 1991. فنحن نخشى الأسوأ».

وقعت تلك التلوث فريسة عمليات نهب منهجي ومنظم منذ اثني عشر عاماً، ويخشى عليها الآن من عمليات حفر وحشية. ويسوق الدكتور دوني جورج الملاحظة التالية: «وجدنا هبوا المواقع الأثرية الوقت الكافي لتنظيم تجارتهم غير

المشروعة وإيجاد أسواق دولية. إنهم أفوياء ومسلحون. والحرب بالنسبة لهم هي الفترة المثالية لاستئناف النهب على نطاق واسع*.

آثار عراقية في نيويورك

في عام 1991 أخذنا على حين غرة. أما اليوم فحراسنا في المواقع الكبرى مسلحون ويستخدمون السيارات ويتعاونون مع كافة شيوخ العشائر لحماية تلك المواقع...*

ما من شك في أن تلك الخطوات ضرورية ويمكن أن تكون مثمرة، غير أن العراق هو بلاد ما بين النهرين القديمة. البلاد التي أحصى فيها عشرة آلاف تل أثري. وحمايتها مهمة مستحيلة. فالمواقع فسيحة جداً (المساحة المتوسطة للتل تصل إلى 10 كم²) وبعيد جداً بعضها عن البعض الآخر. وهذا في واقع الأمر ما يراهن عليه اللصوص، الذين باعوا، وهم ينتظرون شوب الحرب، جلد الدب قبل صيده، باعوه لأصحاب صالات العرض والمولعين بالمجموعات، ناهيك بالمتاحف.

ففي عام 1999 عاد متحف ميتروبوليتان الشهير في نيويورك إلى فتح قاعات الآثار الآشورية مجدداً أمام الزوار من بعد إغلاقها لتجديدها وكانت هناك مفاجأة كبرى تنتظر الاختصاصيين: لقد ضمت المعروضات الجديدة تمثالاً صغيراً من البرونز، معروف أنه ملك لمتحف كركوك. ومعروف أيضاً أنه سُرِق من ذلك المتحف عام 1991 وفقد كل أثر له منذ ذلك الحين. وكان عالم الآثار البريطاني نيكولاس بوستغيت قد وضع فهرساً للآثار العراقية المسروقة تضمن تحذيراً للمتاحف وهواة جمع الآثار بعدم شراء تلك الآثار. ومع ذلك فإن التمثال الصغير الرائع لا يزال معروضاً في مكانه في متحف نيويورك. ويواصل الدكتور جابر خليل المدير العام للمنظمة الوطنية للآثار في العراق كلامه معنا فيقول: لا تزال المفاوضات بيننا وبين الجانب الأميركي جارية لاستعادة التمثال. وتؤكد سلطات متحف ميتروبوليتان أنها ستعيده إلينا... لكن بعد انتهاء الحصار. وقد يكون بوسعكم أنتم، بوسع الصحافة والإعلام مساعدتنا في هذه القضية*.

المعركة من أجل ما بين النهرين

كان للحصار الضروب على العراق تأثيره السيئ على كافة القطاعات فلم يوفر قطاع الثقافة. فلم تعد تتوفر لعلماء الآثار، في هذا البلد الذي يبلغ عمره آلاف السنين، إمكانيات التنقيب عن الآثار أو ترميمها أو نشر الأبحاث والتواصل مع زملائهم الأجانب. فكل عمل يتطلب جهداً خارقة. لكن الوضع بدأ يتغير منذ عام 2000 مع إنشاء المنظمة الوطنية للآثار والتراث العراقية.

صارت لها ميزانية وزارة وتم شراء سيارات جديدة. وجهزت مكاتبها بالحاسبات... والواقع أن الدولة في محاربتها لنهب الآثار أخذت تقدر قيمة اللقي التي يعثر عليها المنقبون وتحسب أسعار بيعها فتعطي المال لفريق التنقيب. ولئن كان من شأن مثل ذلك التصرف أن يسبب صدمة كبرى في العالم العلمي، فإنه صار مقبولاً في ذلك المجتمع الذي ما انفك مستوى الحياة فيه يتدهور من عام لآخر. لقد ازداد عدد الطلاب في قسم الآثار في جامعتي بغداد والموصل، وهناك طلبات عمل جديدة قُدمت لمكاتب الآثار. يقول الدكتور جابر: "هذا الجيل الجديد ممثلي عزيمة ومستعد لمواصلة المسيرة. لكننا في وضع تخلف عن الركب العالمي كله، فالحصار الذي شمل القطاع الثقافي أيضاً جعلنا عاجزين عن التواصل مع المؤسسات الكبرى في العالم لتبادل الكتب والمجلات. وعلمنا أن ننتظر وصول زملائنا الأوروبيين الذين يحملون لنا كتباً ضمن امتعهم لتكون على صلة مع آخر المكتشفات والمنشورات".

لكن ذلك لم يمنع علماء الآثار العراقيين من مواصلة كفاحهم. بل نجحوا في إصدار مجلد جديد من مجلة سومر. تلك المجلة السنوية للآثار العراقية خرجت مجدداً في مطابعها. ويعلق الدكتور دوني جورج ومدير المطبوعات العلمية فيقول: "أصدرنا المجلد الخمسين وسوف نستدرك الوقت الضائع لإصدار المجلدات الثلاثة المتأخر صدورها".

ولئن نجح علماء الآثار في فك الحصار بشأن المطبوعات، فهم ما زالوا تحت رحمته في ميدان علم المتاحف والترميم. وتشكو الدكتورة هناء عبد الخالق فتقول: "تستلف يومياً مئات القطع الأثرية في مستودعات المتاحف بسبب فقدان المواد الكيميائية الحافظة. صحيح أن منظمة اليونسكو تساعدنا، لكن ذلك غير كافٍ. إذ يلزمنا عتاد بكميات كبيرة كما نحتاج إلى سماح من الأمم المتحدة لإعادة

استخدام المخابرة الكيميائية... لقد وسَّع علماء الآثار العراقيون عمليات التنقيب لتشمل مواقع عديدة جداً. تقول الدكتورة هناء عبد الخالق: "هناك ثلاثون بعثة أثرية تقوم بالتنقيب في مواقع تبدأ مما قبل التاريخ وحتى العهود الإسلامية، وتقوم بعثاتنا، استداركا للوقت المفقود، بحملات تنقيب على مدار السنة. وتتوالى المكتشفات في كافة المواقع. ونسوق مثالا على ذلك القاعات ذات الجدران المغطاة بالأجر الملون والمكتشفة في قصر توكلتي نينورتا الواقعة في مواجهة آشور، على الضفة الشرقية من دجلة. كما عثرنا أثناء الحفريات في تل النمل، الواقعة في منطقة مخول (حيث سيقام سد كبير سوف تغمر مياهه مواقع عديدة)، على معبد دائري قطره 45 متراً وعلى أكثر من 230 قبراً، أظهرت محتوياتها أثاثاً جنائزياً فيه أكثر من ألف قطعة من الخزف المحلي أو المستورد."

صعوبة استعادة الآثار المسروقة

كانت عمليات نهب المواقع الأثرية، في شمال العراق وجنوبه، جارية على قدم وساق ما بين عامي 1994 و1999. يقول الدكتور دوني جورج مؤكداً: "كانت بحوزة المنقبين في الخفاء خرائط أثرية للبلاد وعليها أسماء المواقع بالإنكليزية. ويأتون في بعض الأحيان بحثاً عن لقي تعود إلى فترة زمنية بعينها. وهكذا فقد علمنا بوجود منقبين في شمال العراق يبحثون عن مواقع تعود لعصر محدد بعينه للحصول على آثار يطلبها أصحاب متاجر لبيع الأثرية. واستطاعت العالمية التي تحمل معها وثائق وصوراً أن تستعين بشرطة سكوتلانديارد لإعادة النقيشة إلى العراق. تقول الدكتورة متولي: "المؤسف أن كافة القطع المسروقة لا تعود إلى مستودعاتنا. إلا أن الحالات الاستثنائية هي التي تولد الأمل في نفوسنا. فالنهب متواصل. والجمارك الأردنية أعادت إلينا في العام الفائت أكثر من 300 قطعة أثرية، بالإضافة إلى أن الشرطة العراقية تضع يدها أسبوعياً عند المنافذ الحدودية، على قطع أثرية مسروقة. لكن المحزن أكثر في الأمر أن السيارات الدبلوماسية تستخدم أحياناً لنقل تلك القطع. إنهم موظفون وعاملون في السفارات يتولون نقلها وهم في بعض الأحوال موظفون في الهيئات الدولية يقومون بذلك، ولدينا الآن ثلاثة أكياس مملوءة بالرقم الفخارية عليها كتابات مسمارية، وعلى الأكياس شعار هيئة الأمم المتحدة."

المكتشفات الحديثة والتهديد الجديد

أدى إنشاء المنظمة الوطنية للآثار في العراق عام 1991 إلى بعث نشاط جديد في هذا القطاع وإلى القيام بحملات جديدة من التنقيب. تقول الدكتورة هناء عبد الخالق مديرة التنقيب في العراق: "لدينا الآن أكثر من ثلاثين حفرة تقوم بها فرق تنقيب عراقية في الشمال وفي الجنوب. لكن حملات التنقيب للإنقاذ بدأت خارج المواقع الكبرى الشهيرة مثل آشور وفرو، وهي تهدف إلى إنقاذ الآثار والحد من عمليات النهب، لا سيما في الجنوب. وقد حققت المهمة نجاحاً خاصاً في مواقع بعينها مثل شوكة وأم العقارب، وكان هذان الموقعان عرضة لنهب منظم قبل وصول فرقنا. وبالإضافة إلى ذلك، أدت الحفريات إلى اكتشافات هامة جداً. فقد تم الكشف في الواقع، في موقع أم العقارب، عن جدران من الحجر ارتفاعها سبعة أمتار. وهي جدران معبد يمكن أن نقرأ عليها نشأة الزقورة. أما شوكة فهي حاضرة الأوما المذكورة كثيراً في النصوص التاريخية. وتقع هذه المواقع في الجنوب على بضع كيلو مترات فقط من الحدود مع الكويت. وقد تابع لصوص الآثار، دون أدنى شك، المكتشفات الأثرية باهتمام كبير. فكيف السبيل إلى منعهم من القدوم إلى تلك المواقع ومعهم البلدوزرات، بحثاً عن الثروة؟..."

أما ودوي طبول الحرب يزداد شدة، فقد بدأ يتبلور معه تحليل جديد للموقف في بغداد: "لا يطمع الأميركيون في نفطنا فقط، بل يطمعون في تاريخنا أيضاً. إنهم بحاجة لروائعنا الجديدة كي تمتلئ بها متاحفهم، كما أظهرت جامعاتهم، وما تزال، اهتماماً خاصاً بحضارات ما بين النهرين."

قد يبدو في هذا الحديث الذي جاء على لسان مسؤول عراقي شيء من الهلوسة، لكن نشر مقال في مجلة أخبار الفن الأسبوعية، في تشرين الثاني 2002 ، عنوانه: "تاريخ العراق هو تاريخنا أيضاً"، لا بد أن يثير الظنون.

فالحديث يدور في ذلك المقال عن مستقبل التراث العراقي على أثر الغزو البري الذي ستقوم به الجيوش الأميركية. ويؤكد الكاتب أن الجمعية الأميركية واسمها "المجلس الأميركي للسياسة الثقافية"، التي أسسها أنتون هاوكينز، المحامي السابق لمستحف نيويورك، تستعد لتولي مهمة "المنفذ" للآثار العراقية. وتقول الجمعية أنها على استعداد للتعاون مع إدارة الآثار العراقية من أجل ترميم المواقع،

وتعرض مساعدتها لتدريب اختصاصيين عراقيين، انقطعوا عن كافة التقنيات الحديثة منذ أكثر من عشرة أعوام. ومن سخریات القدر أن يتوافق تاريخ عرض الجمعية مع تاريخ بداية الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق بضغط من الحكومة الأميركية.

ليست هذه الحرب بالنسبة للعراقيين سوى مرحلة من تاريخهم الطويل الذي يعد بآلاف السنين. "إنهم لا يستطيعون أن ينهبوا كافة المواقع، ولا أن يقتلوا جميع العراقيين ولا أن يهدموا في أيام حضارة آلاف مؤلفة من السنين. فالسومريون والبابليون والآشوريون... هم أجدادنا. لقد حاربوا فربحوا مبارك وخسروا أخرى. وتاريخنا مكتوب بالدم. فليس من شأن نقاط أخرى أن تغيره. ولا يمثل جورج بوش الأب والابن والحصار سوى فترات مؤرخة في تاريخنا. ولا يمكن لسني الشقاء هذه، لهذه السنين العجاف أن تدوم إلى الأبد. والتاريخ لا يتوقف. إنه يُكتب كل يوم والزمن يأتي على كل شيء حتى على الهيمنة الأميركية."

ARCHIVE

<http://ArchiveData.Sakhrit.com>

علماء الآثار

يتهمون الولايات المتحدة بجريمة القرن

■ ترجمة: رشا حداد ■

عن مجلة "لاروش" الإلكترونية للدراسات السياسية

بتاريخ الثامن عشر من نيسان الفائت، ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية في بغداد أن كبار موظفي الآثار في بغداد قد وجهوا في ذلك اليوم (الجمعة) تهمة إلى القوات العسكرية الأمريكية بأنها ارتكبت "جريمة القرن" حين أخفقت في حماية المتحف اليدوية الأثرية العراقية الثمينة من اللصوص، كما يحتمل أن تكون قد سحقت بعض المواقع الأثرية.

وقال دوني جورج، مدير المتحف الوطني للآثار في بغداد:
— مما أتوقع أن يكون قد حدث في المواقع الميدانية (الأثرية) وما حدث للمتحف العراقي، وأقول إنها جريمة القرن لأنها تؤثر فعلاً على تراث البشرية.
وقال جورج وهو يلخص لمراسلي الصحف موضوع الهجوم على الآثار وعمليات نهب المتحف يوم الجمعة الماضية:
— يبدو أنه كانت ثمة إجراءات وكانت ثمة أولويات أخرى (لدى الولايات المتحدة) بالنسبة إلى متحف بغداد.

كانت القوات الأمريكية، التي استولت على العاصمة العراقية في 9 نيسان، تراقب بينما كان اللصوص ينهبون التحف اليدوية الأثرية من إحدى أقدم الحضارات في العالم.

وقد ذكر مؤتمر الأمم المتحدة الذي عُقد يوم الخميس في باريس لدراسة ما سببته الحرب من أضرار على التراث الثقافي العراقي أن الكثير من عمليات نهب المتحف نفذتها عصابات منظمة تتاجر بالأعمال الفنية القديمة.

وقال الخبراء إن هناك من بين المواد التي فُقدت مجموعة تضم 80.000 لوح من الكتابات المسمارية التي تحتوي على نماذج من بعض أقدم الكتابات في العالم. كما اختفت أنية زهور سومرية من المرمر عمرها 5000 سنة، تعرف باسم أنية وركاء.

ونتيجة للضغط بعد نهب المتحف، عرضت الولايات المتحدة أن ترسل وكلاء من مكتب التحقيق الفيدرالي إلى العاصمة العراقية للمساعدة في الجهود لاسترداد القطع. وكان رئيس اللجنة الاستشارية الثقافية لدى الرئيس جورج دبليو بوش قد استقال أيضاً يوم الخميس اعتراضاً على الإخفاق في وقف السلب.

وكانت أعمال تجار المواد الأثرية العراقية قد ازدهرت منذ حرب الخليج عام 1991 بفضل تزايد الطلب الدولي والأزمة الاقتصادية في العراق مما شجع الناس العاديين على ابتكار طرق جديدة لجمع المال، كما يقول الخبراء.

مقابلة مع دوني جورج

السرقة العالمية لآثار المتاحف العراقية

كان الدكتور دوني جورج، مدير المتحف الوطني للآثار في العراق، في ألمانيا خلال أواخر أيار وبداية حزيران، لإجراء مقابلات مع علماء الآثار وبعض الممثلين السياسيين. وفي 3 حزيران، تحدث مع موريل ميراث فايسباخ من مجلة لاروش الإلكترونية وأورثرون كريم من المجلة الفصلية لمعهد شيلر الثقافي الألماني.

مجلة لاروش: هل يمكن أن تصف لنا ما حدث في المتحف الوطني العراقي

خلال الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق؟

دونسي جورج: في صباح الثلاثاء، اليوم الثامن [من نيسان]، عند الساعة الخامسة صباحاً، استيقظت على أصوات الدبابات الثقيلة والقصف المدفعي الشديد. كان القتال قريباً جداً، بجانب وزارة الإعلام، ومحطة الإذاعة والتلفزيون، التي لا تبعد أكثر من 400-500 متر عن المتحف. بدأ هذا الصوت يقترب أكثر من المتحف، ومن جديد، بدأنا نلاحظ إطلاق النار من الجانب الآخر للمتحف؛ وكان ذلك من منطقة محطة الحافلات المركزية. وحوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً بدأنا نسمع أصوات طائرات الأباتشي المروحية المقاتلة فوقنا.

كان هذا كله يحدث، وكنا واثقين من أن الأمريكيين لن يضرخوا المتحف، لأنهم يعرفون بالتأكيد أن هذا متحف، وعلمنا أنهم تلقوا تحذيراً من العلماء في الولايات المتحدة وبريطانيا. لكننا رأينا بعض أعضاء الحرس الوطني المسلحين العراقيين، الذين يمكن تسميتهم بالفدائيين، وقد راخوا يقفزون عائدتين إلى حديقتنا، ورأيناهم يطلقون النار على الدبابات. وكان هذا يعني أن متحفنا قد أصبح هدفاً.

في تلك اللحظة قرر الدكتور جبار خالي، رئيس المجلس، أننا يجب أن نغادر البناء، لأنه كان خطراً جداً جداً. كنا أربعة أشخاص فقط باقين في المتحف: أنا، والدكتور جبار، والسائق، وأحد علماء الآثار الذي يقم في منطقة مجلس الدولة والمتحف الذي خلفها.

كانت الأبواب الأمامية قد أقفلت؛ فذهبنا عبر الأبواب الخلفية، وأقفلناها؛ وكانت لدينا سيارة واحدة فقط في الخارج. خرجنا ونحن نعتزم العودة؛ وكنا سنرجع حالما نتوقف الحرب، أو المعركة، في منطقة المتحف.

ذهبنا عبر النهر إلى الجانب الشرقي، إلى متحف صغير آخر، وانتظرنا هناك. ومن جديد، كانت الداعة حوالي الثالثة بعد الظهر حين أردنا العودة إلى المتحف. لقد أردنا البقاء بعيدين قليلاً فقط، حتى تهدأ الأمور. وحاولنا عبور جسر السابح عشر من تموز، أو جسر المدينة الطيبة، وهو أقرب جسر إلى المتحف. وحين أصبحنا في منتصف الجسر تقريباً، كان الناس يأتون من الجانب الآخر، وطلبوا منا أن نعود، لأن الأمريكيين كانوا هناك، وكان القتال ناشباً هناك تماماً، ولم يدعنا أحد نعبور.

كان الأمريكيون قد استولوا على منطقة المتحف وعبروا عن طريق تلك المنطقة. لذلك، كان من المستحيل أن نذهب إلى المتحف في ذلك اليوم.

وبعد ذلك، أعتقد أنه كان مساء السبت [12 نيسان]، حين سمعت في الأخبار أن المتحف قد نُهب. بعد ذلك، [كما عرفنا] كان اللصوص قد دخلوا المتحف يوم الخميس. ولا نعرف بالضبط ما حدث يوم الأربعاء؛ ولكن في أيام الخميس والجمعة والسبت كان اللصوص يتجولون داخل المتحف وداخل منطقة إدارتنا. وفي صباح الأحد، قررت الذهاب إلى مقر قيادة مشاة البحرية في بغداد، لأننا عرفنا أن لديهم مقراً عاماً لقيادتهم المركزية في فندق فلسطين. قررت الذهاب إلى هناك وطلب أي نوع من المساعدة لحماية المتحف. وقرر الدكتور جبار أن يأتي معي.

في الصباح التالي، ذهبت إلى مقر قيادة مشاة البحرية. واستغرقنا بضع ساعات، حتى استطعنا مقابلة شخص ما هناك. ثم قابلنا العقيد ساركوني. كان من مشاة البحرية، من الشؤون المدنية. أخبرناه عما كان يحدث للمتحف وطلبنا منه المساعدة في حماية البناء والمنطقة هناك. فقال، "طبعاً، إنه واجبنا، وهذا هام جداً، ويجب أن نحصيه". أرشدنا موقع المتحف. وقلنا، إننا ذاهبان إلى المتحف، فقال، "حسن، ربما، ستذهبان وتريان السيارات المدرعة هناك الآن. سأتصل على الفور، وسيكونون هناك بالتأكيد". لكننا ذهبتا إلى هناك، ولم تكن هناك أي حراسة.

وفي صباح الأربعاء [16 نيسان] فقط، وصلت الحراسة إلى المتحف. وأصبح لدينا أربع دبابات والكثير من الموظفين العسكريين.

مجلة لاروش: وذلك بعد أسبوع كامل من دخولهم بغداد رسمياً في 9 نيسان. دوني جورج: بالضبط. بعد ذلك عرفت أن هناك قائمة أصدرتها القيادة المركزية الأمريكية، وفيها بعض الأماكن التي يجب على الجيش أن يحميها. وعرفت أن المتحف كان الثاني على تلك القائمة، بينما حملت وزارة النفط الرقم 16 على تلك القائمة. وراح بعض الصحفيين يلقون النكات، ويقولون إن القوات الأمريكية ربما قرأت القائمة من الأسفل إلى الأعلى، لذلك ذهبت مباشرة إلى وزارة النفط وتركت المتحف. لا أعرف، لكنني لم يأتوا إلى المتحف في ذلك الوقت. ولو كانوا هناك، لأصبحت الحالة مختلفة كلياً.

وما سمعته لاحقاً، من ذلك الصديق الذي يقيم في منطقة المتحف: إن اللصوص يوم الخميس [10 نيسان]، وعددهم حوالي 300 – 400، كانوا خارج سور المتحف؛ وأنا لا أعرف، فهو الذي ذكر هذا الرقم. لقد عرف أنهم أرادوا دخول المتحف؛ لأنه لم يكن ثمة حكومة أو شرطة أو أمن في بغداد، وكان الناس يدخلون الأبنية الحكومية وينهبون فحسب. ذهب صديقي إلى دبابه كانت قريبة جداً من المتحف، وطلب منهم – كان برافتهم شخص عربي، يتحدث بلهجة خليجية، ربما كويتية، أو قطرية، لا نعرف – وراح يتوسل إليهم ليأتوا وينقذوا المتحف، وأن يحركوا الدبابه فقط إلى أمام المتحف ليقفوا هؤلاء الناس كلهم. وقال إن بعضهم قد اتصل، وبعد ذلك قال: "إنني أسف، فهذا ليس واجبنا".

ثم دخل هؤلاء الناس. في الوقت نفسه، كان أشخاص آخرون يدخلون من الأبواب الخلفية، يحطمون ويكسرون. فتح هؤلاء الأشخاص أحد الأبواب الأمامية ودخل الناس. وما رأيناه لاحقاً كان مروعاً طبعاً. لقد بدا وكأن إعصاراً ضرب البناء من الداخل. كانوا يأخذون أي جهاز لدينا: أجهزة كومبيوتر، آلات تصوير، أجهزة تسوية، مزواقي، آلات ناسخة، آلات نسخ صوتي، برادات، أثاث، أجهزة تلفزيون – وحتى آلة صنع القهوة التي لم يتركوا شيئاً. ما عدا الأوراق التي لدينا، كانت مبعثرة فقط. وفي غرفتي، كان لدي كومة بارئع نحو قديمين من الأوراق، ورأيتهم مرمية فقط. وكانت طاولتي قد أصبحت ثلاث قطع أو أربع، وكانت مفككة كلياً. وعثرت على مقعدي على بعد نحو 100 متر.

وحين دخلنا المتحف وبدأنا نفتش، عرفنا على الفور أن بعض القطع الهامة جداً التي كانت متروكة في المعارض، قد أخذت.

قبل شهر واحد من بدء الحرب، كنا قد أخذنا كل شيء تقريباً في خزائن العرض. كان واجبنا أن نفعل ذلك؛ وقد قمنا به من قبل، مرتين، [عندما] كنا نتوقع أي نوع من القصف أو النهب. لقد أخذنا كل شيء، ما عدا بعض القطع السيئة الحظ – التي كانت إما سهلة الكسر أو ثقيلة الوزن أكثر من قدرتنا على إخراجها، لكن [اللصوص] استطاعوا أخذها.

مجلة لاروش: هل يمكنك تسمية بعضها؟

دونسي جورج: هناك إناء وركاء للزهور، الذي عثرت عليه البعثة الألمانية

في مدينة وركاء، ويرجع إلى عام 3200 قبل الميلاد، على الأقل. وقد عثروا عليه في معبد، وهو قطعة فنية رائعة، وتظهر الفلسفة السومرية، وتطور الحياة، ومراحل الحياة، وتمثال بلا رأس لملك سومري، هو أنتيمينا، وقد اختفى أيضاً. وكذلك بعض القطع التي حصلنا عليها من معبد، باسم نينهوتساغ، في موقع تل العبيد، القريب جداً من أور، في الجنوب. كانت هاتان قطعتين هامتين جداً من النقش النافر على البرونز، وقطعة من عمود مزين ومطعم، وبعض الأحجار على شكل ورود. ومن المعرض الأكادي، فقدنا تمثال بارزيكي البرونزي الشهير، الذي يزن أكثر من 160 كيلو غراماً. إنه قطعة ضخمة، وأروع ما فيها أنها واحدة من أقدم النماذج الكبيرة عن الصب التي صُنعت بواسطة تقنية الشمع المفقود، التي تستعمل حتى الآن. وأقدم تمثيل لهذا، يرجع إلى فترة أوائل السلالة السومرية الحاكمة. وربما تكون هذه أكبر قطعة تم صنعها بهذه الطريقة. لذلك، إنها حقاً خسارة عظيمة لتاريخ الفن.

وما لم يستطع اللصوص أخذه، حطموه. لقد حطموا بعض الأسود الفخارية التي حصلنا عليها من تل الحرمل من الفترة البابلية القديمة التي تعود إلى عام 1900 ق. م. ومن منطقة حترا قبل ذلك. وكانت لدينا خزانة عرض لنماذج من الأجر المختوم تعود إلى مرحلة مبكرة من العصور الرومانية. لقد أخذوا تسعة من نماذج الأجر تلك؛ ويبدو أنهم انتقوا تسع قطع من الأجر، ولم يأخذوها بشكل عشوائي. وفي المعرض الآشوري، لاحظنا أن تمثال الملك شلمنصر الثالث مفقود، وتمثال آخر محطم. وفي معرض منطقة حترا، أخذوا رأس تمثال. وحطموا ثلاثة تماثيل رومانية وجدناها في حترا، وأخذوا رؤوسها. كما أخذوا رأس نايكي، إلهة النصر، وتمثالاً كاملاً تقريباً مصنوعاً من البرونز كنا قد وجدناه في حترا. وكان هذا من المعروضات العامة للمتحف.

ثم اكتشفنا أنهم حطموا المخازن أيضاً. وذهبوا إلى ما ندعوه بالمخازن القديمة، التي كانت في أقبية المتحف. ولا نعرف حتى الآن ماذا، ولا كم قطعة، أخذوا من تلك الأقبية. لقد كلّفنا جميع الموظفين في المتحف بوضع قوائم والتدقيق رفاً إثر رف، وصندوقاً إثر صندوق، لمعرفة ماذا وكم أخذوا والمقارنة، طبعاً، مع السجلات التي لدينا. وهكذا يجب معرفة كل شيء بالضبط، الأعداد، والوصف،

والصور التي لدينا.

مجلة لاروش: هل لديكم توثيق كامل؟ فقد قيل إنه مفقود.

دونسي جورج: كلا، كان لدينا توثيق خبائنه في مكان آخر. وقد بدأنا بإعطاء المحققين الأمريكيين سجلات تحتوي على وصف كامل، وأرقام وصور ملونة لكل قطعة مفقودة. وبالنسبة للصور الملونة، كنت قد أعدت النظام بنفسه، بعد نهب المتاحف الإقليمية عام 1991، فقد واجهتنا مشكلة خطيرة جداً تتعلق بالصور آنذاك. ولكن منذ ذلك الحين، أصبح لدينا، في السجلات وفي البطاقات، دائماً شيء صغير.. مثل صور جواز السفر، لكل قطعة على حدة، بمقياس صغير، مع الرقم. ويمكنك رؤية ذلك في الصورة. وبهذه الطريقة كنا نجد هذه القطع، ونعطي هذه المعلومات الكاملة للمحققين الأمريكيين.

بعد بضعة أيام من وجود الحراسة الأمريكية هناك، وصل إلينا فريق من 14 محققاً، تم إرساله بأمر مباشر من الجنرال تومي فرانكس، من القيادة المركزية الأمريكية. وقدم هؤلاء مساعدة كبيرة فعلاً. فقد كانوا محترفين، وكان يقودهم العقيد ماثيو بوغدانوس، الذي كان أصلاً مساعد وكيل النيابة الإقليمية في نيويورك.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بدأنا العمل معاً على الفور. أعطيناهم مكاناً في المكتبة؛ وأقاموا هناك، ووضعوا أجهزتهم كلها هناك، وبدأنا نعطيهم معلومات وصوراً لأي شيء اكتشفنا أنه مفقود. لقد سافر العقيد بوغدانوس الآن، لكن أشخاصاً آخرين من فريقه لا يزالون في المتحف، يتعقبون بعض القطع في البلاد، ويعملون مع جماعتنا لتطوير قاعدة بيانات كاملة تم وضعها على شبكة الإنترنت، حول ما عُرف أنه مفقود. وأعتقد أنه في صفحة "مادة مفقودة" بموقع مكتب التحقيق الفيدرالي.

مجلة لاروش: إن هذا لا بد أن يجعل من الصعب جداً على أي شخص أن يحاول بيع هذه الأشياء، باستثناء الجامعين الخاصين.

دونسي جورج: هذا ما نخشاه، لأنها إذا ذهبت إلى الجامعين الخاصين، فإنها ستبقى هناك لمدة جيل أو جيلين. وبما أن هذه القطع الكبيرة بالذات معروفة جيداً، فإننا نعتقد أن لا أحد سيجري على شرائها؛ سواء أكان مركزاً للمزاد، أم متحفاً. لقد تم تحذير الجميع، وكما قال هؤلاء المحققون الأمريكيون، كانوا يفتشون في كل

مطار تقريباً، وفي كل مكتب للجمارك، وفي كل نقطة حدود في العالم. هذه كانت غايتهم، وأعتقد أنهم فعلوا ذلك.

مجلة لاروش: لقد وردت تقارير بأن بعض أفراد الجيش الأمريكي قد ألقي القبض عليهم فعلاً في الولايات المتحدة وهم يحضرون معهم بعض القطع إلى ديارهم.

دونلي جورج: كانت هذه القطع من متحف آخر، يدعى "هدايا للقائد". كان ذلك المتحف قد أعده صدام بنفسه من أجل الهدايا التي اعتاد أن يحصل عليها. كانت تلك بعض قطع الكلاشكوف المطلية بالذهب وبعض اللوحات لصدام وابنيه — أو بندقيتي ونشستر أمريكيتين، مطليتين بالذهب، مع زوج من المهاميز، التي قدمها الرئيس رونالد ريغان هدية إلى صدام حسين!

مجلة لاروش: فسي عرضك الذي جرى قبل أيام في مدينة ميونتس بألمانيا، فرقت بوضوح كبير بين مجموعات اللصوص.

دونلي جورج: بالضبط. نعم. بعد تأكيدنا مما حدث خلال تلك الأيام الثلاثة — فنحن علماء الآثار مثل المحققين، ندقق في كل شيء. وأما بالذات كانت لدي فكرة بأن هناك ثلاث مجموعات من الأشخاص دخلت المتحف.

المجموعة الأولى، كانت اللصوص العاديين فقط، وأعتبر أنهم الأشخاص الفقراء الأميون الذين كانوا يبحثون عن أي شيء يبيعونه بالمال. المجموعة الثانية، كانت الأشخاص الذين دخلوا غرف المخازن. ويبدو أنهم درسوا طريق الوصول إلى هناك، لأنهم ذهبوا وحطموا باباً زجاجياً ودخلوا عبره، وباباً ذا ستارة حديدية، وباباً حديدياً مقلداً بالآجر. أما أفراد المجموعة الثالثة فقد دخلوا المتحف وراحوا يلتقطون أشياء كانوا يعرفون بأمرها مسبقاً. لقد عثرنا على أدوات لقطع الزجاج، وهذا يعني أنهم كانوا مستعدين للحضور إلى المتحف. كما عثرنا على رزمة مفاتيح في مكان ما قرب غرفة مديرة المتحف، بدا أحدها شبيهاً إلى حد كبير بمفتاح خزانة المديرة، التي كانت تحتوي على مفاتيح المتحف. إن رزمة المفاتيح تلك ليست لنا. هذا مستحيل، فنحن نعرف مفاتيحنا.

وقد مروا بجانب بعض النسخ المصرية [من أعمال فنية]، مما يعني أنهم على دراية بهذه القطع، ومروا قرب تمثال مقلد كنا نضعه في أحد ممرات

المتحف، مما يعني ثانية أنهم كانوا يعرفون شيئاً ما حول الأمور الفنية، وكانوا يعرفون عما يبحثون. لذلك، هذا يعني أنه كان يوجد أشخاص في المتحف، وفي المعارض، كانوا مستعدين جيداً لدخول المتحف، وأخذ هذه الأشياء. وكان أولئك الأشخاص هم الذين افتحموا المتحف من نقطة كانت لنا فيها نافذة غير عادية، فقد كانت مبنية من آجر زجاجي، ثم أغلقناها من الخارج، ووضعنا ستارة حديدية خارجها.

إن ما أخشاه شخصياً هو أن ما أخذته هذه المجموعة قد لا يعود. لأنهم إذا كانوا قد أعدوا كل شيء، فلا بد أنهم أعدوا مخرجاً لهم. قد يكون هناك بعض الارتباط بين المجموعتين الثانية والثالثة — ربما، لكنني لست متأكداً — لأن أفراد المجموعتين كانوا يعرفون ما يريدون. وهذا لا يشبه أفراد المجموعة الأولى، التي كانت مجرد لصوص.

مجلة لاروش: هناك زميل عراقي لنا في السويد كان يشاهد محطة تلفزيون عربية. كان من الواضح أنه تم تصوير بعض اللصوص، وهم يدخلون المتحف. وقد قال منذ البداية إنهم يدون منظمين جيداً. دوني جورج: كان على أفراد الجيش أن يأتوا إلى هناك ويوقفوهم. لقد كانوا هناك، كانوا طوال الوقت هناك، لكنهم لم يوقفوهم.

مجلة لاروش: كتب عالم الآثار الألماني البروفيسور سومرفيلد في إحدى مقالاته، أن الأمريكيين طلبوا من الناس أن يدخلوا وينهبوا، وحطموا البوابات لهم. كان ذلك تقريراً حصل عليه من أشخاص آخرين.

دونسي جورج: إنني لا أعرف ذلك، حقاً. ولكن ما أنا متأكد منه هو ما قاله صديقنا ذاك، عالم الآثار. لقد قال إنه ذهب وتوسل إليهم ليأتوا ويحموا [الأعمال الفنية]، فقالوا، "ليست لدينا أوامر". حسن، كان هذا يعني، هيا استمروا، وخذوا ما تريدون. أما أن يكون الأمريكيون قد كسروا البوابة الرئيسية للمتحف وتركوا الناس يدخلون — فهذا لم يحدث. إن البوابات الأمامية سليمة، ولم يدخل أحد من هناك، لأنهم دخلوا من البوابات الخلفية، وبعض الأبواب الصغيرة، وممرات الربط من منطقة الإدارة إلى المتحف، لكنهم حطموا ودخلوا، من ذلك الجدار في المتحف، وحطموا ودخلوا عبر نافذة صغيرة أخرى كانت لدينا.

مجلة لاروش: مما يعني أنهم كانوا يحملون معلومات جيدة جداً.

دونسي جورج: بالضبط. ربما كان المتحف، قبل ستة أسابيع، مفتوحاً للجمهور. ربما كانوا هناك. ربما كان بعضهم في غرفة مديرة المتحف أيضاً، ولاحظوا نوعية الخزانة التي لديها في غرفتها أو علامتها التجارية. كانت من تلك الخزائن القديمة، التي لا تحتوي على مجموعة أرقام. كانت مجرد خزانة يتم فتحها بالمشاح. هذا تفسيري لرزمة المفاتيح التي وجدناها هناك.. كان لديها مفتاح واحد فقط، وكان معها. إننا نعرف ذلك جيداً. إنها امرأة موضع ثقة، وواحدة من أفضل علماء الكتابة السامارية لدينا.

مجلة لاروش: إنني أسألك: من الذين يمكنهم دخول غرفة المديرية؟ إنهم يقتصرون على من لهم علاقة بالآثار والفن. ربما الأشخاص المحيطون بهذه المجموعة من الجامعين للصوصل، المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية، الذي حددنا هويته في الولايات المتحدة؟

دونسي جورج: ربما...

مجلة لاروش: سيكون مفيداً معرفة من سافر إلى العراق في فترة ما قبل الحرب.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

دونسي جورج: ربما...

لو لم تكن قد جمعنا المادة، ولو لم تكن قد أخرجنا المواد الثمينة من البناء، ووضعناها في المصرف المركزي؛ ولو لم تكن قد أبعدنا الأربعين ألف مخطوطة التي لدينا.. المخطوطات العربية القديمة، والإسلامية، والمسيحية التي لدينا.. ووضعناها في مكان أمين آخر، لأصبحت تلك خسارة كبيرة.

مجلة لاروش: كانت هناك تقارير بأن بعض المواد قد أعيدت، ربما تكون من مجموعة اللصوص الأولى.

دونسي جورج: هذا صحيح. حين رجعنا إلى المتحف، عرفنا أن أشخاصاً كثيرين من الجوار كانوا في المتحف أيضاً، يأخذون أشياء. اتصلنا بالجوامع، وبدأوا يعطون، ويدعون الناس لإعادة هذه الأشياء، لأنها ذات أهمية كبيرة للبلاد، ولتاريخ العراقيين. وعلى الفور، بدأت الأشياء تعود إلينا عبر الجوامع. كان ذلك

هاماً جداً.

بعد ذلك اتفقا مع الأمريكيين بأن يتم الإعلان عن غزو عام في الإذاعة، وأن بإمكان الناس أن يحضروا الأشياء إلى المتحف ولا يسألهم أحد، ولن تجري أي محاكمة أو أي نوع من الإجراءات القضائية ضدهم. من جديد، بدأنا نستعيد الأشياء من الناس العاديين، وليس من المنطقة المجاورة للمتحف.

بعد ذلك، تم تنفيذ إجراء هام جداً، مع بعض الشباب. حالما ذهبنا إلى مقر القيادة الأمريكية، وحين جاءت الدبابات، حضر شابان إلى المتحف، وسألا عني وعن الدكتور جبار؛ وكانا يريدان تبادل حديث خاص معنا، قالوا إنهما كانا في المتحف يوم [10 نيسان] حيث كان الناس ينهبون ويأخذون كل شيء. ولم يتمكنوا من إيقافهم، لأنهم كانوا كثيرين جداً، وكلهم تقريباً مسلحين بالرشاشات والمسدسات والسكاكين. لذلك قررا أن يفعلا كما يفعل اللصوص تماماً، وأن يأخذا الأشياء، وكانهم أيضاً من اللصوص. وأخذوا الأشياء إلى البيت، لحمايتها. وقالوا، إننا سنعيدها حالما نرى أن منطقة المتحف قد أصبحت آمنة. أردت أن أتأكد من هذه الفكرة، لذلك بدأت أسألهم عن القطع التي لديهم. وبدأوا يصفان فعلاً القطع التي لاحظت أنها مفقودة من المتحف. لم نسألهم عن اسميها، ولم نسألهم عن عنوانيها، واعتدنا فقط على كلمة شرفه منيها. وبعد حوالي يومين أو ثلاثة من مجيء الدبابات الأمريكية إلى المنطقة، عاد هذان الشابان وأحضرا تسع قطع هامة جداً. كان بينهما تمثال الملك شلمنصر الثالث، وإحدى قطع النقش النافر البرونزية من تل العبيد في الجنوب، وقطعة من ذلك العمود المزين والمطعم، وجزء من باب مزين بشكل رائع.

إذا هذه هي نوعية الأشخاص الذين أعادوا الأشياء. في آخر مساء قبل مجيئي إلى هنا، حضر صديق لي إلى منزلي، وقال إن لديه بعض المعلومات، وأن هناك بعض الأشخاص الذين يريدون بيع قطع أثرية. أرسلته إلى المتحف، وأخبرته أين يجب أن يذهب، وأن يستعمل اسمي، ويخبر الحرس بأنه ابن عمي. أعطيته أحد المحققين الأمريكيين، وطلبت منه أن يذهب إليه، ويقدم نفسه، ويخبره بالقصة الكاملة، وهو يعرف ماذا يجب أن يفعل.

بعد ذلك سمعت في الأخبار أن المحققين الأمريكيين هناك قد استردوا حوالي

300 قطعة. لذلك أعتقد أنها كانت تلك القصة.

مجلة لاروش: إذا كنت أفهمك جيداً، فإن المتاحف كلها آمنة الآن. وكذلك، ما تبقى من المكتبات العامة. ولكن ماذا عن مواقع التنقيب كلها؟

دونسي جورج: هذه أيضاً مشكلة ضخمة أخرى. لأن هذا حدث عام 1991، بعد الحرب مباشرة، حيث بدأ الناس في المناطق البعيدة، وبخاصة في الجنوب، يحفرون المواقع هناك. لقد أبعدوا حراسنا، ونشب بعض القتال بينهم وبين حراسنا. كان لدينا حارس أو اثنان في الموقع، لكنهم أتوا مع 300-400 شخص، مسلحين تماماً كلهم، لذلك كان من المستحيل على حراسنا حماية المواقع. استطعنا أن نوقف ذلك ببعض الإجراءات، كان الأخير والأكثر فعالية هو أننا بدأنا بالتنقيب في الجنوب. واستطعنا أن نحصل، في بادئ الأمر، على فريقين، ترأسنا أنا أحدهما وترأسست الآخر الدكتورة ناراش، مديرة المتحف، وقد أوقف ذلك النهب في هذه المواقع الهامة جداً. وفي السنة التالية، قام رجالنا بالتنقيب في ستة مواقع. ثم توقف ذلك بسبب هذه الحرب.

مجلة لاروش: متى ذهبت إلى هناك؟

دونسي جورج: بدأت في عام 1999، تلك كانت بداية عمليات التنقيب هذه. ودعوناها باسم "عمليات التنقيب الوقائية" أو "عمليات التنقيب للإنقاذ"، لمنع أي نوع من النهب في تلك المواقع. وعندما كنت هناك، استخدمت 15 حارساً مسلحاً، حيث استطعنا أن نقوم بواجباتنا وننفذ مناوبات لمدة 24 ساعة. وبهذه الطريقة تمت حماية هذه المواقع. ولكن، لسوء الحظ، لقد انتقل اللصوص من تلك المواقع إلى مواقع أخرى فحسب.

ولكن بعد هذه الحرب، عندما بدأت هذه الفوضى كلها، بلا حكومة، ولا أمن، ولا شيء - عادوا إلى تلك المواقع. ونسمع الآن عن منات الأشخاص الذين ينقبون في مواقع سومرية وبابلية. إنهم يخرجون قطعاً ويبيعونها فقط، ويرتبون أمر عبورها الحدود إلى الكويت، والعربية السعودية، والأردن - أو، كما سمعت، كان بعض الأشخاص يأتون من الشمال، ويشترونها، ويأخذونها إلى الشمال، ويعبرون إلى إيران أو تركيا. لذلك، إن الأمر مأساة حقيقية الآن في المواقع الأثرية.

مجلة لاروش: لقد أرسل التلفزيون الألماني مؤخراً فريق عمل إلى هناك، وقام بتصويرهم وهم يحفرون. ألا توجد هناك أي حماية، من الأمريكيين، أو البريطانيين؟

دونى جورج: في البداية، حاولنا كثيراً ترتيب نوع من الدوريات للذهاب ومراقبة هذه المواقع. وأعطيت إحداثيات هذه المواقع للقوات الأمريكية، ونفذوا رحلة واحدة بالطائرات المروحية المسلحة. ورافقهم بعض الأشخاص؛ منهم البروفيسور ماغيري غيبسون من شيكاغو. انطلقوا، ورأوا الكثير من هذه المواقع، ولاحظوا أن الكثير من هذه المواقع فيها مئات من الأشخاص، يحفرون فعلاً. والتقطوا بعض الصور.

ثم نزلوا إلى بعض هذه المواقع، وطاردوا بعض اللصوص، لكن ذلك لم يكن هو الحل، لأنك إذا طاردتهم في النهار، فإنهم سيعودون في الليل. وقد أخبرني البروفيسور غيبسون، أن الموجودين في قسم الشؤون المدنية [بالجيش الأمريكي]، قرروا أن يرسلوا كل يوم تقريباً دوريات بالطائرات المروحية المسلحة إلى هذه المواقع، وسيحاولون أن تكون لهم دوريات على الأرض تذهب إلى هناك، حتى يصبح أغلب هذه المواقع الهامة في الجنوب سالماً وأمناً. أعني، إنهم يحاولون، وهذا حقيقي.

مجلة لاروش: كم عدد المواقع ذات القيمة الكبيرة هناك؟ لا بد أنها عشرات الآلاف؟

دونى جورج: نعم، المواقع المسجلة فقط، لدينا أكثر من 10000 موقع. وهذه هي المسجلة فقط، وفي كل يوم، عندما نخرج وننتحس المواقع، فإن رجالنا يكتشفون مواقع دائماً.

بين هذه المواقع توجد مدن كبيرة، وهي مواقع سومرية وبابلية ضخمة في الجنوب. والناس الذين في تلك المناطق يعرفونها، وربما يكون بعضهم قد عمل لدينا، وبعضهم قد عمل لدى البعثة الألمانية مع البروفيسور رودا. إنهم يأتون الآن ويحفرون، ويخرجون الأشياء. لا توجد حكومة، ولا أمن، ولا أحد يوقفهم.

مجلة لاروش: كنت تتحدث عن مبيعات عبر الحدود. أعني، هل هذا حقيقي، أن الحدود ليست تحت سيطرة الأنكلو — أمريكيين من الجانب العراقي؟

دونلي جورج: هذا صحيح، لأنني رأيت هذا بنفسى، مرتين. حين عبرت للمرة الأولى، عندما ذهبت إلى لندن، وهذه المرة، عندما أتيت إلى ألمانيا. إنهم لا يندققون أبداً. إنهم ينظرون فقط، فإذا كان معك جواز سفر، ينتهي الأمر؛ وهم يفتحون صندوق السيارة فقط، وينظرون إلى المحرك، حسن، ويمكنك الذهاب. أما الصحفيون، فإنهم لا يندققون معهم.

مجلة لاروش: في الحقيقة، كان لدى أحد الصحفيين الكثير من القطع المسلوقة، وهو صحفي ذاهب إلى الولايات المتحدة.

دونلي جورج: كلا، إنه ليس واحداً فقط. في اليوم الأول، عندما عبرت الحدود، في 26 أو 27 نيسان، ألقوا القبض على 12 حالة عند الحدود الأردنية. كانوا كلهم صحفيين، يهربون قطعاً أثرية، أو وثائق، وثائق حكومية.

مجلة لاروش: كيف هذا؟ لأنه بعد اجتماع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، عقد اجتماع للشرطة الدولية، كما أعقد، وحضره المدعي العام الأمريكي أشكروفت. إنها بلاد كبيرة، ويمكن للمرء أن يدخل بلداً أخرى دون أن يعبر الحدود الحقيقية.

دونلي جورج: هذا صحيح. لكنهم يعبرون الحدود الحقيقية، كانوا يهربون قطعاً أثرية عبر تلك الحدود الحقيقية! حين عدت من لندن، تحدثت إلى الحرس هناك، وقدمت نفسي، وقلت لهم: "أرجوكم، هذا هام جداً. إنكم لا تفتشون الصحفيين. إن الصحفيين هم الذين يهربون القطع الأثرية. على بعد نصف كيلو متر فقط، هناك، يقوم الأردنيون بالقبض على صحفيين يهربون قطعاً أثرية".

مجلة لاروش: هل يعني ذلك أن هذه المجموعات يعترضها الأردنيون على الجانب الآخر من الحدود؟

دونلي جورج: الأردنيون فعلاً! نحن لا نعرف في الحقيقة ما يحدث على حدود تركيا وسوريا والكويت والعربية السعودية. لكن ما نعرفه هو أن الأردنيين فقط هم الذين يفتشون جيداً جداً.

مجلة لاروش: رأيت في عدد من التقارير، أن حلقات التهريب الدولية ممثلة جيداً جداً في الكويت والعربية السعودية. وأنه توجد هناك مجموعات. إنني لا

أقول إنهم سعوديون وكوبيون... لكن الطرق تمر عبر هذين البلدين. كذلك ورد ذكر إسرائيل.

دوني جورج: نعم. لقد عرفنا ذلك من قبل، منذ عام 1991، فقد ألقى رجال الشرطة العراقيون القبض على بعض الأشخاص، وقالوا لهم: "إن أشخاصاً أوروبين، مقيمين في العربية السعودية، يطلبون منا أن نحضر كذا وكذا، ويوجهونا لنحفر كذا وكذا".

مجلة لاروش: هل يمكن أن توضح قليلاً من وجهة نظرك، كيف يعمل هذا الجهاز؟ لأنه، إذا أمعنت التفكير فيه، يتطلب شبكة ضخمة ومنتشرة عالمياً. يجب أن تعرف من هم الجامعون، ولكن يجب أيضاً أن تقوم باتصالاتك من أجل الحماية السياسية العسكرية. يبدو لي أنها تشبه إلى حد بعيد تجارة المخدرات.

دوني جورج: إنها مافيا ضخمة لتهريب القطع الأثرية. لأنه حتى على الإنترنت، يمكنك الآن أن ترى عراقيين قد يقولون لك: "نحن لدينا هذه الأشياء، ويمكننا أن نوصلها لك إلى عمان، ويمكنك أن تستلمها هناك، فنحن نأخذها عبر الحدود". وليس ذلك فحسب، فنحن نسمع أنه يوجد الكثير من الأشخاص داخل العراق، قرب تلك المواقع، يشترون هذه الأشياء من أولئك اللصوص. إنهم ليسوا عراقيين، لكنهم أوروبيون.

إنها حالة محزنة جداً، ما يحدث لهذه القطع الأثرية ولهذه التحف الفنية، التي هي ملك للبشرية. إنها تراث كل شخص في العالم. وهم يقومون بالتهريب والنهب هكذا. والأمر الرئيسي هو أنك عندما تخرج هذه الأشياء من المواقع، فأنت تخرجها من بيئتها، وهذا أمر هام جداً بالنسبة لعالم الآثار.

إذا اقتطعت كلمة أو حرفاً من صفحة في كتاب، فإن هذه الكلمة لن تعني شيئاً بعد، إذا لم تكن في موضعها من هذا الكتاب. والموقع الأثري يشبه الكتاب. إننا ننتقب صفحة إثر صفحة، ونقرأ كل شيء صفحة إثر صفحة. وبهذه الطريقة نعرف التاريخ الكامل للموقع. وإذا تعرض للنهب على هذه الطريقة، بحفر فتحات هنا وهناك، وأنفاق بين هذه الفتحات، فالأمر لا يتعدى مجرد انتزاع أشياء من هناك، وأخذها، وهذا لا يحمل أي معنى.

مجلة لاروش: لقد قرأت في مكان ما أن العديد من المواقع قد اعتُبرت مواقع

يجب أن تعترف اليونسكو بأنها تراث عالمي؛ وأن موقع حترا فقط قد تم الاعتراف به في العراق، بينما بابل ونيوى وبغداد وأور وغيرها لم يتم الاعتراف بها. وفي حزيران عام 2003، ستعقد لجنة التراث العالمي اجتماعها، وسيناقشون إن كان بالإمكان فعلاً الاعتراف بهذه المواقع الأخرى. فماذا يمكن أن يعني ذلك؟

دونسي جورج: هذا هام جداً. فكما ترى، بين هذه المواقع التي لدينا داخل العراق، لم يتم الاعتراف إلا بموقع حترا. أعتقد أن السبب هو الوضع السياسي.

منذ سنتين تقدمنا بطلب من أجل تضمين بعض المواقع. قدمنا الاستمارة الأولية، ولسوء الحظ لم نلق تشجيعاً كثيراً من اليونسكو. لكننا أصررنا على آشور، لأنها كانت في خطر. وقد أكلت بنفسى ملف آشور. ثم استقبلنا لجنة من اليونسكو في بغداد. ذهبنا ورأينا المواقع، وبعد ذلك ساعدونا في تحسين ذلك الملف. وقمنا بالإعداد، أنا، وسيدة من اليونسكو، وأرنولف هاوسلايتر من ألمانيا كما أعتقد، وأكملنا ملف آشور، وأرسلناه من جديد إلى اليونسكو. إذا تم الاعتراف بموقع آشور، فإننا سنشجع كثيراً لتقديم طلبات تتعلق بالمواقع الأخرى، من أجل قائمة التراث العالمي.

مجلة لاروش: وماذا يعني ذلك بالتحديد فيما يتعلق بموضوع الأمن؟

دونسي جورج: يجب أن يتوفر الأمن بواسطة العراقيين، لكنه يعني أننا سنحصل على مساعدة خبراء اليونسكو، سنحصل على مساعدة الخبراء الدوليين، في الحفظ والتتقيب وإعداد هذه المواقع للسياحة. وهي لن تتعرض للضرب، إذا نشب أي نوع من الحروب — وأعتقد أن هذه هي الحرب النهائية، فنحن لا نريد أن تنشب لدينا حروب بعد.

من المهم أن نضمن دخول المواقع في قائمة التراث العالمي.

مجلة لاروش: هل سبق أن جرى أي نقاش بين المحترفين، وعلماء الآثار، وغيرهم، حول هذه التغييرات في القوانين، التي تدعها جماعة ضغط المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية في الولايات المتحدة؟

دونسي جورج: هذا شيء هام جداً. فالقوانين العراقية المتعلقة بالآثار قوانين قديمة؛ إن قوانين الآثار تعود إلى عام 1936. وقد قمنا ببعض التعديلات حتى عام

1974، أو 1973. هل يحق للناس أن يذهبوا ويغيروا قوانين الآخرين؟ هذا مستحيل! حسن، الحكومة، نعم، هؤلاء هم الأشخاص الذين يحكمون الدول — لكن القوانين وجدت من أجل فائدة الناس أنفسهم، وهذا أمر مختلف!

مجلة لاروش: كانت هناك مناقشات في وزارة الدفاع الأمريكية...

دونسي جورج: أعرف! إنهم [المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية] يريدون تخفيف وطأة أجزاء من القوانين العراقية بحيث يصبحون قادرين على تصدير بعض المواد خارج البلاد. أعتقد أن هذا مستحيل! لا أحد سيقبل بذلك. هل تعرف لماذا؟ سأخبرك بنوعية الصدمة التي أحدثها نهب المتحف والقطع الأثرية على الشعب العراقي. كنت أقابل أنواعاً مختلفة من الناس، من اللحام إلى البقال إلى بائع الفاكهة، إلى أستاذ في الجامعة. وقد توصلوا جميعاً إلى نتيجة واحدة، وهي أن كل ما حدث للبلاد، يمكن أن يحدث، ولكن لا أحد يقبل ما حدث للمتحف. لأن هذا المتحف يمس قلوب الناس. لذلك من المستحيل أن يغير القانون! فهذا يتعلق بالشعب العراقي كله.

إذا قال شخص ما للعراقيين، حسن، اسمعوا، إن الأمريكيين يريدون أن يغيروا قانون الآثار ويريدون أن يقوموا بتصدير بعض آثاركم بشكل قانوني إلى الخارج. ما رأيكم؟ إنني أعتقد أنه ستقوم ثورة أخرى في العراق ضد الأمريكيين! لأن هذا مستحيل، ولا يحتمل أن يتم.

مجلة لاروش: كنت أقرأ أنه خلال اجتماع جرى في وزارة الدفاع الأمريكية بتاريخ 24 كانون الثاني، كان واضحاً أنه تم استقبال أمين صندوق المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية هذا في وزارة الدفاع الأمريكية؛ وكان قد تلقى دعم فيليب دي مونتييلو من متحف متروبوليتان في نيويورك، من أجل فكرة مشاركة فرق دولية في عمليات التنقيب بالعراق.

دونسي جورج: هذا طبيعي!

مجلة لاروش: نعم، هذا طبيعي، ولكن مع فكرة أنهم، حالما يكتشفون شيئاً ما، يكون بإمكانهم أن يصدروه. أن يحصلوا على ترخيص للتصدير.

دونسي جورج: كلا! أعرف، إن هذا مستحيل. إنهم لا يبحثون عن العلم، إنهم يبحثون عن الربح، وعن المال!

في السابق، كان لدينا هذا التقسيم للقطع الأثرية، وكان 50% من القطع الأثرية يذهب للعراقيين، و50% للبعثة. وكانت تلك البعثات إما من المتحف البريطاني - لديهم القطع في المتحف البريطاني - أو من الجامعات - ولديهم هذه القطع في جامعاتهم. إنهم لا يريدون ذلك! بل يريدون أن يتابع تلك القطع. ولا توجد بعثة محترمة تتقّب عن شيء ما، وتذهب لتبيعه لهم! فهذا نهب، وسرقة! إنهم يحاولون إضفاء طابع قانوني على سرقتهم، ويريدون الربح، والمال عن طريق هذا النوع من النهب. إن هذا مروّع!

إنني متأكد من أنه لا يوجد عراقي واحد سيقبل بذلك. وأنا متأكد من أن لا أحد سيقبل بذلك في أي مكان من العالم. هنا في ألمانيا، إذا كنتم تقولون أن تأتي بعثات غير ألمانية وتعمل هنا، حسن، إن هذا وفقاً للقانون. ولكن هل تقولون أن يأخذوا القطع الأثرية خارج البلاد؟ لا أحد سيقبل بذلك...

إذا كان الأمر من أجل عرض هذه القطع، فنحن لدينا دائماً معارض في الخارج. ولدينا دائماً روائع قديمة في متحفنا، ويمكن لأي شخص أن يأتي ويرآها. لدينا معارض في الخارج، ويمكن للمواطنين والملايين من الناس أن يأتوا ويروا هذه الأشياء. كانت لدينا مشغولات، ويمكنهم تزيينها، ويمكنهم قراءتها. لكن الأمر ليس كذلك. إن المال هو الذي يبحثون عنه والذي يمكن أن يكسبوه من هذه القطع الأثرية. هذا عار!

مجلة لاروش: هل هناك أي شيء آخر قد تفكر بأنه يمكن عمله؟

دونى جورج: يمكن أن أقول، إن كل رجل في العالم يجب أن يبحث عن هذه القطع الأثرية ويقول "كلا" لهؤلاء اللصوص وهؤلاء المهربين. يجب أن ترجع القطع الأثرية إلى متحف العراق، لأنه مكانها الطبيعي. سيكون المتحف مفتوحاً لكل شخص. إنها جريمة أن تكون هذه القطع الأثرية تحت وصاية رجل واحد، وأن يضسها في القبو، وأن يحرسها، ويمنع العالم كله من مشاهدة روائع البشرية هذه.



شهود عيان أجنب وعرب

يؤرخون:

عمليات نهب الآثار العراقية

■ إعداد: هدى أنتيبا ■

آثار رفض مديرة متحف "بغداد" السابقة "سلمى نواله متولي" كشف مكان كنوزة المحتلين من حلفاء القوات الأمريكية والبريطانية دهشة وتقدير شريحة واسعة من الرأي العام العالمي لهذا الموقف الوطني..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وكان تصديها لنطاق الحلفاء الرسمي: "بيتر كوردوني" الذي حاول الضغط عليها لمعرفة مخابئ تلك الكنوز سمح إعجاب وسائل الإعلام الأوروبية التي راحت تنشي على مديرة متحف بغداد السابقة في صحفها المقروءة بشكل خاص.. وقد اتهم الإعلاميون الغربيون المحايدون تلك القوات الغازية للعراق بالتآمر مع المافيا المنظمة والمتخصصة بتهريب الآثار الفنية العراقية خارج موطنها الأم والاتجار بها..

لم يجد الحلفاء أسلحة الدمار الشامل في العراق لكنهم عثروا على كنوز ثروة شاملة، سرقة تراثه الوطني وهي سوق رائجة أكثر من تهريب المخدرات.. بتلك الكلمات افتتحت مجلة "الباري ماتش" سلسلة تحقيقاتها الخاصة بتهريب الآثار وقام بتغطيتها الباحث والصحفي "هوغو رانكل"..

وتكلم شهود عيان

وتتابع "صحيفة الاندبندنت" البريطانية على لسان "روبير فيسك" قائلة:

"وطنست أقدامنا بقايا تماثيل من رخام عمرها خمسة آلاف سنة إلى جانب جراب وقوارير ولقى صمدت أمام حصار بغداد عشرات المرات عبر التاريخ ليتم تحطيمها مع مجيء الأمريكيين للتحرير .

-كما ادعى هؤلاء.. "هكذا كتب "روبير فيسك" أثناء زيارته منتصف نيسان 2003 للعاصمة العراقية وتسجيله وقائع عيث أياذ خبيرة في القرصنة بمتحف بغداد لتنتقي من القطع الأثرية ما هو غالي الثمن ويمكن تصريفه لدى باعة التحف القديمة في كل من جنيف وفرانكفورت ولندن ونيويورك.. ويسأل "فيسك" لماذا وكيف فعلوا ذلك؟ لماذا تحرق بغداد بالقتال والصواريخ؟ فيعد ثلاثة أشهر من مناقشة البنّاغون وعلماء آثار عاملين لديه كيفية إدراج متحف بغداد الأثري ضمن قائمة القواعد العسكرية الأمريكية، لماذا أصدرت واشنطن الأوامر بتدمير تراث بلاد الرافدين القديم؟! جرت تلك الأمور بينما كان وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد" يصرح أمام الملأ في مؤتمر صحفي أن "الفوضى التي عمت بغداد انتهت".. غادر لصوص متحف بغداد الوطني المكان قبل وصولنا سيتابع "فيسك" وهو يدون مشاهداته -بماعات معدودة - لنلمس بأيدينا القطع الأثرية المبعثرة والمحطمة فوق أرض المتحف.. لست أدري كم كان عددها مع العلم أن هذا المتحف يضم آلاف القطع الفنية من روائع آثار حضارات بلاد الرافدين.. هنا قواعد لجرار وتماثيل تعود للحضارة الآشورية.. عاش الآشوريون في تلك البقاع قبل ألفي سنة من ميلاد المسيح.. وهناك جداريات وزخارف من الكتابات البابلية والسومرية وحتى تماثيل فارسية ويونانية ملقاة كيفما اتفق تروي قصة ثقافات أمم ذات صولة وجولة.. لم أشاهد -يقول "فيسك"- منذ تدمير تماثيل بوذا بانيام ومتحف كابول وربما منذ الحرب العالمية الثانية ثروات فنية تصاب بمثل الأذى الذي تعرضت له مقتنيات متحف بغداد.. أذكر أن قوات "ماونت باتن" البريطانية قامت في جنوب شرقي آسيا وخلال محاولاتها المسيطرة على شوارع سايفون بعمليات شبيهة بتلك التي نفذتها القوات الأمريكية في متحف بغداد الوطني.. يضميف "روبير فيسك" رأيته لوحات من النقوش الحجرية يعود تاريخها إلى 2700 سنة ق.م مقطعة الأوصال وأقنعة عمرها 700 سنة ق.م وتماثيل صلصالية تعود لألفي سنة ق.م ومزهريات تعود لأكثر 5000 سنة ق.م.. ومجسمات رخامية محطمة تعود لـ 800 سنة ق.م ورؤوس ملوك آشور وبابل تعود لـ 2250 سنة

ق.م تم تحطيمها بعد سرقة ما خفّ حملها وارتفع ثمنه من مجوهرات مرافقة وقطع ذهبية علقت عشرات البعثات الأثرية على استخراجها ودراستها منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى الآن..

وها هناك كانت تنتصب خزانة زجاجية ضخمة تحتوي لُقى تعود لأربعين ألف سنة خلت تحطمت وأفرغت من محتوياتها.. وما من أحد يعلم أين اختفت المجسمات الآشورية التي تعود للقصر الملكي الموجود في "خورسباد" والأختام المعدنية والحجرية والصلصالية التي ترجع لأربعة آلاف سنة أو الأفرات الذهبية التي دفنت مع أميرات سومر وعمرها 4500 سنة.. كل تلك الكنوز وسواها استغرقت عقوداً لاكتشافها وإخراجها إلى النور مجدداً من المقابر والمغاور المنتشرة في بلاد الرافدين على أيدي علماء آثار من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا -ساهم هؤلاء في تصنيف تلك الآثار التي يحتفظ بها متحف بغداد- وأعاد تشييد مبانيه الحديثة الأكرام -يحط على نهر دجلة- قبل افتتاح أبوابه أمام الجمهور في مطلع الألفية الثالثة منذ ثلاث سنوات.

لم تحل التدفيدات الدولية لحماية كنوز العراق التراثية دون تعرض متاحفه في كل من الموصل والبصرة بعد بغداد للسرقة والنهب دون وازع أو رادع.. وذلك بعد أن تم قصف تلك المدينة وإحراقها من قبل قوات الحلفاء المحتلة للعراق ومن ثم تعرضها للنهب والسرقة أمام لا مبالاة المنظمات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة.. فمتحف بغداد على سبيل المثال ويضم أكثر من 150 ألف قطعة أثرية -عُثرت بها أيدي لصوص محترفين- كما صرح "توني جورج" مدير البحوث والدراسات في المتحف المذكور والذي أضاف في حديثه لوكالة الصحافة الفرنسية: لم يمسا النسخ وإنما سرقوا القطع الأصلية مما يؤكد أنها عملية قرصنة منظمة.. ويتابع "مؤيد سعيد الدامرجي" مستشار وزير الثقافة العراقية السابق قائلاً: "وقفت الدبالبات الأمريكية أمام البوابة الرئيسة لمتحف بغداد الوطني في الوقت الذي قام به اللصوص بنهب محتوياته تحست أنظار تلك القوات وبعباركتها.. ومن بين أشهر القطع الفنية التي اختفت تقول الفيفارو: "قيثارة أور" المصنوعة من الفضة وتعود لأربعة آلاف سنة خلت وهي فريدة نوعها.. وتمثيل من النحاس ترجع للحقبة الأكادية.. وتسأل للموند: أين اتفاقية لاهاي لعام 1954؟ ومن يلتزم ببندوها؟

حضارة الرافدين: عنقاء الحضارات

يسرد المؤرخ والمهندس الفرنسي = هنري سترلين= وهو صحفي وأديب وباحث وفنان تشكيلي وصاحب كتاب "الرافدين" الذي صدر عن دار غاليمار -في مؤلفه المذكور- مسيرة حضارات بلاد ما بين النهرين لصناعة ما يسمى معجزة التراث الإنساني فيقول: "من ينابيع دجلة والفرات نهلت الحضارة الغربية ثقافتها.. فعلى ضفافها ابتدع السومريون الخط والبابليون القانون المدون وذلك قبل 5200 سنة من الآن إلى جانب الرياضيات وعلم الفلك والزراعة- وظهرت في الألف العاشر ق.م.. ثم يستطرد المؤرخ الفرنسي فيضيف: "ولدت صناعة التماثيل الصلصالية منذ 3300 سنة ق.م. ومعها صياغة المجوهرات والحلي لتواكب تعاقب الثقافات في منطقة الرافدين، ليعمل القصف الأمريكي الهيجي للمناطق الأثرية العراقية على إبادة شلالاً ومضموناً وثائقي - يتابع "هنري سترلين"- عمليات السرقة المنظمة لتترجم تهديدات جورج بوش الابن ومبادراته التخريبية في العراق على أرض الواقع.. فمنذ مطلع 2003 قامت مجموعة من الجامعيين والحقوقيين والمؤرخين الأخصائيين في تاريخ الحضارات بإنفاذ البنتاغون حول ضرورة حماية الآثار العراقية وثروات الرافدين لكن ما من مجيب.. فمن يتذكر اليوم - يقول الباحث المؤرخ سترلين- أن بغداد التي أسست عام 762م كانت تدعى مدينة السلام؟! وأنها ساهمت في صناعة أمجاد الحضارة العربية المفتحة على الشرق والغرب معاً..

وفي ملف خاص بالباري مائش أشرف عليه "فيليب فلاندران" يتناول كنوز العراق المسروقة افتتح هذا الباحث والصحفي الفرنسي دراسته تلك بقوله: "للمرة الثالثة على التوالي أزور بغداد لمعاينة الآثار التي عادت إلى حضن متحفها الوطني.. إذ لم ينقض ثلاثة أشهر على سرقة هذا المتحف وبسحر ساحر ظهرت قطع أثرية غاية في الإبداع في صالاته وكانت وكالات الأنباء العالمية قد أكدت أنه على بعد ألف كم من بغداد وفي مطار عمان عثر رجال الجمارك الأردنية داخل حقيبة مسؤول أمريكي قادم من العاصمة العراقية على متن طائرة تابعة للأمم المتحدة على 24 قطعة فنية مسروقة من متحف بغداد.. وقد تم حجز تلك الآثار ومصادرتها.. وأطلق سراح المسافر الذي لم يكشف النقاب عن اسمه.. لتضيف

"الدبلي تلغراف": ليست تلك العملية سوى نقطة في بحر السرقات المبرمجة التي تم اليوم تسويقها وبيع بضائعها في أسواق أوروبا وأمريكا "تهدد كما يقول "فيليب": ذاكرة العالم بالقحط والجفاف.. فخلال زيارتي الأولى يتابع "فلاندرن" شاهدة بأم عيني بين يومي الأربعاء والجمعة التاسع والحادي عشر من نيسان 2003 قرابة ثلاثة آلاف قطعة أثرية مفقودة من متحف بغداد الوطني.. اختفت تلك الآثار تحت سمع وبصر القوات الأمريكية التي احتلت المدينة.. وبعد مضي ثلاثة أشهر على تلك الحادثة تجولت مجدداً في ردهات المتحف المذكور لأشاهد قطعاً مبعثرة ترقد فوق قارعة إحدى ردهاته تمثل أقدم مزهريّة في تاريخ الإنسانية صُنعت من المرمر الأبيض يبلغ عمرها حوالي 5100 سنة-وتحمل نقوشاً استندعها فنانون مدينة الوركاء (الوركاء) تمثل "عشتار" نجمة الصبح والهة الخصب والحرب -ونظراً لشهرة هذه المزهريّة الضخمة التي يعرفها مؤرخو الفن لم يستطع المهربون الذين اشتركوا في سرقتها بيعها.. فعادت إلى متحف بغداد دون أن يكشف اسم سارقها الحقيقي.. وإضافة لتلك المزهريّة أعاد مدير الجمارك الأردنية "محمد قطيش" القطع الأثرية العراقية التي تمت مصادرتها في مطار عمان لتحط في المتحف المذكور خلال شهر حزيران الماضي.. وتشمل ألواحاً من العاج المطعم بالذهب -اكتشفها عالم الآثار البريطاني "ماكس مالون" زوج الأدبية "أغاثا كريستي" في إحدى غرف القصر الملكي في "عمرد" -عاصمة الآشوريين بين القرن التاسع والقرن الثامن ق.م- وذلك خلال عمل "مالون" في المنطقة بين عامي 1954-1955.. صاغ تلك القطع فنانون سوريون من سورية العليا، كتب ماكس مالون، تكريماً لأهليتهم "هاتور".

ويتميز تمثالها بقرنين ذهبيين ولإله "هوروث" ويتخذ جسمه شكل أبي الهول -وقد اكتشفت تلك التماثيل العاجية بأوراق الذهب.. وصيغت تلك الأعمال تلبية لطلب "عاشور نازيرباك الثاني" حاكم ما بين النهرين والفرات الأوسط وشمال سورية في القرن التاسع ق.م.. وعلى مقربة من "الموصل" يتابع "فيليب فلاندرن" سوتعد 400 كم شمال بغداد- تقع مدينة "عمرد" وتطل على سهول خصبة تروها مياه دجلة ورافده الزاب الأكبر.. وعلى غرار "نيبور" -250 كم جنوب بغداد- حاصر الجنود الأمريكيون- أفاد "فيليب فلاندرن" -وتعرف على لهجتهم التابعة لولاية تينيسي مدينة "عمرد" منذ وصولهم إليها منتصف حزيران 2003 وأطبقوا

بديباتهم على مداخل قصورها الملكية وقاموا بتفتيش كل بقعة فيها ولا أحد يدري ماذا وجدوا وعلى أية آثار استولوا!؟

ويلتقي الباحث والكتّاب الفرنسي "فلاندران" بعالم الآثار العراقي: "مزاحم محمود" وهو من مواليد الموصل وقد تابع مهمة "مالوان" واكتشف 1988 بوابة حفر اسم "عاشور نازيربال" فوقها تقع تحت القصر المذكور عثر -"مزاحم" خلف تلك البوابة- كما أخبر "فلاندران" -على مقبرة امرأة يرقد رأسها فوق طبق من الفضة وقد زين تمثالها بأقراط وعقد ذهبيين إلى جانب أساور وخواتم مطعمة بالأحجار الكريمة.. وتم استخراج تلك المكتشفات وأرسلت إلى متحف بغداد لتعرض للسرقة خلال شهر نيسان الماضي 2003 على غرار كنوز "الاسار" واكتشفها "مزاحم حمود" في آذار 1989 داخل بئر تؤدي إلى صالة مغلقة بحجر كبير كتب فوقه "تذكركم الملكة إياباً وابنتها أتاليا بالأنا تلمسوها وألا تسرقوا مجوهراتها وإلا لن تروا الجنة وستصيبكم الأمراض القاتلة".. واستلقت الملكة وابنتها الأميرة "جنبا إلى جنب على طريقة الفراعنة في تابوت حجري (ناووس) وكل رأس كل منهما يحتاج مذهب صانع مرقدهما الرخاسي فنانون فينيقيون وختمت المصوغات التي في عزفتها باسم "عزرات فلاسار" وخلفته سرجون الثاني الذي أخضع "بابل" لسلطته وأنصر على الفراعنة في القرن الثامن ق.م.

وتعرضت تلك الكنوز هي الأخرى للنهب والاختفاء خلال سرقة المصرف المركزي العراقي حيث نقلت مع قطع أثرية أخرى تعود لزوجته "أشور غاسيربال" كالمجوهرات واللاكي و.. وكاد "مزاحم محمود، كما يقول: "فليب فلاندران، يفقد صوابه حين رأى الصواريخ الأمريكية تدمر مصرف بغداد المركزي حتى علم أن قوات البنتاغون عثرت في خزائن المصرف المذكور على 650 قطعة أثرية و70 كيلو غرام من الذهب وأحجار كريمة تزن أطناناً تم عرضها أمام كاميرات الصحفيين لفترة لا تتجاوز الثلاث ساعات فقط في متحف بغداد الذي تحول يومها إلى حصن شبيه "بغور نوكن" الأمريكي الذائع الصيت.. وينتقل الباحث "فلاندران" إلى مدينة "بابل" ليسجل ما يلي:

"تحولت الحاضرة الأثرية بابل العريقة إلى قاعدة أمريكية عسكرية بعد أن دُمر جزء من متحفها الخالي من محتوياته اليوم.. وفي محافظة الناصرية بدون

"فيليب" استعاد مدير آثارها أواخر أيار الماضي وهو لغوي مختص بالكتابة المسمارية ويدعى "عبد الأمير الحمداني" حفنة من القطع الأثرية المسروقة من متحفها.. وتتسبب تلك الكنوز لـ "لاغاش" العاصمة القديمة لـ "غوديا" حاسم المنطقة في نهاية الألفية الثالثة وكانت محتويات معبد "تينكرشو" المدينة المجاورة لـ "فيرسو" قد تعرضت هي أيضاً للتهب والسرقه ولم يبق سوى بضعة ألواح في متحفها تعود للعصر الذهبي لسومر (قبل 42 قرناً) وصل إليها لمصوص الآثار على غرار قصر ثور قداد" في "لارسا" ومعبد "شمش" في "سيبار" و"معبد" "إنليل" شقيقة "عشتار" ويقع في "نيبور"..

أما الموناليزا السومرية -تبلغ من العمر 5000 سنة وهي أقدم منحوتة لوجه بشري معروف حتى الآن فقد عانت من رحلتها الطويلة إلى نيويورك بعد سرققتها على أيدي مافيا الآثار لتحط في متحف بغداد.. كما ذكرت الديلي ستار.. وكانت سيدة الرقءاء، الموناليزا السومرية، قد اختفت في التاسع من نيسان الماضي.. وهناك اليوم أكثر من 7000 قطعة أثرية فنية عراقية لا تزال مفقودة رغم العثور على حفنة منها خلال ثقلها على أيدي رجال المافيا بين بريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة.. وتفيد تحقيقات أجراها الباحث الفرنسي "هو" غورانغ" لمجلة البارزي ماتش ونشرها في هذه المجلة ثم في كتاب صدر حديثاً تحت عنوان "تهريب الآثار" بما يلي:

"أجمع علماء آثار ومؤرخون ومدراء متاحف غربيون وجامعو التحف الأوربيون على أن أسواق تهريب القطع الأثرية والفنية مزدهرة اليوم أكثر من أي يوم مضى.. وخاصة بعد غزو القوات الأمريكية للعراق.. فبينما استعرت حمى المعارك في العراق - يقول الباحث "هوغو" إلى نهاية آذار ومطلع نيسان 2003- ملأت فضائح سرقة متاحف بغداد والمدن العراقية الأخرى كالبصرة والموصل- مانشيتات الصحف والمجلات.. هذا في حين نشطت صالات "كريستيس" وسوتسبي" و"بونبها مس" في بيع التحف القادمة من الشرق الأوسط بالمزاد العلني.. وراحت تمل تلك الصالات بأقصى طاقتها ستمتص نيسان- لتطرح عشرات الأعمال الفنية المسروقة من العراق في مزاداتها المشبوهة تلك على غرار "روط" يعود للقرن الرابع للميلاد وصل ثمنه يومئذ إلى [462296 يورو] ومحبرة يرجع تاريخ صنعها للقرن الثالث عشر للميلاد تجاوز ثمنها [1623871

يورو] إضافة لقطع من الآجر المنحوت والمرصع بالذهب انتزعت من قبب عدة جوامع عراقية بلغ سعر القطعة الواحدة من الآجر تلك [12179 يورو] هذا باستثناء العمولة التي تتقاضاها الصالات المذكورة.. ومن الواضح أن تلك القطع- والتي لا تحمل وثيقة تثبت مصدرها- عمدت المافيا إلى تهريبها من الشرق الأوسط إلى أوروبا دون التقييد بالقوانين الدولية أو بموثيقها وانفاقياتها الرسمية.

يقول الملياردير السويسري "جورج أورتيث" أبرز جامع تحف أثرية مصرية وسومرية وصينية -وهو اسم معروف في صالات البيع بالمزاد العلني: "إن ما ينقذ الفن هو انتشاره أما الاتفاقيات الدولية فلا أهمية لها" حسبما علق هذا العارف بخافيا الأمور -ويلقى فلاندران-.. ويعتبر "جورج أورتيث" القطع الفنية المسروقة التي خرجت من موطنها الأصلي لتتحول إلى بضاعة تباع في المزادات العلنية شبيهة باللاجئين من المتقنين ليس إلا.. ويشاطر "أورتيث" نظيره الملياردير اللتويجي "مارتن شويان" المثل الشعبي القائل: "بين البائع والشاري يفتح الله"- وكان "شويان" قد اشترى من بائع القطع الفنية في لندن ويدعى "سام فوك" الشهير [140] مخطوطة يوثية تعود للقرن السابع للميلاد بمبلغ قدره [7] مليون دولار أمريكي.. باعها بستين مليون دولار لاحقاً مع احتمال وصول سعرها اليوم إلى 150 مليون دولار بهذا المنطق التجاري تتم صفقات تسويق كنوز العراق المسروقة والتي لا تقدر بثمن، علق "فلاندران" في كتابه.

أما "جورج أورتيث" فيقول: "لأن كنوز العراق لا تقدر بثمن كان همنا إنقاذ هذا التراث الثقافي أولاً من خلال استثمارات الأسواق الدولية مع العلم أن تهريب القطع الفنية مهما كان مصدرها ليس من اختصاصنا".

ويكفي أن يشارك أساتذة من الأكاديميين في كتابة مقال علمي واحد حول أية قطعة أثرية مسروقة من كنوز الشعوب -العراق اليوم- ليتضاعف سعرها وقيمتها عشرات المرات بعد أن اكتسبت مصداقية تحتاجها المافيا أو لصوص الآثار للترويج لبضاعتهن المسروقة..



المراجع:

- مجلة الباربي مانش العدد 2834 تاريخ 2003/9/17.
- مجلة الباربي مانش تاريخ العدد 2003/8/15.
- مجلة النوفيل أو بسرفاتور تاريخ 2003/4/16.
- صحيفة اللموند الفرنسية تاريخ 2003/3/26.
- صحيفة الفيجارو الفرنسية تاريخ 2003/4/1.
- صحيفة الفيجارو الفرنسية تاريخ 2003/4/15.
- الديلي ستار الناطقة بالإنكليزية تاريخ 2003/9/24.
- الديلي تلغراف البريطانية تاريخ 2003/4/8.
- الأندبنت أون ساندني تاريخ 2003/4/13.



ARCHIVE □□

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>